وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٨٣٤

الوصف في شعر عبد الله بن المعتز العباسي

٢٤٧هـ، ٨٦١م - ٢٩٦هـ، ٩٠٨م

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في الأدب العربي

إعداد الطالبة
ليلى سالم محمد نور بابنجي

بإشراف
الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان

١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تم بِفضله هذا العمل ، وأشكره على جليل نعمائه ، وأسائله تعالى أن يَفيض علينا بالخيرات وأن يَهدينا جميعاً سُبل الرشاد .

وبعـــــد :

فأتقدم بخالص الشكر ، وعظيم التقدير والثناء والولاء والوفاء لجامعة أم القرى التي أَتاحت لي فرصة الإلتحاق بها لإتمام دِراستي العُليا ، ثم للعَاملين والعَاملات بها الذيـن كانـوا خَير عَون وسَند.وأَخص بالشكر والإمتنان كلية اللغة العربية وأَساتذتي الأَفاضل بها الذينَ أَضاءوا لي طَريق العِلم والفِكْر والمَعرفة .

ثم شُكر وتَقدير وامتنان وَولاء لأُستاذي الفاضل المشرف على البحث الدكتور/عبد الحكيم حَسَّان فقد أمدني بالكثير من عِلمه وتَوجيهاته التي كان لها كَبير الأثر في إخراج هذا البحث إلى حَيز الوجود . فَجزاه الله عَني خَير الجزاء .

ثم شُكر وتَقدير وعِرفان للجُهود الجَبارة الصَامدة التي شَاركتني البَحث والتَنقيب والجُهد وكانت تَحتضن مَتاعبي ، وتَشد عَزمي ، وتَدفعني إلي الأَمام : والدي ووالدتي وزَوجي وصَديقاتي .

وأسأل الله تعالى أَن يَجعل عَملي هذا مُكللاً بالرضى والقبول .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المقـــدمة

الحمد لله الذي يسر لي سبل العلم ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد معلم البشرية الأول ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعـــد : فقد كان التخصص في دراسة الأدب العربي ، أمر تطلعت إليه نفسي ، وسعت إليه خواطري وآمالي وطُموحاتي ؛ رَاجية أن أقف منه جانباً يتيح لي رؤية أوسع وأشمل له ولشخصياته وقَضاياه الأدبية والنقدية .

وقد بَدأت هذه المسيرة العِلمية الشيقة في السنتَين المنهجيتَين ، ثم أتممتُها باختياري موضوع البحث شَخصية من بين عَمالقة الشِعر والبلاغة والنَقد في الأدب العَربي العباسِي ، وهو عبد الله بن المعتز بالله العبّاسِي ، ابن الخليفة العبّاسِي المعتز بالله وحَفيد الخليفة العبّاسِي المتوكل .

ويَرجع الفَضل في اختيار مَوضوع البحث لأُستاذي الجليل الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، الذي احتضن البَحث في أيامه الأولى . ثم تَعهده في مِشواره الطَويل ، ورَعى مسيرته العلمية أستاذي الفاضل الدكتور عبد الحكيم حسان ، فكان خير مرشد ومسدد لخطاه ، وقائل لعثراته . جزى الله أستاذيّ عَني خَير الجزاء .

حَظيت شَخصية ابن المعتز العبّاسِي التَاريخية والشِعرية والنَقدية بالكَثير من البَحث والدِراسة والتَحليل ، من قِبَل مُؤرخين ومُؤلفين وأُدباء . فتناول المؤرخين شخصية عبد الله بن المعتز بين أحداث عَصره السياسية ، رَجلاً عَاش مُعاناة عَصره حَوادثه وأَحدَاثه ، فَسلبته جَده المتوكل ، ووالده المعتز ، ثم أَعمامه الواحد تلو الآخر . ثم كان هو ضَحية جَديدة على مَسرح أَحداث عَصره ؛ فقد كان أَهلاً للخلافة زَمناً ثم أُوتيها فلم يبقَ فيها سِوى يَوم ولَيلة ، حتى قُتل شَرَّ قِتلة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم تَناول الدَارسون شَخصية ابن المعتز الشَاعِر والنَاقد وعَالم البلاغة ، فكان شَاعراً مُبدعاً تَأثر بالظروف السَياسية والإجتماعية والفِكرية والفَنية التي عَاشها ، ثم بعَمالقة الشِعْر في عَصره والعصور السَابقة عليه . من خِلال أَغراض شِعْره ، المدح والعتَاب والوَصف الرثَاء والغَزل . وقد حَصلتُ على عَدد منها :

فكانت الدراسة الأُولى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عام ١٩٤٨م ــ ١٩٥٨م . المتجسمة في كِتابه ابن المعتز وتُراثَه في الأدَب والنَقد والبيَان . تناول فيها الكاتب شخصية ابن المعتز الشِعْرية من جَوانبها المختلفة الإجتماعية والفَنية ثم تَناول منها جَانب التَأثر والتَأثير .

ثم صَدرت دِراسة أُخرى للأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي سنة ١٩٥٧م في كِتابه عَبد الله بن المعتز العبّاسِي حَياته وإنتاجه ، تَحدث فيه عن شَخصية الشَاعر في عَصره ، وأَثره على شعره .

وتَخللت الدِراستين السَابقتين قِصة تَاريخية لخلافة ابن المعتز وما أَحاط بها من أَحداث للأستاذ عَبد العزيز سَيد الأَهل عام ١٩٥١م أسماها يوم وليلة .

ثم في عام ١٩٦٤م ، وفي سِلسلة أَعلام العَرب (٣٦) ، أَصدر الدكتور أَحمد كَمال زكي دراسة تاريخية قصصية ، وتَرجمة لشَخصية ابن المعتز العبّاسِي العَالم والنَاقد والشَاعر من خِلال عَصره ، وأَحدَاث حَياته . حَاول خلال ذلك أَن يَرسم مَلامح واضِحة لهذه الشَخصية كما شَكلتها الأَحداث والأيام .

وفي سِلسلة ذَخائر العرب (٥٤) أَصدر الدكتور محمد بَديع شَريف ديوان أَشعار الأَمير أبي العَباس ، عَبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي في عام ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م في جزئين وصدَّر للجزء الأول بدرَاسة للشَاعر وعَصره وأَغراض شِعره في مائتين وخمس عشرة صفحة من الجزء الأَول .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ثم جمع الدكتور يُونس السَامرائي شِعْر ابن المعتز ، وحَققَه من خِلال مَخطوطة أَبي بَكر محمد بن يَحيى الصُولي عام ١٩٧٨م في ثَلاثة أَجزاء ، كان الجزء الأَول دِراسة للشَاعِر وعَصره وشِعْره ، والجزءآن الآخران أَورد فيهما أَغراض الشِعْر المختلفة التي تَناولها ابن المعتز . وكان هو المصدر الأول الذي اعتمدت عَليه في دراستي لشِعْر الوصف ، واستخلاص النماذج الشعرية المناسبة منه ، التي عَرضتها أَثناء الدرَاسة .

ثم كانت آخر الأمر دِرَاسة الدكتور سَعد إسماعيل شَلبي عن ابن المعتز العبّاسِي صُورة لعَصره ، وآثاره في عام ١٩٨١م ــ ١٤٠١هـ .

ثم طالعتني دِرَاسة للدكتور عبد الفتاح التَطاوي ، بعنوان : قَضايا الفن في قَصيدة المدح العَباسِية . وهي عِبارة عن دِرَاسة تَطبيقية في شِعْر البحتري وابن المعتز عام ١٩٨١م .

وأخيراً يَأتي هذا البحث الذي يَتناول جَانب الإبداع الشِعْري في شِعْر الوَصف عِند عَبد الله بن المعتز ، وهو أَول دِرَاسة كَاملة لغرَض من أَغراض شِعْره .

ومَنهَجِي في البَحث تَناول الوصف في شعر ابن المعتز بأَغراضه الطَبيعَة والخَمر والصَيد ، كما عُرف في الشِعْر العَربي .

فأستقرأت شِعر الشَاعر ، واستخرجت منه خصائصَه الفنية المتصلَة بالصُورة في الوَصف ، ثم الخصَائِص الأَسلوبية له ، وعَرضت خِلال ذَلك نَماذج من شِعره ، تَتضح فيها الخصَائص السَابِقَة ، واقتَصر اختياري على أَبرزها ، وَأَوضَحها دلالة على ما ذكرت .

أما خُطتي في البحث فَقد رَتبته (**بعد المقدمة**) إلى أَربعة أَبواب . وكان **البَاب الأول : الوصف** .. وقد ضَم هذا البَاب فَصلين هما :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفَصل الأول : تَناولت فيه تَعريف الوَصف منذ العَصر الجَاهِلي وحتى العَصر العَبّاسِي ؛ متناولة أَشهر شُعَرائه ، وأَثر كُل منهم على هذا الغَرَض .

الفصل الثاني : أَبواب الوَصف عند ابن المعتز ــ الطَبيعة والخمر والصَيد ، مَنهجه في الوصف ومعانيه وصوره ، ومكانه بين شعراء الوصف .

أما الباب الثاني : فهو دِرَاسة فَنية نَقدية لِشِعر ابن المُعتَز في الوَصف ، ويَحتوي على ثَمانية فصول :

الفَصل الأَول : التعَمق في الصُورة ، أَبعادها ومَداها .

الفَصل الثَاني : العِنَاية بِتَفاصيل الصُورة ، والإِحَاطة بها .

الفَصل الثَالث : التَشخيص ومَدى رَبط الصُور بخَصائص الإِنسَان .

الفَصل الرَابع : الخَيال التَركِيبي ، وإِيضَاح التَحليل والتَركيب في الصُورة .

الفَصل الخَامس : تَكثيف الصُور لموصوف واحد ، وأَثرها على الصُورة .

الفَصل السَادس : الجَانب النفَسي في الصُورة ، وأَثره عَليها .

الفَصل السَابع : التَعرف على الدلالات الحَرَكية في الصُورة .

الفَصل الثَامن : ضَعف التَصوير في شِعْر الوَصف .

والبَاب الثَالث : دِرَاسة أُسلوب الوَصف عِندَ ابن المعتز ــ وفيه ثَلاثة فُصول :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفَصل الأَول : لُغَته الشِعْرية .

الفَصل الثَاني : الصَيغَة في شِعْره .

الفَصل الثَالث : مُوسيقَى شِعْر الوَصف وأَوزَانه عند ابن المعتز .

أما البَاب الرَابع والأَخير : فعن مَوقف العُلماء والنُقاد والدَارسين من شِعْر الوَصف عند عَبد الله بن المعتز ــ وفيه فَصلان :

الفَصل الأَول : مَوقِف العُلماء والنُقاد القُدَامى من شِعْر الوَصف عند ابن المعتز .

الفَصل الثَاني : مَوقِف العُلماء والنُقاد والدَارسين المحدَثين من شِعْر الوَصف .

ثم الخَاتمة وتَحتوي على نَتائج البَحث .

ثم المَصَادر والمَراجع ، والفهرس .

وقد بَذلت في بَحثي هذا غَاية جَهدي ، وأَخلصت فيه لله قَصدي فما فيه من خَير بتوفيق الله وحَده ، وما فيه من خَطأ فمن قُصوري لا تَقصيري ، ومن عَجزي لا تَفريطي .

أحمده تعالى ، وأَشكره على نَعمائه التي لا تُحصى ، وأن أَعانني على إِتمام بحثي وأَسأله أَن يَجعل عَملي هذا خَالصاً لوجهه الكريم ، وأَن يجزي عني خَير الجزاء ، كُل من أَعانَني فيه ، وسَدد خُطَاي ، وأَن يَوفقَني إلى مُواصَلة مَسيرة العِلم ، ومُواكَبَة رحلَة الفكْر ، إِنه على كُل شيء قَدير .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الأول

الوَصْف

وفيه فصلان

الفَصل الأول : تَعريفُ الوَصْف وتَطورهِ مُنذ العَصْر الجاهِلي والى العَصْر العَبَّاسي

الفَصْل الثاني : أبواب الوَصْف عِنْد عبدالله بن المُعْتز الطَبيعَة والخمر والصَيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول: تعريف الوصف وتطوره منذ العصر الجاهلي وإلى العصر العباسي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفَصل الأَول

تَعْريف الوَصْف وتَطَوره

مُنْذ العَصْر الجاهلي وإلى العصر العباسي

تناول عبد الله بن المعتز العباسي[1] في شعره الأغراض المختلفة : من مدح وفخر وهجاء ورثاء وتهاني وعتاب وغزل ووصف ، فكان شعره ملامح من حياته وحياة عصره السياسية والإجتماعية .

---

(١) وُلد أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم في سامرا حاضرة الخلافة العباسية ، وأُختلف في سنة مولده والمرجَّح أنه وُلد لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين (٨٦١م) . كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً ، كان أديباً بليغاً وشاعراً مطبوعاً قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ، حسن الإبداع للمعاني مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم . عاصر الشاعر عشر خلفاء هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد ثم الموفق والمعتضد والمكتفي ثم المقتدر ، وكانوا جميعاً بين جدٍّ له ووالد وعَم وابن عمّ .

ولم تذكر كتب التاريخ الكثير عن نشأته وحياته في طفولته ، إلا إننا نستطيع أن ندرك ما يمكن أن يحظىٰ به هذا الطفل الذي وُلد وتَربىٰ في قُصور الخلفاء . وصَادف في طفولته الأولىٰ خلافة أبيه المعتز بالله الذي أحبَّه وأولاه العناية والإهتمام .

وبالإضافة إلى الترف والنعيم الذي عاش فيه ، وما أحاط به من مظاهر الثراء والجمال والأبهة مما كانت تزخر به قصور الخلفاء من الفُرش والرياش ، وفنون العمارة والزخارف هناك العلوم والمعارف وألوان الثقافة التي أخذها عن علماء عصره والمتقدمين منهم المبرِّد ، ومحمد بن هبيرة ، ومن أساتذته أبو علي الحسن بن علي العنزي ، وثعلب . ويذكر الصولي في الأوراق أن عبد الله بن المعتز سمع من أحمد بن أبي فَنن . وممن قام على تأديبه أيضاً البلاذري ، وأحمد بن سعيد الدمشقي ، وكان محمد بن زياد الضنبي قد رعاه بالتعليم في حياة أبيه ، وكانت دار ابن المعتز مجمعاً لأهل الأدب ، وكانت جماعة منهم يجلسون إليه فيها . وورد نص في الأغاني يَدُل على حُسن عِلْم عبد الله بن المعتز بصناعة الموسيقى والكلام على النغم ، وأنَّ له في ذلك كُتباً مشهورة — مثل الجامع في الغناء — ومراسلات جرت بينه وبين عُبيد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم .

ويذكرون له عدة مؤلفات هي : كتاب الزهر والرياض ، ومكاتبات الإخوان بالشعر ، وكتاب أشعار الملوك ، وحُلي الأخبار ، والجامع في الغناء ، والسرقات والجوارح والصيد ، وكتاب الآداب ، وطبقات =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومن الأغراض التي برع فيها : وَصف الطبيعة والخمر والطرد . وقد شهد له بهذا التفوق والسبق والإجادة كثير من العلماء والنُّقّاد قدامى ومحدثين . وقد أوردوا شواهد ونماذج من شعره تدل على تفوقه في هذا الغرض ، واختاروا من شعره شواهد تُعرض في الدرس البلاغي على حُسْن

= الشعراء ، وكتاب في ذم الصبوح وهي أرجوزة ، وكتاب فصول وتماثيل في تباشير السرور ، ثم كتاب البديع الذي تناول فيه ابن المعتز علوم البلاغة ، وكان له أثر في النقد والبلاغة فيما بعد .

أما قصة مقتله فهي مشهورة لغرابة أحداثها . فبعد وفاة المكتفي بُويع بالخلافة لأخيه المعتمد — بعد أن اختاره المكتفي لها — وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ثم انشغل بجاريته ظلوم ، وأصبحت الأمور بأيدي نساء القصر ؛ فوُجدت حركة عند آل الجراح ، وانضم إليهم الحسين بن حمدان ، ومحمد بن سَعيد الأزرق الأنباري كاتب الجيش ، وبَدْر الأَعجمي ، ووصَيف بن صوار تكين لخلع المقتدر بالله ، وتولية ابن المعتز ، فهو أحق بالخلافة،وأقدر عليها ، وأجابهم على أنه لا يُسْفَك دَمٌ . وكان المقتدر قد خرج يلعب بالصولجان فقصد إليه الحسن بن حمدان يريد أنْ يَفْتك به ، فلما سمع الصيحة بادر إلى دار الخلافة ، فأغلقها دون الجيش ، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار المحزمي ؛ فبايعوا عبد الله بن المعتز ، وخُوطب بالخلافة ، ولُقب بالمرتضي بالله ، وقال الصولي : إنما لقبوه المنتصف بالله ، واستوزر أبا عبيد الله محمد بن داود ، وبعث إلى المقتدر، يأمره بالتحوّل عن دار الخلافة إلى دار ابن طاهر ؛ لينتقل إليها ، فأجابه بالسمع والطاعة ، فركب الحسن بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلمها ؛ فقاتله الخدم ومن فيها ولم يسلموها إليه وهزموه ... ثم ارتحل من فوره إلى الموصل ، وتفرّق نظام ابن المعتز وجماعته ، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامراء لينزل بها ؛ فدخل دار ابن الجصاص التاجر الجوهري ، فأستجار به فأجاره ، ... وبَعَث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم ، وقتل أكثرهم ، وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة ، فجدد البيعة إلى المقتدر ، وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص ؛ فصادر ابن الجصاص بمال جزيل نحو ستة عشر ألف ألف درهم ، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز فلما دخل في ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأُخرجت جثته فسُلّمت إلى أهله فدفن ، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

فمكث عبد الله بن المعتز في الخلافة يوم وليلة ، قُتل بعدها ، وطار خبره هنا وهناك ، وتناقل المؤرخون للسياسة خبرة ، كما تناقله المؤرخون للأدب والشعر ، والدارسون له .

وقلة أخباره ، وعدم توفر المصادر الكافية عن أحداث حياته ليست هي المشكلة الوحيدة التي تواجه الباحث عن ترجمة وافية لابن المعتز ، بل هناك الإختلاف في عام مولده ، والإختلاف في أمر زواجه ، ثم اختلافهم في إنجابه للأولاد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

التشبيه وروعته وبراعة الاستعارة[1] ، ومهارة الشاعر في استغلال الظواهر المتشابهة والبعيدة .

= وكان لأحداث عصره ، والظروف التي مرّت به وبأسرته ، والسوء الذي لحق بأفراد منهم أثر بعيد في نفسه ، وشعره ، وكان أكثر بني العباس أدباً وعلماً ، ومن أشعر شعراء عصره .

انظـــر :

ـــ أبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) كتاب الأغاني ، مصور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٣م ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٠ ـــ ٢٨١ .

ـــ عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، كتاب الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت . ١٣٩٨ ـــ ١٩٨٧م ، الجزء السادس ، ص ١٢١ ـــ ١٢٢ .

ـــ ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) كتاب وفيات الأعيان ، حققه الدكتور إحسان عباس . دار صادر ، بيروت . المجلد الثالث ، ص ٧٦ .

ـــ الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، كتاب البداية والنهاية ، تحقيق دكتور أحمد أبو ملحم وآخرون ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م دار الكتب العلمية ـــ بيروت ، لبنان ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، ص ١١٤ وما بعدها .

ـــ الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، كتاب تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، ص ٣٥٠ ـــ ٣٥١ .

ـــ دائرة المعارف الإسلامية ، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها إبراهيم زكي خورشيد ، وآخرون تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية ، الشعب ، ج ١ . ص ٣٩٠ ـــ ٣٩١ .

ـــ الدكتور أحمد كمال زكي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة من سلسلة أعلام العرب ٣٦ ـــ ص ١٣٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

ـــ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق الدكتور يونس السامرائي ، سلسلة كتب التراث (٦٧) وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، القسم الثاني ، الدراسة ص ٢٧ ـــ ٣٠ ـــ ٥٧ ـــ ٩٦ .

(١) أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م . الناشر دار الكتب العالمية ـــ بيروت ـــ لبنان ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ .

وانظر كذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ ـــ ١٠٧٨م) ، كتاب أسرار البلاغة ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ ـــ ١٩٧٩م . الناشر مكتبة القاهرة . ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والوصف من الأغراض التقليدية المتجددة تُعَبر بها الفطرة الإنسانية عما تريد أن تنقله وما مرَّ بخبرتها ، فهو وسيلة متطورة لدى الأمم لتنقل أحاسيسها وانطباعاتها تجاه ما حولها .

ومع أنَّ معظم الشعراء قد تناول هذا الموضوع ، إلا أنهم يتفاوتون في مراتبهم وأقدارهم فيه ، بل وفي أبوابه ، فمنهم من برع في وصف الطبيعة حية وجامدة ببساتينها ورياضها وأشجارها ، وأزهارها وأرضها وسمائها ، ومنهم من برع في وصف الخمر لونها وطعمها وأوانيها وعاصرها وشاربها وساقيها ، والبعض الآخر برع في الطرد ، فوصف حيوانه من خيل وكِلاب وصقور ، والآلة من نبال وقسى وحبال ، ثم الحيوانات المصطادة نفسها كالحمام والبط وغيرها .

وقد عُرف الوصف(1) منذ عُرف الشعر العربي ، بل هناك من يقول أن الشعر العربي كله إلا أقلة من باب الوصف(2) ؛ فيدخلون الغزل والمدح والفخر وغيرها من الأغراض في دائرة الوصف على اعتبار وصف الإنفعال والشعور . ثم تطور الوصف مع تطور الشعر ، وتعرض للمؤثرات المختلفة في العصور الأدبية المتعاقبة .

« والوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان ، لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات ، وما يكشف للموجودات منها ، ولا يكون ذلك إلا بتمثل الحقيقة ، وتأديتها إلى التصور في طريق من طريق السمع والبصر والفؤاد »(3) .

---

(1) والوَصْف في اللغة : الكَشْف والإِظْهَار ... ونقول : « وصَفْتُه وَصفاً وصِفَة ، وله أَوْصَافٌ وصفات حسنة . وتواصفوا بالكرم ، وهو شيء موصوف ومتواصَف ومتَّصِفٌ ؛ قال طرفه :

إنّيّ كفانيَ من أمرٍ هممتُ به … جارٌ كجار الحُذاقيّ الذي اتّصفا

الحُذاقي : أبو دؤاد الإيادي وقد اتصف جاره أي صار منعوتاً متواصفاً بين العرب ممُدَّحاً . وواصفته الشيء ومواصفة (الإمام جار الله الزمخشري ، كتاب أساس البلاغة ، طبعة عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م . الناشر : دار صادر ، بيروت ، ص ٦٧٨ .

(2) ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) . كتاب العُمْدَة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م . الناشر دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٩٤ .

(3) مصطفى صادق الرافعي ، كتاب تاريخ آداب العرب ، جـ ٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م . ص ١١٩ ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان . ص ١١٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكأن قدرة الشاعر على نقل الصفة بما يبرزها بخصائصها للقاريء ، ثم درجة النقل دليلٌ على تفوق الشاعر وبراعته ، ومدى دقته في نقل الصفة تجعله يتبوأ مكانة بين شعراء الوصف . ومما يُؤكد ذلك قولهم في الوصف أيضاً « أحسن الوصف ما نُعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع »[١] .

وللرافعي رأيٌ في منزلة الوصف من العلم ويستشهد على ذلك برأي للجاحظ في أشعار العرب التي تناولت شيئاً من صفات الحيوان الواردة في كتب العلم . يقول الرافعي : « وهي الطريقة التي اتبعها العرب في أوصافهم بدلالة الفطرة القوية ، والطبيعة الراقية ، وقد كان سبباً في تطبيقهم وصف الحيوان والنبات ، وغيرهما على علومهم ومعارفهم التي خلدوها بذلك في أشعارهم ؛ لأن أخص مزايا العلم التدقيق والاستقصاء حتى قال الجاحظ : كلّ معنى سمعتاه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن قد وجدنا قريباً منه في أشعار العرب والأعراب »[٢] ، انتهى .

ولما كان الوصف يعني القدرة على استقصاء معاني الموصوف « كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضُروب المعاني ، وكان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثّله للحس بنعته »[٣] .

هذا المقياس القديم يتسم بالسطحية في الحكم على ظاهرة الوصف إذ أنه لا يقيس مدى ارتباطه بالحس الشعري وبأفكار الشاعر وخيالاته ، بل وارتباط الموضوع في الوصف بنفسية الشاعر ، ويذكر ابن رشيق تفاضل الناس في الأوصاف ، فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها ، وإن غلبت عليه الإجادة في بعضها ، ثم يذكر ابن المعتز وأنه من المتصرفين المجيدين للأوصاف ، ثم أشار إلى جيميته[٤]

(١) ابن رشيق القَيْرَواني ، كتاب العُمْدَة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .
(٢) كتاب تاريخ آداب العَرَب ، جـ ٣ ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ .
(٤) ابن رشيق القيرواني ، كتاب العُمْدَة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .
(٤) انظر كتاب العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وحين أورد ابن رشيق شعراء اشتهروا في وصف أشياء بعينها ذكر « أما نعَّات الخيل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد[١] ، وطُفَيل الغَنَوي[٢] ، والنابغة الجعدي[٣]، وأما نعَّات الإبل فطَرَفة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حَجَر[٤] ، وكعب بن زهير ، والشماخ[٥] ، وأكثر القدماء يجيد وصفها ؛ لأنها مراكبهم ، ... وكان عُبَيد بن حُصَين الراعي النميري[٦] أوصَفَ الناس للإبل ،

(١) أبو داود الإيادي : شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر (أبو الفرج الأصبهاني ، كتاب الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ٣٧٣ — ٣٨١) .

(٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهلي من الشعراء المعدودين ، يزعم الأصمعي أنه أقدم من النابغة وهو ثالث الشعراء الوصافين للخيل ، ولقب بالمحبر لشهرته بذلك (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، جـ ١ ، ص ١١٩ — ١٢٠) .

(٣) النابغة الجعدي : هو أبو ليلى حسان بن قيس بن جعده بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، كان الجعدي أسنّ من نابغة بني ذبيان .. طويل البقاء في الجاهلية والإسلام ، وفنون شعره المشهورة : المدح والهجاء والوصف ، وكان من أوصف الناس للفرس (أبو فرج الأصبهاني ، كِتَابُ الأَغَانِي جـ ٥ ، ص ١ — ٣٣) .

(٤) أوس بن حجر التميمي : كان معاصراً لعمرو بن هند ملك الحيرة ، وقتل أبوه يوم الحجاز سنة ٥٥٤م ، وكان مولده بالبحرين . وطاف بشعره ومدائحه في نجد والعراق ، حيث نادم ملوك الحيرة . وكان زهير المشهور ربيبة وراويته . ونالت أشعاره شهرة في وصف الصيد والسلاح . (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، جـ ١ ، ص ١١٢ — ١١٣) .

(٥) الشماخ بن ضرار الذبياني . كان معاصراً للحطيئة ، ويروىٰ أن الحطيئة كان يعده أشعر بني غطفان . وضع محمد بن سلام الجمحي الشماخ في الطبقة الثالثة من طبقات الشعراء . مع أبي ذؤيب والنابغة ولبيد . واشتهر الشماخ بوصف القوس وحمار الوحش ، كما تفوق في شعر الإرتجال والرجز . (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .

(٦) عبيد بن حصين الراعي النميري : لقب براعي الإبل لكثرة وصفه للإبل .. ولجودة ذلك الوصف ، وكان شاعراً فحلاً يسلك النهج القديم ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين .. أما فنونه فالهجاء والمديح ووصف الإبل ، وكانت وفاته سنة ٩٠هـ (عُمر فروخ ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، جـ ١ ، ص ٥٢٥ — ٥٢٦) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولذلك سمّي راعياً ، وأما الخمر الوحشية والقِسيُّ فأوصف الناس لها الشماخ ، شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخيل والقِسيّ أيضاً والنبل ، وأما الخمر فمن أوصاف الأعشى ، والأخطل[1] ، وأبي نواس "[2]" ، وابن المعتز ، ولأبي نواس أيضاً وابن المعتز الصيد والطرد »"[3]" . انتهى .

فإجادة ابن المعتز لفن وصف الخمر والصيد جعل ابن رشيق يُلحقه بشعرائها الأوائل . فابن المعتز في المرتبة الرابعة من شُعراء الخمر ، وهو أيضاً مع أبي نواس في الصيد والطرد .

وهذا القول وثيقة تاريخية نقدية نضعها في اعتبارنا ونحن ندرس الوصف في شعر ابن المعتز . ثم يبقى تتبع هذه الظاهرة — الوصف — ومعرفة مكانها من الظواهر المشابهة عند غيره من الشعراء في عصره والعصور السابقة عليه ما أمكن ذلك .

ومما قيل في هذا الصدد أيضاً « لا يُذكر مع أمريء القيس في منزلته من اختراع التشبيه إلا ابن المعتز »"[4]" .

واختراع التشبيه معناه إبداع الشاعر في الصورة الشعرية في مجال الوصف وابتكاره لها حتى أصبحت سمة مميزة جعلته يُشبه شاعر العربية الأول إمرؤ القيس ، مع محافظته على لغة الوصف القديم .

وأحسن الوصف عند الرافعي ، هو ما خرج عن علم ، وصرّفته روعة العجب ؛ ليخرج في أكمل صورة وأروعها يقول : « وإن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج من علم وصرّفته روعة العجب ، فإن العلم يُعطي مادة الحقيقة ، والعجب يُكسبها صورة المبالغة الشعرية »"[5]" .

---

(١) انظر ترجمة الأخطل ص ١٧ من هذا البحث .
(٢) انظر ترجمة أبي نواس ص ١٧ من هذا البحث .
(٣) ابن رشيق القيرواني ، كتاب العُمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٤) مصطفى صادق الرافعي ، كتاب تاريخ آداب العرب ، جـ ٣ ، ص ١٢٤ .
(٥) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وإذا أردت أن أتتبع الوصف في العصور الأدبية المختلفة ، فإن الشعر الجاهلي صورة صادقة ودقيقة للبيئة الساذجة ، وهو : « سجل أو شريط واضح جلي ، تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية ، كأنها تجري في حقيقة الواقع ، وليست توصف في الحروف والألفاظ ، عبر الذهن . فهو يضعنا وجهاً لوجه أمام معالمها ، كأننا نعيش في قلبها ، ولسنا نتخيلها تخيلاً ، أو نفترضها افتراضاً . ويكاد الجاهلي لا يدع حيواناً أو مشهداً دون أن يصوره . لقد ذكر الفرس والأوابد والحمر الوحشية ، والعقاب والذئب ، فضلاً عن الصقر والقطاة ، كما أنه تصدى لوصف الحيّات والأفاعي . هذا في الحيوان ، أما في الطبيعة الساكنة فقد عرض لها بقسم وافر من شعره ، خاصة تلك المظاهر التي كان لها تأثير مباشر في حياته ، كالطلل والصحراء والبرد والليل ... والواقع أن القصيدة الجاهلية تختلف إلى مواضيع متعددة ، لكنها تتردد في الغالب على بعض المواضيع أكثر من سواها ، أو من دونها . وقد كان الطل أهم تلك الموضوعات ، لما له من علاقة مباشرة بوجدان الشاعر ، وتنازعه مع ميوله وعواطفه ، ولما يستثيره في نفسه »[1]

أما الوصف في العصر الأموي فهو : « وصف متعزل ، ظل يعيش في خاطر الصحراء بعيداً عن الرياض والجنائن وأنه ظل يتولى المواضيع والمعاني والصور القديمة ، يتطور بها بعض التطور ويخلع عليها الجدة من نفسيته ، لكنه لم يتحول عنها إلى البيئة الجديدة المترفة التي نعم بها . وإذا تمثلنا الحقبة التي تفصل بين الأخطل وذي الرمة (٦٤٠ — ٧١٠) (٦٩٧ — ٧٣٦) نتحقق ان الوصف كان ينزع إلى التجريد والصور المعنوية الوجدانية ، تلك الصفات التي ستغلب على الوصف في الشعر العبّاسي »[2] .

ويذكر الدكتور مصطفى هدارة منهج الوصف في القرن الثاني الهجري فهو يتسم بالشمول والاستقصاء والسخرية أحياناً والفكاهة أو المجون أحياناً أخرى . يقول : « أن الوصف كان من فنون الشعر التي تجددت بالفعل في القرن الثاني واتسعت دائرتها إلى حد بعيد في وصف الماديات والمعنويات على السواء ، ووصف المحسوس وغير المحسوس ، وأن مظاهر الحضارة الجديدة قد

(١) إيليا الحاوي ، كتاب فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، الفنون الأدبية عند العرب(١) ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م ، الناشر دار الكتاب اللبناني — بيروت ، ص ٢٠ — ٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٠ — ١٣١.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

انعكست بأجلى صورها وأدق جزئياتها في شعر هذا القرن ، كما إتخذ الموصف ألواناً كثيرة ، منها شمول النظرة والاستقصاء ، والميل إلى السخرية والفكاهة والنزوع إلى المجون أحياناً . يضاف إلى ذلك تطور شعر الطبيعة تطوراً ظاهراً ، فبعد أن كان وصفاً تقليدياً يصور الجانب العنيف من الطبيعة أو الجانب الوحشي ، أصبح وصفاً وجدانياً يصور جميع نواحيها وبخاصة الرقيق الباسم »[1] .

فالوصف أصبح أكثر ارتباطاً بالوجدان حين يتناول الطبيعة الهادئة ومظاهرها المختلفة .

وقد أُغرم الشعراء العباسيون بمظاهر الحضارة المادية الأخرىٰ ، فوصفوا القصور والقباب ، والقوارات ، والرياض ، والبساتين ، والأزهار ، ومظاهر الحضارة المادية الأخرىٰ ، فوصفوا داخل القصور والبيوت ، وما تحتويه من أثاث ورياش ، وكذلك وصفوا وسائل الثقافة في عصرهم من أقلام وأوراق وغيرها .

فوصف علي بن الجهم[2] أحد قصور المتوكل ، ووصف البحتري إيوان كسرىٰ[3] ، ووصف الصنوبري[4] الرياض والأزهار ، حتى عُرف بشاعر الروضيات .

(١) كتاب اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٩) الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف ، ص ٤٦٦ .

(٢) علي بن الجهم بن بدر ، السامي الشاعر . جيد الشعر ، عالماً بفنونه ، وله اختصاص بجعفر المتوكل ، نادمه زمناً ، توفي سنة ٢٤٩ هـ/٨٦٣م (أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٦ ــ ٢١٩) .
(الحافظ البغدادي ، ت ٤٦٣هـ ، كتاب تاريخ بغداد ، الناشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، جـ ١١ ، ص ٣٦٧) .

(٣) انظر ديوان البحتري (ت ٢٨٤ هـ ــ ٨٩٧ هـ) ، الناشر دار صادر ، المجلد الأول ، ص ١٩٠ ــ ١٩٤ .

(٤) أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الصنوبري . لقبه « الصنوبري » توفي سنة ٣٣٤هـ ، ٩٤٥م . وله ديوان جمعه الصولي في نحو ٢٠٠ ورقة ، وأكثر شعره في وصف الطبيعة يسجل ظاهراتها ، تسجيل فنّ ودقة ثم يخرج تلك الظاهرات إخراجاً فنياً حافلاً بالحياة والحركة واشتهرت روضياته كما اشتهرت خمريات أبي نواس (الدكتور شوقي ضيف ، كتاب الأدب العربي ــ ٤ ــ ، العصر العباسي الثاني ، الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف ، ص٣٤٧ ــ ٣٦٨) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وافتنّ الشعراء في كل ذلك وأبدعوا ، وجاءوا بالجديد والطريف ، وأصبح وصف الطبيعة في قصيدة المدح العباسية ركناً هاماً من أركان معنى المديح فيها ؛ فيورده الشاعر « تمهيداً لثناءٍ على الممدوح ، وهناك يتحرى الشاعر أن يصف من الطبيعة ظواهر بعينها ، كالبرق والسحاب والأمطار التي تجود على الأرض فتحييها التماساً للحديث عن فضل الممدوح وجوده ، وعن نعمة الحياة في ظل حكمه »[١] .

ولم تكن معاني المديح وحدها المعتمدة على الطبيعة وأوصافها بل أصبحت عناصر الطبيعة تحتل مكاناً في مقدمات القصائد بدلاً من الأطلال والحديث عنها أو وصفها عند الوقوف عليها

« والشاعر العباسي كان يحتفظ أحياناً في مقدمات مدائحه بوصف الصحراء وأحياناً يتركها إلى وصف الطبيعة في الحاضرة ببساتينها ورياحينها ، وقد أخذ يخص هذه الطبيعة بمقطوعات وقصائد كثيرة ، بحيث أصبحت موضوعاً جديداً واسعاً ، وكان يمزج نشوته بها في بعض الأحيان بنشوة الحب أو نشوة الخمر وسماع القيان ، وفي كثير من الأحيان كان يقف عند تصوير فتنته بها وبورودها ورياحينها »[٢] .

وكان للفلسفة والمنطق وعلم الكلام والجدل ، ثم لاتجاه الصنعة أثر على الشعر العباسي عامة ، ثم الوصف خاصة ؛ فظهر التعمق في المعاني والصور ، ولم يَعْد الجناس تركيبات صوتية متماثلة ، ولا الطباق معاني ذهنية متقابلة ، بل اتخذت داخل صور لها أعماق وأبعاد ؛ فأورث ذلك بعضهم الغموض الفني ، والبعض الآخر التعقيد المعنوي . « ولعل أهم خاصة من خصائص

---

(١) الدكتور عز الدين اسماعيل ، كتاب الشعر العباسي الرؤية والفن ، ١٩٨٠م ، الناشر دار المعارف ، ص ٤٠٢ .
وانظر كذلك : د. شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الثاني ، ص ٢٣٢ .

(٢) الدكتور شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الأول ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٦ م ، دار المعارف ، ص ١٨٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوصف في الشعر العباسي هي خاصة التعقيد . فالشاعر لم يعد يسيغ المعاني البسيطة المنفردة ، والصور القريبة المتناول ، والتشابيه الدنيّة اليسيرة ، بل نراه يُمازج المعاني ، ويخادع في سترها وطلائها ممتزجاً في ذلك بين النزعة الفلسفية التي تظهر في شعر أبي تمّام ، والنزعة البديعيّة المسرفة ، كما ظهرت في شعر مسلم بن الوليد ، أو تأثير علم الكلام والجدل كما في شعر ابن الرومي . وهناك ، أيضاً المواضيع التي ألمّ بها الشاعر العباسي ، وقد اختلفت غاية الاختلاف عن المواضيع التي كان يلمُّ بها الشاعر في الوصف الأموي والجاهلي : إلا أن اختلاف المواضيع لا يعدو أن يكون اختلافاً خارجيّاً ، لأن قيمة التطوّر الداخلي تظهر في روح الأسلوب ، وطبيعة الصورة الفنية . ومن هذا القبيل ، يتبيَّن لنا أن الوصف العباسي تميز بخصائص جديدة ، تمثلت في قدرة الشاعر على التجريد وتداول المعاني كصور ، وانكشاف على عالم الضمير ، وما يتمَوّج فيه من ظلال وأشعة شعورية . بيد أن البديع أغوى الشعراء العباسيين ، بالزخرف والأصباغ ، فأصبح الشاعر يلتفت إلى الخارج ، مفتشاً عن الحروف المتجانسة ، والمعاني المتطابقة ، والصور المتناقضة وما إلى ذلك من أساليب خارجية تستثير بالغرابة والدهشة أو تُوهم بالعمق والجدَّة لما تشتمل عليه من تعقيد وازدواج وتردد »(١) .

ومن خصائص الشعر العباسي عامة والوصف خاصة « استقلال القصيدة وترابطها بوحدة متطورة محكمة ، فضلاً عن توازن التشبيه وتناسبه كجزء في القصيدة »(٢) .

وارتفعت نبرة الوجدان في الوصف العباسي ، وأكثر الشعراء من التشخيص لإبراز الطبيعة في صورة أوضح وأقرب للإحساس بالمعاني . أما النزعة الوجدانية « هي التعبير عن الأشياء من خلال الواقع الذاتي فقد تردد بها الوصف العباسي ، وجعلت تصفو ، كما في قصائد البحتري وابن الرومي ، وأحياناً أخرى ، فقد كانت تتجهم ، وتجفو ، ويعروها الانكماش خاصة عندما تستبدُّ بها نزعة التشخيص ، لاقتناص الشبه بين الحالات الإنسانية والمظاهر الطبيعية »(٣) .

١٨٢٤
جامعة أم القرى - مكتبة - AL-QURA UNIVERSITY

(١) إيليا الحاوي في كتابه فنّ الوصف ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويضيف الدكتور هدارة إلى وصف الطبيعة شعر الطرد ووصف الخمر ، وإن أصبح كلٌ منهما فناً مستقلاً رئيسياً من فنون الشعر العربي[١] .

ويذكر الدكتور مخلوف أن صاحب الحماسة (أبا تمام) عرض لفن الوصف فلم يزد على أن ذكر له ثلاثة نماذج ، مجموع أبياتها سبعة عشر بيتاً النموذج الأول للبعيث الحنفي ، وموضوعه الناقة ، والثاني لعنترة بن الأخرس في أرقم ، والثالث لملحمة الجرمي في السحاب والبرق[٢]

ونخلص إلى أن الوصف نقل للموصوفات عن طريق إحساس الشاعر بها كشكل أو هيئة أو لون ، استثار خياله ووجدانه فيلمُّ بأحوالها ـــ أي الموصوفات ـــ بأكبر قدر ممكن ، وهنا تكون الإجادة .

ويتفاوت الشعراء في مقدار براعتهم وإبداعهم في نقل الموصوف ثم امتزاجه بمشاعرهم ، واثارته لإحساس القاريء به .

* * *

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص ٤٧٤ .
(٢) انظر ديوان الحماسة ، شرح العلامة التبريزي ، جـ ٢ ، دار القلم ، بيروت ـــ لبنان ص ٣٨٠ ـــ ٣٨٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني : أَبْوَاب الوَصْف عند عبد الله بن المعتز

الطبيعة والخمْر والصَّيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الثاني

الوصف عند ابن المعتز

أولاً ــ وصف الطبيعة :

كان العرب أقواماً ، وقبائل تعيش في الصحراء ، وكان لإلتصاقهم بالصحراء أثر في دقة ملاحظتهم لها ، وحسن فهمهم لأحوالها ، وتقلباتها ، وقوة روابطهم ، وصلاتهم بها . ومن ثم أدىٰ ذلك بالضرورة إلى جودة تعبيرهم عنها .

وشعر الطبيعة الجاهلي « بسيط في أسلوبه ، عار من البهرج اللفظي ، يقصد إلى سبيله مباشرة في غير زينة ولا زخرف ، وإذا كان فيه غرابة فليس منشؤها التعقيد وإنما غرابة قاموسهم اللغوي بالقياس إلى قاموسنا ، وبعدنا عن مألوف الحياة العربية »[1] الأولى القديمة .

ومن صفات الشاعر الجاهلي أنه « صادق التعبير عن إحساسه ، يصف الحاضر المشاهد في غير مغالاة ، ولا إسراف ، وخياله محدود ، لا يبلغ درجة التخيل . وإبداع مخلوقات غريبة يُحاكي الطبيعة في دقة ، ويُمثل ما أمتثلته نفسه في غير مغالاة ولا إغراب .. شديد الشعور سريع التأثر .. وهو ذاتي يمثل نفسه بالآمها وأحزانها وخواطرها »[2] .

وبسبب ذاتية الشاعر الجاهلي ، واقتصاره على تصوير مشاهداته وآلامه وأحزانه ، وقف عند هذا الحد ، ولم يتعداه .

---

(١) الدكتور سَيد نَوفل ، في كتابه شِعْر الطَبيعة في الأَدب العَربي ، مكتبة الدراسات الأدبية (٧٢) الطبعة الثانية ، الناشر دار المعارف ، ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ ــ ٧٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولم يستطع الشاعر في صدر الإسلام أن يتعدى الحديث عن الدعوة الإسلامية ، وتناول أغراضها ، وموضوعاتها ، وإن كان لوصف الطبيعة نصيب في شعره ، فهي مقدمات تقليدية ، ولمحات عابرة هنا وهناك .

ثم انصراف الشعراء عن شعر الطبيعة حين انشغلوا بشعر المدح ، وكانت الطبيعة فيما بعد مدخلاً للمدح ، ومشاركة في آيات الولاء والإعجاب بالممدوح .

وشعراء الطبيعة في العصر العباسي اتخذوا وصفها طريقاً إلى ممدوحيهم مع إجادتهم الوصف ، وتفوقهم فيه ، إلا أنهم لم يقصدوه لذاته ، ولم يكن متعة نفسهم ، ولا هدفاً يُطلب إلا لغاية أخرى — غالباً — .

أما الشاعر عبد الله بن المعتز ، فقد وصف الطبيعة هارباً إليها بخياله وفكره من واقع مؤلم ، وحياة لم يكن يرضاها ، فكان « يحب الطبيعة يُفتن بها لا ريب ، لكنه حين يتعلق بها تستهويه الصور قبل كل شيء فيُعنى برسم الشكل الخلاب . وشعره آيات على أرهاف حاسة البصر ، وحسن إستقباله للألوان والأشكال ، ودقة إخراجه للصور والأمثال . وهو في إخراجه للصورة يحتال ويتألق ويتأنق ويكتفي بالإشارة عن الإطناب ، ويستخدم براعات عجيبة »[1] .

وابن المعتز أيضاً في وصف الطبيعة يختار الصور المشرقة المتلألئة الجميلة ، ويُظهر مهارة فائقة في ذلك ، وهو أيضاً يتعمق معاني الصورة ، فيصبح للصورة في الوصف اعتبارات معنوية ومتعلقات فكرية ونفسية تطبعه بطابع خاص .

ومع تميز ابن المعتز بالتعمق في الصورة ، فهناك ميزة أخرى وهي الثراء في مادة الصورة نفسها ؛ فتحظى الظاهرة الواحدة من الطبيعة بالعديد من التشبيهات والصور متعاقبة في المقطوعة أو القصيدة أو في أماكن متفرقة من شعره .

---

(١) الدكتور سَيد نَوفل ، من كِتابه شِعْر الطَبيعة ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحين تتوالى الصور في حديثه عن الظاهرة الواحدة ، تعطي إحساساً بأن الشاعر يضيف مزيداً من الأضواء والألوان عليها ؛ لتبرز أكثر في ثوب أنيق بديع .

وهو ــ أي ابن المعتز ــ في وصفه للطبيعة أيضاً ، وفي تناوله لصفاتها وخصائصها وأشكالها وألوانها « يتمثل أمامنا .. شاعراً يُحيي الطبيعة ، وتتعلق بها نفسه يجاوبها الشعور والإحساس ، ويشاركها البأساء والسراء »[1] .

وكما وصل الشاعر ابن المعتز الطبيعة بالإنسان وجعل لها بعض خصائصه وصفاته ــ حسبما يقتضيه وصف الظاهرة ــ وصفها أيضاً بالمذهبات والمفضضات واللآلىء حتى أتهمه ابن الرومي بأنه يصف ماعون بيته[2] . والقضية معروفة ومشهورة ، إلا أن تلك التهمة تَبطل بالنظر إلى مستوىٰ إجادة ابن المعتز للوصف عامة ، والطبيعة خاصة ، بسمائها ونجومها وسحابها ، ومطرها وبساتينها وأزهارها وأنهارها وحيواناتها من طيور وصقور وغزلان وأفاعي وحتى الجرزان[3] . وقد استقى مادة الصورة ليس من قصور الخلفاء بجواهرها ودُررِها فحسب ، بل ومن معين الطبيعة ذاتها تارة أخرى .

---

(١) الدكتور سَيد نَوفل ، من كِتابه شِعرُ الطَبيعة ، ص١٨٩ .

(٢) ــ انظر للأستاذ عباس محمود العقاد ، ابن الرومي حياته من شعره ، الطبعة السابعة ١٩٦٨ ، دار الكتاب ــ العربي ، بيروت ــ لبنان ــ ص ٣١٥ ــ ٣١٨ .
ــ وانظر هذه القضية ص ١٦٦ من هذا البحث .
ــ وانظر للدكتور مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م ، دار الأندلس ، ــ ص ٤٨ .

(٣) في داره التي اشتراها من ابنة أبي نوح :

وإذا ما ذكـــرت جرذان داري ... فيها يضرب الـــورى الأمثــــالا
قد تمردن منـــذ مات أبـــو نو ... ح فصيرن أرضهـــا غربــالا
مرهفــات الأنيـاب يسحبــن أذنــاً ... بأ إذا ما مشين جرداً طوالا
يفـــرق الهر حين يثلى عليهن فيغـــي تعلـــلا واشتغـــالا

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

« ولم يقف عند الطبيعة المتحضرة وحدها فقد كان يلم بالطبيعة الصحراوية »[١] ، والطبيعة مجال رحب يستقي منه الشاعر ابن المعتز صوره ، فتشاركه الرؤيا ، ويخلع عليها عواطفه وانفعالاته وتجاربه .

وتحظى السماء والنجوم والهلال بأوصاف ساحرة خلابة ، تدل على شدة تعلقه بها ، وإعجابه بجمالها حتى أنه اشتهر بوصفها شهرة فاقت كل نظير .

ومما يكثر ذكره من الطبيعة في شعر ابن المعتز أيضاً الكواكب ، والبرق والرعد والسحب والمطر . والأزهار والثمار والحيوانات والمعادن الثمينة كالذهب والفضة ثم الياقوت واللؤلؤ . « وتكثر في الديوان ... التشبيهات البارعة لعناصر الطبيعة »[٢] .

ولابن المعتز معاني سابقاً غيره من الشعراء متقدماً عليهم ، ومن ذلك في باب الوصف :

إذا الهلال فارقته ليلة بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الأسود شابت هامته[٣]

---

(١) دكتور شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٤٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .
(٣) محمد عبد المنعم خفاجي ، كتاب ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٣١٨ وما بعدها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثانياً ـــ وصف الخمر :

وصف الخمر والحديث عنها موضوع قديم في الشعر العربي برع في وصفهـا واشتهر بذلك مجموعة من الشعراء منـذ الـعصر الجاهلي ومنهم « الأعشى والأخطـل[1] وأبـو نواس[2] وابـن

---

(١) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة .. والأخطل لقب غلب عليه ، بمعنى السفيه أُطلقه عليه كعب بن جعيل شاعر تغلب ؛ فغلب عليه ، وُلد في الحيرة نحو سنة (٢٠هـ ـــ ٦٤٠م) واتصل بالسياسة العليا لبني أمية ، وهو من أعظم ممثل للحياة الإجتماعية والسياسية ، فهجا الأنصار ، ومدح بني أمية ، والتخر بموقفه من أعداء بني أمية ووصف الخمر ، فأكثر من صفاتها ، كما عني بتتبع معاني من سبقه ، والأخذ بها ، وتوسيعها . جدة ، وهمه الأكبر أن ينقل بطريقة محسوسة ، لا أن يعالج الخوالج النفسية ؛ وأن يكثر من التشبيه والتصوير والقصص بحيث يتفوق على غيره في مادة التفصيل والتجزىء ، في كمية ما يقال ، فأضاف إلى ما قيل ما أوحت به تجربته وتوفى سنه (٩٢هـ ـــ ٧١٠م) .
(أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، المجلد الثامن ، ص ٢٨٠ ـــ ٢٩٢ .
(حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص ٤٦٤ ـــ ٤٧٨) .

(٢) الحسن بن هانيء الحكمي . أحد فحول شعراء العرب . ولد بالأهواز عام ١٣٠هـ ـــ ٧٤٧م أو كما تقول مصادر أخرى عام ١٤٥هـ ـــ ٧٦٢م ... وقد أمضى سنى شبابه بالبصرة والكوفة ، حيث درس على اللغويين أبي زيد وأبي عبيدة ، وعلى الراوية خلف الأحمر . وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية . وقد نظم في جميع أنواع الشعر ، وأجود شعره خمرياته التي حاول أن يضارع بها الوليد بن يزيد ، أو عدى بن زيد ، وذلك أنه اتخذهما مثالاً له ، وقد حذا بنوع خاص حذو معاصره الحسين بن الضحاك الباهلي . له شعر مطبوع ، وديوان آخر سمي « الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس » وهو مطبوع أيضاً . ومن شعره في الخمر قوله :

جريت مع الصبا طلق الجموح ... وهان علىّ مأثور القبيح

إلى أن يقول :

تزّود من شباب ليس يقى ... وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح
وخذها من مشعشعه كميت ... تنزل درة الرجل الشحيح
تخيرها لكسرى رائدة ... لها حظان من طعم وريح

وكما أُختلف في تاريخ ميلاده ، أُختلف في تاريخ وفاته فقيل ١٩٥ أو ١٩٦ أو ١٩٨هـ .
(الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ ٧ ، ص٤٣٦ ـــ ٤٤٩) .
(الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠م ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المعتز »[١].

والخمر في شعر الأعشى غرض من بين أغراضه المختلفة يأتي بذكرها في أبيات تطول وتقصر ثم ينتقل إلى غرض آخر في القصيدة نفسها إلا إنه أبدع وابتكر في الأساليب والصور ، فهو « لا يصف الخمر إلا في سبع عشرة قصيدة ، ووصفه لها يطول أحياناً ويقصر أكثر الأحيان ، ولكنه على أية حال ، يمتاز من غيره بابتكارات لا نجدها عند سواه . بل إنه قد أثر في من تلاه . لقد وصف الخمار ، والساقي ، وآنية الشرب ، ولون الخمر ، ورائحتها ، وأثرها ومجلس الشراب ، والندماء ، وذلك في أسلوب تشخيصي قصصي ينبض بالحياة ولا يخلو من التصوير النفسي »[٢] .

« فالأعشى الأكبر يحدث عنها واصفاً لونها وصفاءها وطعمها وريحها وفعلها في الشاربين ، ثم نال الخمر شيء على عهد يزيد بن معاوية[٣] ، وأشياء على عهد الوليد بن يزيد[٤]، ولكن ذلك

---

(١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٣) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في رجب (سنة ٦٠ هـ) ، ولد بالماطرون ، ونشأ بدمشق ، وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة ، ومدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر ، وكان نزوعاً إلى اللهو ، ويروى له شعر رقيق (عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الثالث ، ص ٢٦٣ وما بعدها .
(خير الدين الزركلي ، الأعلام ، المجلد الثامن ، ص ١٨٩) .

(٤) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أشهر شعراء البيت الأموي ، ولد سنة تسعين ، مات أبوه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وورث عنه ملكة الشعر وحب الخمر ، ولما استخلف عمه هشام بعد أبيه طمع في خلعه من ولاية العهد ، وعقدها لابنه مسلمة ؛ فجعل يذكر الوليد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط ، وحج فظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب ، فلما عاد من الحج طالبه هشام بخلع نفسه ، فأبى ذلك ، فحرمه العطاء ، وحرم سائر مواليه وأسبابه ، وجفاه جفاء شديداً ؛ فخرج الوليد إلى البادية في قصر له بفلسطين ، فلما توفي هشام سنة ١٢٥هـ — ٧٤٢م ، بويع له بالخلافة واستقبله أهل دمشق ، وهم يرجون أن ينجيهم من مظالم هشام . فرجع إلى قصره يدمن التغني بالشعر والشراب . ولم يَقِل عن هشام في طلبه للمال فثقل ذلك على رعيته

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

لم يصل بها إلى أن تكون فناً مستقلاً من الفنون ، حتى جاء أبو الهندي ، عبد المؤمن بن عبد القدوس الرياحي ، وكان شاعراً مطبوعاً من مخضرمي الدولتين ، فأشاد بذكرها لإدمانه المعاقرة ، وشغفه بالشراب ، مع ما كان يُرمى به من الفسق والمجون ، والرقة في الدين ، حتى كاد شعره يكون كله فيها ، وكان كله في تلك الإشادة ، كثير الحض عليها كقوله :

أبا الوليد أما والله لو عجلت ... فيك الشمول لما فارقتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها ... ولا عدلت بها مالاً ولا ولدا

ثم جاء أبو نواس إمام واصفيها بالإجماع ، ثم كان بعده عدد من الشعراء اللاهين حتى جاء ابن المعتز ، فأستوت عنده الخمر فناً مستقلاً في ديوانه ، بما يناهز ألفاً وخمسمائة بيت »[1] .

وأول ما استقل شعر الخمر عند أبي نواس ؛ فتناول موضوعاتها وأجاد فيها ، وشخصها ، والتجأ إليها ليجد عندها الراحة والسعادة .

ونظرة أبي نواس للخمر فلسفية ، وحبه لها عَشْق ، ومَذهبه فيها الصدق والمجاهرة بشربها ، وحبها .

وجدد في المجال الخمري بالانتقال من التجربة المحصورة ، والتخصيص إلى التعميم والشمول والمعاني الفلسفية . فإن تجربة خمرية بسيطة حرية بأبي نواس أن يبتدع المعاني الكبار ويخرج إلى حكمة عامة وشاملة .

= وجنده وكرهوا أمره . ثم عهد بالولاية لابنيه وهما صغيران ؛ فغضب أقرباؤه ، واستخلفوا بدلاً منه يزيد بن الوليد بن عبد الملك . فأرسل على الوليد الجند وهو في قلعته : البخراء ، جنوبي تدمر . فقاتلهم قتالاً شديداً ، وقُتل وهو يقرأ القرآن... وكان ذلك يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخر ١٢٦ هـ/١٣ من أبريل ٧٤٤م .
(كَارل بُروكِلمان ، تَاريخ الأَدب العَربي ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١) .

(١) الدكتور سَعد اسماعيل شَلبي، في كتابه ابن المعتز العَبّاسِي صُورة لعَصْره ، الناشر دار الفكر العربي ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولقد ابتعد أبو نواس عن وحدة البيت في معظم قصائده القصصية التي تظهر فيها الحركة التمثيلية ؛ فانفردت القصيدة بموضوع الخمر كما لم تكن كذلك من قبل[1].

أما شاعرنا عبد الله بن المعتز فقد تناول موضوع الخمر متأثراً بأستاذ عصره فيها أبي نواس ؛ فأفرد مقطوعات وقصائد في الخمر أصبحت باباً من أبواب شعره .

وإذا كان أبو نواس قد شخّصها فإن ابن المعتز قد استقى مادة صورها من الإنسان وخصائصه كالعروس ، وكالأحداق والفم والأسنان ، والأوادج والدم والأُذن والشيب كجزئيات

ثم يضيف ابن المعتز أيضاً إلى مادة الصورة مادة الطبيعة بنوعيها :

الصامتة من كواكب ونجوم وليل ونهار وسحاب ومطر وغيرها . كمادة سماوية علوية ، والأرض وما يتعلق بها من ألوان الأزهار والنباتات بخصائصها المختلفة ، ثم الطبيعة المتحركة من ظباء وحيات وخيول .

ثم مادة الذهب ، والفضة ، واللؤلؤ ، والعقيق وغيرها .. ويستقي صوره أيضاً من معين الخبرات المختلفة فالحرب تعطيه مادة خصبة ، والعقيدة الدينية تُثري خياله الشعري بصور ومعان لوصف أدوات الخمر ، مما يؤكد تعدد مادة الصورة الشعرية عند ابن المعتز في موضوعات الوصف عامة ، وموضوع الخمر خاصة .

وتأثُّر ابن المعتز بأبي نواس واضح ، فقد عارض همزيته المشهورة[2]، كما عارضها الحسين

---

(١) انظر : جُورج عَبدو مَعتوق ، أَبو نُواس في شِعْره الخَمري ، الطبعة الثانية ١٩٨١م ، الناشر : دار الكتاب اللبناني ، ص ٢٨ ــ ٣٠ ، ٣٢ ــ ٣٣ .

(٢) وصف أبو نواس الخمر؛ فقال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

إلى أن يقول :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بن الضحاك « وهؤلاء الشعراء ركضوا في ميدان واحد فوصفوا الخمر والسقاة وصفاً يختلف بعض الاختلاف ، وكان أقصرهم نَفَساً أبو نواس ، ولكنه كان أعرفهم بأسرار الصهباء »[١].

وانفرد ابن المعتز بمزدوجته في ذم الصبوح[٢]، وهو عمل شعري جديد من نوعه في مجال الخمر ، إذ يحاور الشاعر صاحبه في خمر الصبوح ، والفرق بينها وبين الغبوق ، فالثاني يفضل الصبوح ، ويذكر سبب ذلك ، لكن يذكر الشاعر سبب تفضيله للغبوق ، ويقبح الصبوح « وهذه الأرجوزة ليست مسرفة في الطول ، لكنها ليست قصيرة وترتيبها يسير . فابن المعتز يتخيل أن صاحباً له أنكر عليه شرب الخمر في المساء وقال له : مالك لا تصطبح ، ومالك لا تؤثر الصبوح على الغبوق ، فهو يستطيع أن يظهرك على ما في البساتين من جمال ، فيصور جمال الرياض والبساتين تصويراً هو آية في الإبداع الغني . لا أظن أن أحداً قد استطاع أن يأتي بمثله في

= فأرسلت من فم الابريق صافية ... كأنما أخذها بالعين إغفاء
جفت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نوراً لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء

ويعارضه ابن المعتز بقوله في وصف الخمر :

أمكنت عاذلتي من صمت أبناء ... ما زاده النهي شيئاً غير اغراء
أين التورع من قلب يهيم إلى ... حانات قطربل بالعود والناء
وصوت فتانة التغريد ناظرة ... بعين ظبي يريد النوم حوراء
وقرع ناقوس ديري على شرف ... مسبح في سواد الليل دعاء
وكأس حيرية شكت بمبزلها ... أحشاء مشعرة بالقار جوفاء

(الدكتور زكي مبارك في كتابه الموازنة بين الشعراء ، أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان ، الطبعة الثانية ، الناشر مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ، ص ٣٨١ ـ ٣٩١ .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩٠ .

(٢) كل ما أكل أو شرب غدوة ، وهو خلاف الغبوق ، والصبوح : ما أصبح عندهم من شرابهم فشربوه ، وحكى الأزهري عن الليث : الصبوح الخمر .
(ابن منظور ، معجم لسان العرب ، حققه الأستاذ عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تشبيهاته واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرياض »[1].

وفي الأرجوزة يقول :

لي صاحبٌ قد لامني وزادا ... في تركي الصَّبوح ثمّ عادا
وقال لا تشرب بالنهار ... وفي ضياء الفجر والأسحار
إذا وشى بالليل صبحٌ فافتضح ... وذكر الطائر شجوٌ فصدح
والنجم في حوض الغروب وارد ... والفجر في إثر الظلام طارد[2]

ويستمر في وصف الطبيعة في الصباح ، على لسان داعية لشرب الصبوح ، ثم يستمر في سرد الحوار حتى يذكر له سبب تركه للصبوح فيقول :

فاسمع فإني للصبوح عائب ... عندي من أخباره العجائب
إذا أردت الشرب عند الفجر ... والنجم في لجة ليل يسري
وكان برد بالنسيم يرتعد ... وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه ... وشتمة في صدره مجمجمه
يمشي بلا رجل من النعاس ... ويدفق الكأس على الجلاس
ويلعن المولى إذا دعاه ... ووجهه إن جاء في قفاه[3]

ولابد أن سبب نظمه هذه الأرجوزة ، ما شاع في عصره من الموازنات والمناظرات لبيان المحاسن والمساويء والمفارقات . والأرجوزة « تصور إحساسه بما ينعكس على بصره من جمال

---

(١) الدكتور طه حسين ، في كتابه من حديث الشعر والنثر ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٣٦م ، الناشر دار المعارف بمصر ، ص ١٦٤ ـ ١٧٠ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ، ميشيل لقمان ، الناشر الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ١٩٦٩م ، ص ٤٢١

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الطبيعة صباحاً في الربيع ، ولكنها لا تصور حبًا ولا تهالكاً على الخمر ، ولا عاطفة جامحة متقدة ، إنها ليست أكثر من أبيات يتسلى بها ويتغذى ويظهر مقدرته على النظم في الخمر ، ... ويطيل في الأسباب التي من أجلها يذمه ذماً قبيحاً ، كأن يعرض المصطبحين للبرد القارص شتاء والحر اللافح صيفاً . وقد يكون مصدر هذا الذم شيوع المناظرات لعصره وبيان محاسن الشيء ومساوئه كما عند ابن الرومي في ذمة للورد »[1].

وأرجوزة ابن المعتز هذه في تفضيل الغبوق على الصبوح ، وذم الصبوح يُجري المعاني فيها مجرى الحوار ، ويعتمد على الوصف تارة ، والتمثيل للمعاني تارة أخرى . مع تحليل نفسي للساقي والشازبين في صباح بارد أو حار . وتناول الجوانب النفسية لشاربي الصبوح ، ووصف الطبيعة بأجزائها . ويتأنق الشاعر كعادته في وصف مظاهر جمالها- الطبيعة- ، مع واقعية في نقل المعاني وتصويرها ؛ ليحقق الشاعر ابن المعتز اقناعنا بفضل الغبوق على الصبوح .

والموازنة بينهما غالبة على القصيدة ، والألفاظ سهلة ، والمعاني واضحة ــ غالباً ــ وإن كان هناك بعض الغريب . من مثل قوله :

تعطعط القوم به حتى بدر ... وافتح القول بعي وحصر[2]

وقوله :

وترك النياط بعد الخمد ... ذا نقط سودٍ كجلد الفهد[3]

---

(١) الدكتور شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٤٣ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٤٧٣ ــ ٤٨٠ .
وتعطعط : ضج وصخب ، الحصر والعي : العجز عن الكلام .

(٣) ديوان المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ، ص ٤٢٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والدارس لشعر الخمر ووصفه عند ابن المعتز يجده يتميز أحياناً بحشد من المشاعر النفسية الإنسانية في الصورة ، وإن لم يكن ذلك من خصائصها أصلاً . كقوله :

فلما رآها الليل حثَّ صباحه ... مخافة صبح في الدِّنان كمين

فالرؤية لليل ، وحثه للصباح ، وخوفه من صبح آخر ، من باب التجسيد .

وقد يجد الدارس أيضاً لشعر ابن المعتز في الخمر تناقضاً في اعتقاده فيها فهو قد يبدو أحياناً وفي مواضع من شعره فيها ــ أي الخمر ــ محباً لها ، داعياً لشربها ، ومصوراً لها بصور تدل على أثرها الطيب في نفسه ، وعلى انتظاره منها جلب السعادة والسرور ، وطرد الحزن والألم ، وامتلاك الفرحة ، إلا أنه قد يأتي أحياناً أخرى بصورة من شأنها أن تناقض هذا الاعتقاد ، فيشبهها مرة بدم زنجي ، ومرة بدم المقتول ، وأخرى بالمجاج ، ويصف الحباب ــ أحياناً ــ بالأحداق ، وكأنه من جانب خفي ينفر من الخمر .

« غير أن هذا الأمير العالم الفقيه في الشريعة والحديث (ابن المعتز) كان لا يتناولها كما يروي التأريخ . وكان في انتهائه من بعض مطولاتها وفي ثناياها يسل نفسه كما تُسل الشعرة من العجين ، ويجعل شاربها في آخر القول يعتصم بالندم والتوبة .

وبمقدار ما وصفها حمداً انقلب عليها ذماً في أرجوزته المشهورة (في ذم الصبوح) . يذمها ويهزأ بالسكارى ، ويصف مجالسهم وصفاً مزرياً يجعل القاريء يكفر بالخمرة وعاصرها وشاربها »[1] .

هذا وتفتقر بعض أبيات الخمر ، ومقطوعاته عند ابن المعتز إلى صدق العاطفة ، وحرارتها ، فلا تكون أبياته أكثر من تركيب لفظي لرسم صورة بعيدة كل البعد عن إحساسه ، ومشاعره ، في مثل قوله :

---

(١) الدكتور محمد بديع شريف ، كتاب ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ ــ ٤٩٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يمج من أفواهها قهوة تقذف بالمسك وبالعنبر

كأنما أقداحنا فضة قد بُطنت بالذهب الأحمر[1]

ومن إن ابن المعتز قد تناول صوراً ، قد تناولها شعراء الخمر قبله مثل الأعشى ، وأبي نواس ، إلا أنه قد ابتكر بعض الصور ، وكان هو صاحبها ، مثل وصفه لساقي الخمر بمقسم قطع الشمس[2] .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كِتاب شِعْر ابن المعتز ، دِراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٤٢ .

(٢) انظر ص ١٧١ من هذا البحث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثالثاً ـ وصف الصيد (الطرد)[١] :

تمثلت الطبيعة أمام الشاعر بصحرائها ، وسهولها ، وهضابها ، وسمائها ، ونجومها ، وأمطارها ، وتمثلت كذلك بحيواناتها المختلفة الأنواع : من خيل ، وجمال ، وأغنام ، وكلاب --- وطيورها : من صقور ، ونسور ، وحمام ... وغيرها .

ذلك أن الشعر عموماً صورة للبيئة ، وتصوير لحياة الأمة ، فقد جاء الشعر الجاهلي صورة ناطقة بأهمية الصيد في حياة العرب ، فكثر في شعرهم ذكره ، وذكر حيوانه ، بل كان يُمدح الرجل بإجادته الصيد ، وأكله منه .

ولم يكن الهدف من الصيد هو الحاجة للحيوان فحسب ، بل كان وسيلة ترفيه ، وتسلية ، ومظهراً للفروسية والبطولة .

ومع عناية الشاعر الجاهلي بالحيوان ، ورسم صورة لشكله ، وهيئته ، وأعضائه ، وحركته ، وسرعته . فقد ربط ذكره للحيوان بالطبيعة « فلم ينس أن يتأمل في الصحراء ورمالها ، وديارها ، وأطلالها ، وما يمر عليها من رياح ، أو سحب ، أو مطر . ويتأمل كذلك في السماء ، والنجوم ، وكان يشيم البرق ويستعلم الغمام ، ويذكر شدة الحر وقسوة البرد ، ولا ينسى حظه من مجالس يعقدها للهو وشرب الخمر ، وسماع الغناء »[٢]

---

(١) (الطرديات) وهي الأرجوزة أو القصيدة التي تتحدث عن جملة من حملات الصيد يخرج إليها فريق من الناس ، قد لا يكون هناك أمير أو رئيس ، إنما أصحاب متحابون متشاكلون ... ولهذا لا يصح أن تُطلق كلمة طردية على قول في كلب أو في فهد ، وليس من الطرديات ما قاله شعراء الجاهلية في الصيد . ومن شعراء الطرديات كشاجم .
(الأستاذ عبد القادر حسن أمين ، كتاب شعراء الطرد عند العرب ، ١٩٧٢م ، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف ـ ص ٣١٦ .

(٢) الدكتور يحيى الجبوري في كتابه الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص ٣٩٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

واستقلت القصيدة بالطرد ، منذ بدأ العصر الأموي ، وشجع على ذلك حب الخلفاء ورجالهم للصيد ، وخروجهم له في مجموعات كبيرة ، وفي رحلات يقيمون فيها أياماً .

« والطردية فن مستقل لها خصائص وميزات تنفرد بها عن غيرها من فنون الشعر ، ظهرت بوادرها في العصر الأموي على الأرجح عند طائفة من الرجاز أمثال الشمردل بن شريك وأبي النجم الراجز وأبي نخيلة الحماني ، ثم تعمقت أصول هذا الفن على يدي الرقاشي وابن أبي كريمة وعبد الصمد بن المعذل ، اثبت دعائمه في هذا العصر ، واستطاع أبو نواس قبلهما أن يضع على طردياته اللمسات الفنية الأخيرة ، وأن يوفيها العناية الكافية من التنقيح والتهذيب والإبتكار »[1]

وكان لشغف الخلفاء والوزراء وعلية القوم بالصيد والطرد ، أثر في انشغال الشعراء بكتابة الشعر في هذا الفن .

فـ « الشعراء وفي مقدمتهم أبو نواس نظموا طرديات كثيرة ، اختاروا لها وزن الرجز ، ولأبي نواس نحو خمسين طردية أحسن فيها غاية الإحسان ... وقد مضوا ينظمونها في بحور وأوزان مختلفة غير مكتفين بالرجز ، إذا نحن استثنينا ابن المعتز ، وكأنه رأى أن يظل متمسكاً بوزنها القديم ، أما معاصروه فرأوا الاتساع بها ؛ بحيث تنظم في أي وزن حسب مشيئاتهم الفنية ، ولم يتركوا ضارياً من ضواري الصيد إلا وصفوه ولا جارحاً من جوارحه إلا نعتوه .

نعتوا الكلاب والفهود والبزاة[2] والشواهين والصقور والعقبان ، ونعتوا الصيد من حمر

---

(١) الدكتور أنور عليان أبو سويلم ، كتاب الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م . الناشر دار العلوم ، ص ٣٤٩ .

(٢) البازي : أفضل الجوارح صيداً وأعلاها كعباً ، وأغلاها ثمناً ، وبه يضرب المثل في نهاية الشرف . وفي تطلق اسمه لغات منها : « البازي » بكسر الزاي ، وتخفيف الياء ، ويجمع على بزاة ... و « الباز » بغير ياء في الآخر ، ويجمع على بيزان ... و « البأز » ويجمع على أبؤز وبؤوز ... و « البازيّ » بإثبات الياء وتشديدها وهو مشتق من البروان بمعنى التطاول والوثوب ، وهو مذكر بلا خلاف .

ويقال له في أول سنة من عمره فرخ ، وفي الثانية كرز عام . وفي الثالثة : كرز عامين ، والكرز لفظ معرب عن الفارسية .

=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوحش وأتنه ، وثيرانه ، وبقره ، وظبائه ، ونعامه ، وكذلك من الأرانب ، والثعالب ، والذئاب ، والآساد ، والطير والإوز .

وألموا بآلاته من النبل والسهام ، والنشاب والفخاخ والشباك والحبال المسماة بالأوهاق التي تُجعل في أطرافها انشوطة وترمى على الحيوان فتمسك بعنقه ، والجلاهق وهو بندق مدور من طين يرمى به ، وكان لهذا النشاط الواسع في الصيد ، وما يتصل به من الشعر أثر في أن أخذت تُؤلف كتب مختلفة في البيزرة[1] وفي المصايد والمطارد .

تُفَصِّل القول في الصيد وآلاته وضواريه وجوارحه ، وقد نُظمت حينئذ طرديات كثيرة ، لا نستطيع أن نستقصيها ولا أن نستقصي شعراءها »[2] .

ويورد ابن رشيق[3] اسم ابن المعتز بين شعراء الصيد والطرد مع أبي نواس ممن لهم فيه أوصاف جيدة .

وفي طرديات ابن المعتز يقول الدكتور شوقي ضيف « لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنه أكبر شاعر نظم طرديات في العصر (العباسي) . ويذكر مترجموه أنه صنف كتاباً في جوارح الصيد وضواريه ، ولا يكاد ضار أو جارح يفلت منه في شعره أو في طردياته »[4] .

= وكنية البازي أبو الأشعث ، وأبو البهلول ، وأبو لاحق .
وفرخ البازي يدعى غطريفاً .
وقد ميزه ابن سيده من الصقر بأنه « الأزرق ، الأحوى ، الأرقط ، القصير الجناحين ، الغليظ .
(الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، في كتاب الصيد عند العرب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، بيروت ، ص ٩٨ ـ ١٠٣) .

(١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧ .
(٣) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٤) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص ٤٨٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي دراسة الدكتور محمد بديع شريف لشعر ابن المعتز يتحدث عن الصيد وتَنَاول ابن المعتز لهذا الغرض وقد ألبسه رداء جميلاً ممتعاً ، حتى أنه جعل الحيوان الأعجم إنساناً عاقلاً في تصرفه ، وتعمّق أيضاً في خصائص حيوانات الصيد وطيوره ، وجوارحه . يقول :

« فمنح (أي ابن المعتز) هذا الفن جمال اللغة وسمو الخيال ، ورسم للصيد صوراً رائعة ، وللطبيعة في غدوة ورواحة وللكلاب والخيل والبزاة والصقور والفهود ، ونفذ إلى أسرار حياتها ؛ فكشف غرائزها المتوحشة والمهذبة ، ومن لطيف القول أنه كان على عادته يمنح الجماد حياة ، والحيوان الأعجم تصرفاً عاقلاً »(٥) .

وفي مجال الحديث عن شعر ابن المعتز في الطبيعة ، يتحدث المؤلف عن قدرته على إبراز حيوان الصيد بمظهر حسن ، ووصفها بخصائص طيبة ليست من خصائصها ، ويضيف إلى الصور القديمة لباساً جديداً خلاباً رائعاً ، ويضرب على ذلك المثل بوصفه للفهد ، وحمار الوحش يقول : « على أن ابن المعتز لا يجلي السماء بأعلامها ، والفاكهة والزهر فقط ، وإنما يعرض الحيوان كذلك هذا العرض الذي يُعنى بالشكل ، وإبراز محاسنه وألوانه ، والربط بينه وبين أشكال أخرى أكثر فتنة ، وأبهى منظراً .

وأي شاعر يستطيع أن يُجمّل الفهد(١) كما جمله ابن المعتز ، وأن يجليه في مقام الصيد

---

(٥) ديوان أشعار الأمير أبي العبّاس عَبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي ، ذخائر العرب ، ٥٤ ، الناشر دار المعارف ، جـ ١ ، ص ١٩٤ .

(١) وقد أورد الدكتور سيد نوفل هذه الأبيات :

ولا صيد إلا بوثابة ... تطير على أربع كالعذب
ملمعة من نتاج الرياح ... تريك على الأرض شيئاً عجب
تضم الطريد إلى نحرها ... كضم المحبة من لا يحب
إذا ما رأى عدوها خلفه ... تناجت ضمائره بالعطب
لها مجلس في مكان الرديف ... كتركية قد سبتها العرب
ومقلتها سائل كحلها ... وقد حليت سُبحاً من ذهب
متى أطلقت من قلادتها ... وطار الغبار وجد الطلب
غدت وهي واثقة أنها ... تقوم بزاد الخميس اللجب

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والفتك ، كما تُجلى العروس الحسناء بقلائدها الذهبية ، ومنظرها الغض النضير .

وقد أدت عناية ابن المعتز بتمثيل الحيوان على هذا اللون إلى نشر هذا الفن على نحو واسع في العربية ، ولعل أبا بكر بن العلاف كان متأثراً به حين عنى بإلهر عناية كبرى ، ووصفه في قصائد طويلة ، كما يصف حياة البطل المغوار ، ورثاه رثاءً مستفيضاً . وقد يتناول ابن المعتز معاني القدماء في الحيوان فيجليها على طريقته الخلابة »[1] .

وطرديات ابن المعتز يربط فيها بين وصف الطبيعة في مقدمات طردياته أو خلالها ، وربما كان ذلك لبيان أوقات الصيد ، وتحديد زمن الخروج إليه .

وهو يعمد إلى وصف الحيوان الصائد والمصيد ، ويبدع ويفتن . وصوره في ذلك رائعة في شكلها ، ولها أواصر ووشائج في أعماق المعنى .

وطرديات ابن المعتز رجز غالباً ، وإن نظم بعضها في القصيد ، وهو فيها بين الوضوح والإغراب ، بل قد يأتي بأسلوب هو أقرب إلى الألغاز .

(١) الدكتور سيد نوفل ، كتاب شعر الطبيعة ، ص ١٩٠ — ١٩١ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الثاني

دراسة فنية نقدية للصورة في شعر الوصف
عند ابن المعتز

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : التعمق في الصورة .

الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة .

الفصل الثالث : التشخيص .

الفصل الرابع : الخيال التركيبي .

الفصل الخامس : تكثيف الصورة لموصوف واحد .

الفصل السادس : الجانب النفسي في الصورة .

الفصل السابع : دلالات حركية في الصورة .

الفصل الثامن : ضعف التصوير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول : التعمق في الصورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الأول
التعمق في الصورة

يصف الشاعر الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، ويصوّر الخمر وأوانيها ، والصيد وأدواته وطيوره وحيوانه ، بصور يختارها مناسبة ، ثم يمضي بإصرار فني في الحديث عن الصور أو ذكر شيء من خصائصها يربطها بالموصوف ، ويقارب بينهما ليتحقق للشاعر الصدق في إحتواء الموصوف .

هذه الطريقة في تناول الظواهر المختلفة إذا جاءت عن طريق الاستعارة يصنفها عُلماء البلاغة تحت عنوان الترشيح[1] ، ولكنني أتناولها في شعر ابن المعتز من خلال الصورة عامة سواء كانت تشبيهاً أو استعارة .

والتعمق في الصورة من أُولىٰ خصائص الفن الشعري في الوصف عنده . ومما يؤكد لنا أهمية هذه السمة في وصفه استشهاد لائم بن الرومي ببيتٍ من الشعر يتسم بالتعمق في الصورة ؛ ليفضل به وصف ابن المعتز على وصف ابن الرومي ، سائلاً إياه عن سبب عدم مجيئه بمثله في شعره[2] .

---

(١) الترشيح : هو الإمعان في تناسي التشبيه الذي هو أصل الاستعارة ، والاستعارة « المرشحة . هي التي قُرنت بملائم المستعار منه (أي المشبه به) — نحو : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ فما ربحت تجارتهم ﴾ استعير الشراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرع عليها ما يلائم المستعار منه (الربح والتجارة) ... وسُميت مرشحة : لترشيحها وتقويتها بذكرى الملائم ، وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه » (السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، في المعاني والبيان والبديع ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٢) راجع هذه القضية ص١٦٦ — ١٧٠ من هذا البحث .
الأستاذ عباس محمود العقاد ، في كتاب ابن الرومي ، حياته من شعره ، ص ٣١٥ — ٣١٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولا شك أن أهمية هذه السمة الفنية في التصوير ، تأتي من استغراق الشاعر في أعماق الصورة ؛ فهي تحظى منه بعناية فكرية ونفسية وتأملية يمنحها قيمة فنية كبرى .

وأولى النماذج بالتقديم في هذا الموضع ، وأكثرها إتصافاً بهذه الطريقة التصويرية ، تشبيه الشاعر الهلال بزورق الفضة عليه حمولة العنبر . وجمال الصورة ، وروعتها ، وإتقان الشاعر في اختيارها قد بلغ الإجادة . فجسم الهلال من النور ، وجسم الزورق من الفضة ، وليس التشابه بينهما في الشكل واللون فقط ، بل يتضمن التهابه مدى أعمق من ذلك وهو عدم استمرار كلي منهما ، فالهلال يختفي بطلوع الفجر أولاً ، وهذا المدى الزمني الأول وهو قصير ، ثم مدى زمني أطول وهو إكتماله بدراً .

وكذلك الزورق يختفي في مدى زمني قصير ، وهو بُعده عن مدى الرؤية للعين . وأما المدى الزمني الأطول فهو إنتهاؤه إلى مرساه الأخير .

أما حمولة العنبر على الزورق فينقل بها الشاعر سواد الليل حول الهلال أولاً ؛ ثم إحساسه به عنبراً زاد وفاض عن حمولة الزورق فأحاط به لوناً داكناً ، ويُؤكد هذا المستوى من الإحساس به تقديمه للبيتين بقوله (أهلاً بفطرٍ) وترسو قواعد التأكيد عند دعوته إلى المدام ، وهي رمز للمتع والتحلل ، بعد أن حرمه الصوم في شهر رمضان من الكثير منها .

فيضرب الهلال بزمانه ومكانه ، وارتباطه بجديد في حياة الشاعر ، ورحيل إلى المتع التي منعَ نفسه عنها زمناً على أوتار أحاسيسه ، ليصور الهلال بزورقٍ من فضة ليس غير ، وحمولته عنبر ، وكلُّها مما يُسعد النفس النظر إليها ، ومما يثري الإنسان إمتلاكها ، كما يثري الهلال — على هذا الشكل وفي هذا الوقت — حياة الشاعر بمرح وسعادة وضجيج وامتلاء .

ومما يجدر ذكره هنا أن الشاعر بخياله جعل سطح البحر مرآة لصفحة السماء ؛ تعكس الشكل واللون والمكان والزمان من خلال إحساسه بها ، وارتباطها بالرغبات والآمال . يقول :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أهـلاً بِفطـرٍ قـد أنـارَ هـلالُـهُ فالآنَ فاغـدُ على المُـدامِ وبَكِّـرِ

وانظـرْ إليـه كَزورقٍ من فِضَّـةٍ قـد أُثقلتْهُ حُمـولةٌ من عَنـبَـرِ[1]

فتشبيه الهلال بالزورق هذا خيال ، وأما وصف الزورق بأنه مثقل بحمولة الفضة فهو تمادي من الشاعر في الخيال الشعري .

ومن التعمق في الصورة أيضاً تصوير الشاعر للزهرة ، وقد أُسرجت مصابيحها بالضوء . ثم يُجيبكَ الشاعر عن سؤال مُتوقع . كيف كانت هذه المصابيح ؟؟؟ . فيذكر أنها عبارة عن شُعَلٍ نارية ؛ يخفّف من اشتعالها ويقلل من وهجها ، وتطاير شررها وجود الندىٰ عليها ، تصوير بديع حقاً لشدة حُمْرة الزهر ، تلك الحُمْرة التي تكاد تخترق خلايا الزهور .

ثم يستمر الشاعر مُحلّقاً في دنيا الخيال الشعري ، وفي عالم الصورة السابقة لا يغادرها . وفي آفاق هذا العالم يتخيل المارُّ بالزهرة في الليل ، يقترب منها ؛ ليستضيء بشعلة .

ثم يتابع الشاعر بخياله الشعري المقتبس ، فإذا به يجد شيئاً غير الضوء والحرارة والدفء ، يجد الزهرة مجمرة طيب طار أريجه مع كل ريح مرت به .

ويبني الشاعر الفعل للمجهول (أُسرجت) ليسنده إلى قوةٍ غيبية مجهولة ترتبط بعمق الإيمان ببديع صنع الله .

وأجاد الشاعر في ربطه بالخيال بين الندىٰ وحمرة الشرر . فجعله ارتباطاً دائماً ليس بشدة حمرتها ، فلولا الندىٰ لتطاير شررها .

ثم يُوجد حلقة أخرىٰ بين هذه الصورة والتي تليها ، فعدم تطاير الشرر من الزهرة مكّن للمار بها من الإقتراب منها ؛ لينال نصيباً من ضوئها .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في كتابه شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ٥٩١/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقول الشاعر في الأبيات :

في زَهرةٍ أُسرِجَتْ مَصابحُها ... لولا النَّدىٰ طارَ حولَها الشَّرَرُ

دَنا إليها في الليلِ مُقتبِسٌ ... لمَّا رآها كالنارِ تَستَعِرُ

وظَنَّ فيها مَجامِراً سَطَعَتْ ... في كلِّ ريحٍ من طِيبِها خَبَرُ

رَعَتْ نجومَ السماءِ باهتةً ... والليلُ داجٍي القِنَاعِ مُعتكِرُ

بعينٍ يَقظَىٰ وجيدِ ناعسةٍ ... دامَ عليها الوقوفُ والسَّهَرُ[1]

ثم يضع الشاعر اللمسات الأخيرة على الصورة ، فيربط بين الزهرة والنجوم الباهتة ؛ فكأن تقابلهما في الطبيعة الأولىٰ في الأرض ، والأخرىٰ في السماء ارتباط وجداني بينهما ؛ فالنجوم في حالة فقدها لبريقها ، مريضة تستحق الرعاية ، ويضطرب الليل ويقلق فإذا به ـ مع سواده ـ مُعْتَكِرُ .

ويحلو للشاعر ـ كما يبدو لي ـ أن يربط بين مظاهر الطبيعة ـ على النحو السابق ـ بصلات وثيقة ، بعضها مادي والآخر معنوي أو نفسي ؛ ليعوّض ما خسره من إحساسه بهذه الروابط ، وتدمير تلك العلاقات في محيط أسرته العباسية ؛ فالابن ينسى حق أبيه ، فَيُدبر قتله ، والأخ يسعىٰ في هلاك أخيه دون أن يراعىٰ حرمة الدم والنسب ووشائج المحبة والرعاية .

---

(١) أَبو بَكر محمد بن يَحيى الصولي ، شعر ابن المعتز ، دِراسَة وتَحقيق دكتور يونس السامرائي ، القِسْم الأول ، الديوان ، جـ ٢ ، ص ٥٧٣/المنسرح .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والشاعر في طريقه لوصف الخمر يجتهد في استدعاء الصور المتتابعة التي تنقلها بخصائصها مثل: مصدرها ، وزمن حفظها في الدن ، وشكل الحَبَابِ علىٰ سطحها ، ولونها حين تختلط بالماء .

فأصلها بنتٌ لكرم العنب ، نبتت فيه متصلة به ، ثم فُصلت عنه وأبعدت ، ومازالت تُنسب إليه .

أما زمن حفظها في الدنّ ، فهو حقب متعاقبة جعلت الفتاة الصغيرة العضة ـــ بنت العنب ـــ عجوزاً هرمة أبيضّ شعرها ، واكتمل عُمرها .

وبعد أن نقل أصلها ، ومداها الزمني في الحفظ للتحول إلى خمر عن طريق تتابع الصور الإنسانية ، انتقل إلى تشبيه شكلها ولونها بالمعادن ، فالزبد الأبيض بالزرد من الفضة ، وهي دروع الحرب تتكون من حلقات متداخلة من الحديد .

والرابط بين وصف حَبَاب الخمر بالدرع ، وبين الخمر ذاتها ، مهاجمتها العقل ، وقضاؤها على الهمّ والحزن ـــ كما يبدو من رأي الشاعر فيها في مواضع أخرى من خمرياته ـــ .

ثم يصوّر الخمر في داخل الكأس فيما يلي سطحها بالذهب الأحمر . ثم يُعزز هذه الصفة ، وهذا اللون بوصف شكلها حين يُمزج بها الماء . فحين يسقط عليها تندفع هي إلى الأعلىٰ ـــ في حركة طبيعية ـــ كرد فعل لاندفاع الماء فيها ، فإذا بالسائل المتصاعد في هذا الموقف لهب يندلع منها .

وأعتقد أنه لا تفسير لوصفه لها بالنار إلا أنه استحضار لعاقبة شرب الخمر في اللاشعور . فما يعتمل في النفس يُفضي به اللسان . يقول :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أسقِيـــاني واعمَـــلا طرَبـــا وأديـــرَا الكـــأسَ وانتخِبـــا
بنتُ كرمٍ شـــابَ مَفرِقُهـــا وثـــوتْ في دنّهـــا حِقَبـــا
واكـــتست من فِضّةٍ زرداً خِلتُهـــا من تَحْتِـــهِ ذَهَبـــا[1]
وكـــأنّ المـــاءَ ، إذ مُزِجَتْ مُلعـــجٌ في كأسِهـــا لهَبـــا[2]

وفي سياق حديث الشاعر عن الخمر ووصفه لها ، نقف قليلاً عند تصويره لها بمصباح السماء ، ويربط الشاعر كأس الخمر بمصباح السماء ؛ لإرتباطه نفسياً بموعد لقاء .

ويؤكد الارتباط الزمني في الصورة ــ السابقة الذكر ــ ، تناول الشاعر لتعاقب الأزمان على الخمر ، وهي في مكانها في الدّنّ ؛ فإذا بها بعد ذلك تفور وتزبد ، فهي شهب تقذفها السماء .

ويختم الشاعر الصورة السابقة بالتأكيد على ضوء الخمر في الكأس يسطع لا يحجبه حجاب ، ولا يمنعه من الظهور غطاء ، فيؤكد نفاذه واختراقه للحواجز .

والنسق التصويري في الأبيات يعتمد على خاصتين هما الضوء واختراقه للحواجز وارتباطه بالزمن . يقول الشاعر :

وكأسٍ كمصباح السماءِ شَرِبتُها على قُبلةٍ أو مَوعِدٍ بِلقاءِ
أتَتْ دونَها الأيّامُ حتّى كأنّها تَساقُطُ نُورٍ من فتوقِ سماء

---

(١) زرداً : الزَّرْدُ والزَّرَدُ حِلَقُ المِغْفَرِ والدِّرْع . والزَّرَدَةُ : حَلْقَةُ الدِّرْع والجمع زُرُود ، والزَّرْد مِثْل السَّرْدِ ، وهو تَداخُلُ حِلَقِ الدِّرْعِ بعضها في بعض ، والزَّرَد بتحريك : الدِّرْعُ المَزْرُودةُ (ابن منظور) معجم لسان العرب ، جـ ١٨٢٤/٢ .

(٢) ديوان ابن المعتز ــ دار صادر ، ص ٧٨ .
وأنظر : أبو بكر الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٤/المديد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تَرىٰ ضوءَها من ظاهرِ الكأسِ ساطعاً ... عليكَ ولو غطَّيتَها بغِطاءِ(١)

وفي وصف الشاعر ابن المعتز للخمر أيضاً يصوّر حَبَابَها بالدُّرِّ المنتظم في سلك تحته الذهب . فكمالٌ في الجمال ، الدر الأبيض منتظمٌ ترتاح إليه العين ، ومن تحته الذهب اللامع الأصفر .

وأما حالة الخمر فهي التوهج والحركة والتردد في الكأس تزيد بمرور الرياح بها ؛ فإحتكاكهما يزيدها توهجاً ، واندفاعاً كألسنة اللهب .

فالبيت الثاني تحليل وتعليل للبيت الأول ، وبالذات لظاهرة انتظام الحَبَابَ على سطح الخمر . يقول :

كأنَّ الحَبَابَ إذا صُفِّقَت ... سُمُوطٌ من الدُّرِّ فوقَ الذهبْ(٢)

وَتَحسِبُهَا قَبَساً مُزعجاً ... إذا جَرَشَتْهُ(٣) الرياحُ التهبْ(٤)

ومن وصف الخمر إلى وصف مجلسها ، وما يضمه من موسيقىٰ ، وغناء وطرب ، مصاحباً لشرب الخمر .

ثم يتأمل الشاعر في الخمر ، فشأنها معهُ ، فهو يشربها ويزيلها بشربه وشأنه معها ؛ فهي تُزيل عقله وتفقده رشده وصوابه ، وتجعله يقترف الفسق والمجون . وحين وصل إلى هذا

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ١٧/الطويل .

(٢) السِّمْطُ : خَيْطُ النَّظم لأنَّه يُعلَّقُ ، وقيلَ هي قِلادَةٌ أطولُ من الْمِخْنَقَةِ ، وجمعه سُمُوطٌ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩٣) .

(٣) الجَرْش : حَكُّ الشَّيء الخَشِنِ بِمِثْلِهِ ودَلْكُهُ ، كما تُحرشُ الأفْعَى أنيابها إذا احتَكَّتْ أَطْوَاؤُها تَسْمَع لذلك صَوْتاً وجَرْشاً . وقيلَ : هو قَشْرُهُ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٥٩٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ،الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٩/المتقارب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الحد من التأمل فيها وفي أمرها ، تذكر الوليد بن يزيد ، وشأنه مع الخمر ، حيث أفسدت أمره ، وأدت إلى قتله آخر الأمر .

وموسيقى الأبيات رتيبة تسير في نسق واحد ـ عللاني ، وعود والعنقود وعقلي . ويبدأ الأبيات بالتجريد . فيقول :

عَلِّلانِي بِصوتِ نَايٍ وَعُودِ   واسقِياني دَمَ ابنةِ العُنقودِ

أشربُ الراحَ وهي تَشربُ عقلي   وعلى ذاكَ كانَ قَتلُ الوليدِ(١)

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ،الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٠١/الخفيف . ثم انظر ترجمة للوليد بن يزيد ، وقتله والسبب في ذلك ص ١٨ من هذا البحث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي مقدمات شعر الصيد كثيراً ما يقف الشاعر عند رحيل الليل وقدوم الصبح ، وكأنه يرمز عنده إلى بداية الحياة وإنتهائها .

وفي إحدىٰ المقدمات يتحدث عن خروجه في وقت رحيل الليل شديد السواد يصوره بالحبشي الهارب . فالكون مدىٰ يحتويه نظر الشاعر ، يرىٰ فيه الحبشي الفّار من أصحابٍ مثله.

والصبح يتمثّل أمامه بنوره وضوئه مبتسماً لقدومه وذهاب الليل ، والفرار لليل يعني سرعة إنتهائه ، وضحك الصبح يعني الانشراح والانطلاق والسعادة والتفاؤل .

وكأنيّ بإحساس الشاعر في البيتين ينتظر هذا الصباح مما جعله يُحسّ بسرعة رحيل الليل الفّار الهارب . يقول :

قد اغتدِي والليل في مآبِهِ ... كالحَبشيِّ فَرَّ من أُصحابِهِ
والصبحُ قد كَشَّفَ عن أنيابِهِ ... كأنهُ يَضحَكُ من ذَهابِهِ(١)

وأنياب الصبح ذلك البياض الممتد في الأفق حين ظهوره مبكراً ، بعد رحيل الليل .

وبدلاً من المقدمات التقليدية التي وقف فيها القدماء على أطلال المحبوبة ، يقف ابن المعتز على أماكن مخصصة له ، ربما كان ارتباطها بمن يُحب ، أو بذكريات أخرى ، والأغلب أنه يقصدها لشرب الخمر بها .

والجديد في هذه المقدمة أنه إذا كان القدماء قد شُغلوا بالأطلال ، فهو قد شُغل عنها بأماكن يُسميها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ،الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٣/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وطريقة الشاعر هنا في التصوير غير شائعة ، إذ يصور المحبوبة بمواطن من الجمال المكتمل بعدد من الصور متوالية . وأن أسنانها كالجواهر والدُّرّ أو الزينة الملونة أو زهر الرياض حين يبدو في أجمل صورة .

وفي تشبيه بديع يصور الشاعر لنا موقفه من الدهر ، وموقف الدهر منه . فالدهر يتربّص به ، ومازال يُلاحقه ويُؤدبه ، ويسعىٰ إلى عذاب قلّبه وإيلامه . ويسقيه الشقاء والتعاسة .

ثم يتوغلّ الشاعر في الصورة أكثر فيشبّه قلبه في صدره بالطائر القلق المضطرب الذي لا يعرف السكينة لأنه محبوس .

وأنْ يرمز الشاعر إلى نفسه وقلبه بالطائر الحبيس ، فهي فكرة متداولة بين الشعراء ، يعبرّون بها عن الأفكار والآمال والرغبات التي لا يمكنهم التعبير عنها أو اظهارها ، إلا أن ظروف ابن المعتز تختلف عن ظروف شاعر آخر ، بفقده عدداً من أهله يُقتلون على يد الأتراك (جده ، وأبوه ، وأعمامه) ، ثم إن مصاب الشاعر في نفسه أعظم : إذ لم يجد نفسه في المكان اللائق به ، وهو من أكثر بني العباس علماً وعقلاً ، وكان من المتقدمين في زمانه . إلا أنه لم يحظَ بمكانة تليق به ، ولم ينل حظه من ميراث أجداده في الخلافة ، وهو ابن خليفة وحفيد خليفة .

يقول الشاعر :

شُغِلْتُ عن أَطلالِ وَهْبِينا[1] وعن رُسومٍ أَقفَرتْ حِينا

بالكَرْخِ والقُفْصِ وقُطْرُبُّلِ وطِيزَناباذَ وكِركينا[2]

---

(١) وَهْبِينَ : جبل من جبال الدهناء (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفي سنة ٧٣٩ ، في كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ، تحقيق وتعليق على البخاري ، ط ١ ، جـ ٣ ، ص ٤٤٦) .

(٢) الكَرْخُ : سُوقٌ بِبَغْدادَ نَبَطِيَّةٌ ، وفي التَّهْذِيبِ : كَرْخٌ بِغَيْرِ تَعْرِيفٍ ، وأُكَيْراخُ مَوْضِعٌ في السَّوادِ... وفي التَّهذيب : الكَرّاخَةُ الكارِخُ الرَّجُلُ الذِي يَسُوقُ الماءَ إلى الأرْضِ ، سَوادِيَّة (ابن منظور : معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٨٤٩) .

=

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وشـــادنٍ عذّبنـــي حبُّـــهُ　　مُعـــرّقٍ من صُدغِـــهِ نُونَـــا
كأننـــي حيـــنَ أرىٰ وجهـــهُ　　وقـــد فَقدنـــا مَنْ يُراعينـــا
أكشِفُ عن دُرٍ وعـــن جَوْهـــرٍ　　قد راحَ في الأسفـــاطِ مَكنونـــا [1]
أو أنشُرُ الـــوَشْيَ الطِـــرازيَّ أو　　أفتـــحُ عن نَوْرٍ بَساتينـــا
نَفَّـــرَ قلبـــي بيـــنَ أضلاعـــهِ　　دَهـــرٌ يُحسِّيـــهِ الأمَرِّينـــا

القفص : أو القُفْس : بالضم ثم السكون ، والسين المهملة ، أكثر ما يتلفّظ غير أهله بالصاد : جبل بكرمان أهله كالأكراد ، يُقال لهم القُفْس والبلوص .. وهو مما يلي البحر ، وأصل أهله عرب لم يكن لهم دين ، يرجعون إليه موصوفون بقلّة الرحمة والفساد في الأرض ... وقد تبعهم عضد الدولة حتى أفناهم (صفي الدين البغدادي ، كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، جـ ١١١٣/٣ .

قُطْرَبُّل : بالضم ، ثم السكون ، وفتح الراء ، وباء مشدّدة مضمومة ، ولام ... قرية بين بغداد وعُكبرا ... يضاف إليها الخمر والحانات ، وهي الآن خراب .. (المصدر السابق ، .. جـ ٣ ، ص ١١٠٦) .

طِيزَناباذ : بالكسر ، ثم السكون ، ثم زاي مفتوحة ، ونون وبعد ألفها باء موحّدة ، وآخره ذال معجمة ، موضع بين الكوفة والقادسيّة . على جادّة الطريق إلى مكة ، بينها وبين القادسية ميل ، وهي الآن خَراب لم يبق بها إلّا أثر قباب أبي نواس ، الذي أنشد بذكرها :

قلـــوا تنسَّكْ بعـــد الحج قلتُ لهم　　أرجـــو الإلـــه وأخشىٰ طيزنابـــاذا

(المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠٠) .

كِرْكِنيا : كِرْكين : بكسر الكافين ، وآخره نون ، من قرى بغداد و قرب البَوْدان (صفي الدين البغدادي ، كتاب مراصد الاطلاع ، جـ ٣ ، ص ١١٦٠) .

(١) الأسفاط : السَّفَطُ : الذي يُعَبىّ فيه الطِّيْبُ ، وما أشبَهَهُ من أدواتِ النّساءِ ، والسَّفَطُ مَعْروفٌ . ابْنُ سيده : السَّفَطُ كالجوالق والجَمْعُ أسْفاطٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ٢٠٢٧) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كطائـــــــــــــــرٍ في قَفَصٍ لم يزلْ مُضطرِبـــاً مُذْ كانَ مَسجونـــــــ(١)

وتيـار الشعور مترابط في الأبيـات منـذ أول بيت إلى آخـر بيت ؛ فاشتغالـه عن أماكـن أحبَّهـا وأحب ارتيادها ، وانشغاله عمن يحب ، كان سببه انصرافه إلى آلام نفسه ، وتوجعات قلبه اللذين أصابهما الدهر أيما إصابة !

هذا فيما يختص بمقدمات الصيد ، أما بالنسبة لقصيدة الصيد نفسها فمن بديع تصوير الشاعر لسرعة الكلب ، خروجه سريعاً فيستمر في العدو طويلاً ، ثم يربط الشاعر ـــ كعادته ـــ بين خروجه للصيد ، والزمن ، وشكل الطبيعة ، وهو وقت رحيل الليل وطلوع الفجر . فالليل هو الأعم والأشمل ، وهو المسيطر على الكون . وكأن الفجر موقد به ، تظهر منه أشعة ضوء الفجر ونوره .

وبعد تحديده للوقت بالضبط من خلال مكان الفجر من الليل . وعلاقة كل منهما بالآخر ، عاد الشاعر مرة أخرى إلى الحديث عن سرعة الكلب ، فهو يَعدو مادام الطريق يمتد أمامه للسير . وهي مبالغة طريفة من الشاعر ، أن يجعل السرعة في غايتها ومنتهاها ، ليس لها ضابط سوى انتهاء الطريق ، فكلما امتد الطريق استمر في السرعة .

ثم ينتقل أيضاً إلى وصف سرعة الخيل بقوائمها في سباق مع بعضها البعض ، فالأيـــدي تُسرع وتجري ، والأرجل تقتفي أثرها في السرعة .

وبعد أن وصف الشاعر سرعة كلاً منها على حدة ، الكلاب أولاً ثم الخيل ، صوّر بعد ذلك أثر هذه السرعة ؛ فصوت عدو الكلاب والخيل وركضها كان يشبه صوت البرق والرعد .

فحركة حوافر الخيل ، وقوائم الكلاب على الأرض تُحدِثُ صوتاً عالياً لا يتبينه السامع ، ولا يُدرك مصدره فيتخيله من السماء .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٧ ـــ ٤٧٨/السريع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فيصل الشاعر الأرض بالسماء ، فالحركة صداها في الأرض ، ولكن صوتها يصدر من السماء ، فخيال الشاعر جمعها في صورة واحدة .

ثم يتعمق الشاعر الصورة أكثر ، فيذكر انطباعات أخرىٰ للناظر إلى هذا المشهد المركب من عناصر سبق له ذكرها ، وبيان علاقتها ، الكلاب والخيول السريعة المستمرة الحركة ، تتسبب حركتها في تطاير الغبار في الفضاء . وهو على هذه الهيئة يشبه ملاءاً نشره غسال ينتظر جفافه .

ثم يُوغل الشاعر في الصورة أكثر ، فملاء الغسَّال بين النشر والطيء ، فالنشر يقوم به السهل عندما تمرّ به الكلاب والخيول المسرعة ، فما تكاد تصل الجبل حتى يطويها فلا تظهر ، وهي في بعدها كأنها قريبة . فيطول نَفَسُ الشاعر في الصور ، ويأتي بها متلاحقة متتابعة ، ويصل بينها بعرىٰ وثيقة ... يقول :

غَدوتُ لِلصيدِ بِغُضْفٍ كالقِدَدْ ... والليلُ قد رَقَّ على وجهِ البَلَدْ[1]

وابتلَّ سِربالُ النسيمِ وَبَرَدْ ... والفجرُ في ليلِ الظلامِ يتَّقِدْ[2]

غواضفٍ مُنتهياتٍ للأمَدْ ... ما يَستزِدْها الشَّوطُ من عَدْوٍ تَزِدْ

وتقتضِي الأرجلُ والأيدي تَعِدْ ... لمَّا غَدونا وغدتْ خيلُ الطَّرَدْ

---

(١) غُضف : قيل للكلاب غُضْفٌ ، إذا اسْتَرْخَتْ آذانُها على المحاوَرةِ مِنْ طُولها وسَعَتِها ، ... والغُضْفُ كِلابُ الصَّيْدِ مِنْ ذلِكَ ، صِفَةٌ غالبةٌ وغَضَفَ الكَلْبُ أُذُنَهُ غَضْفاً وغَضفاناً ، وغَضْفاناً : لواها ، وكذلك إذا لَوَتْها الرِّيح ، وقيل غَضَفَها أَرْخاها وكَسَرَها ، والغَضَفُ ، بالتَّحْريكِ : اسْتِرْخاءٌ في الأُذُنِ ، وفي التَّهْذِيبِ : الغَضَفُ اسْتِرْخاء أَعْلى الأُذُنِ على مَحارَتِها من سَعَتِها وعِظَمِها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٢٦٧) .

(٢) سَربال : السِّربال : القَميصُ والدِّرْعُ ، وقِيلَ : كل ما لُبِسَ ، فهو سِرْبالٌ وقد تَسَرْبَلَ به ، وسَرْبَلَهُ إِيَّاه . وسَرْبَلْتُه فَتَسَرْبَلَ أي أَلبستُهُ السِّرْبَال ...

وقيل في قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ إِنَّها القُمصُ تَقِي الحَرَّ والبَرْدَ فاكْتَفَى بِذِكْرِ الحَرِّ ، كَأَنَّ ما وَقَىٰ الحرَّ وَقَىٰ البرد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَسَرابيل تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ فهي الدُّرُوع (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٨٣) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أَبـرقَ بالـركضِ الـفضاءُ ورعَـدَ وقـامَ شيطـانُ الحريصِ وَقَعَـدْ
وطـارَ نَقْـعٌ في السمـاءِ وَرَكَـدْ كأنـــهُ مُلاءُ غَسَّالٍ جُدُدْ [1]
يَنشُرُهـا السهـلُ ويَطـويها الجَـدَدْ مثلُ القريبِ عِنْدَهـا ما قـد بَعُـدْ

والصورة مع بساطتها عميقة التناول تلائم نسق الصورة السابقة في ربطها الأرض بالسماء . والملاء يُنْشَرُ بين الأرض والسماء ليجف ماؤه ثم يُطوىٰ ، فشدة السرعة ، وما يترتب عليها . استدعت في خيال الشاعر رؤىً من الطبيعة ؛ ليعمّق إحساسنا بالسرعة ، ويلتقط الصور التي تبين مداها وأثرها الدال عليها .

ومن خلال تصوير الشاعر للسرعة على هذا النحو ، وإبداعه في تناولها على هذا النسق الفني ، ثم إطالته التأمل فيها ، ونقلها متلائمة من جيز الطبيعة تجمعها وتشترك فيها ، يتبين خطأ القول بأن المعتز لا يُجيد إلا التشبيه بالنفائس كالذهب واللؤلؤ والفضة والجواهر ، وإن التشبيه عنده إنما يستمد جودته من نفاسة مادته . ذلك أن التشبيه الذي مرَّ بنا منذ قليل لا أثر لمثل تلك النفائس فيه ، ومع ذلك فقد لمسنا روعته ، وحسن تناوله ، وبديع تركيبه .

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفَصل الثاني

العِنَاية بتفَاصِيل الصُورَة

وهي من أوسع الخصائص في شعر ابن المعتز ، فالشاعر ينقلك إلى خياله ؛ لترىٰ معالم الصورة عنده ــ شكلها أو هيئتها أو لونها ــ في إحساسه بها ، وانطباعه عنها ؛ فيخلق لها كوناً جديداً في عالمه الشعري ، مادامت قد مرت بخبرته التأملية ، واتسع لها نطاق شعوره .

والظواهر التي يتناولها الشاعر هي كل ما يمكن أن يمرَّ بخبراته اليومية في الطبيعة أو الحياة المادية .

ومادة الصورة عنده مستمدة أيضاً من تلك الظواهر ، إذ يربط الشاعر بين الظواهر والصور ، فيجعل الصورة ظلالاً للظاهرة لا تنفكْ عنها وتتلون بألوانها ، وتتشكل بأشكالها .

ويبقى للشاعر فضل تلك التركيبة الفنية المتقنة ، والتي هي مزيج من الظاهرة والصورة ، ثم فكره وإحساسه بهما وانطباعه النفسي الذي يحرك هذا الإحساس .

ولنتتبع بعض الصور التي اتضح إصرار الشاعر على بيان أشكالها وهيئاتها وألوانها من خلال أغراض شعر الوصف الثلاثة الطبيعية ثم الخمر والصيد .

وفي مقدمة الصور في وصف الطبيعة ، أبياته المشهورة في تشبيه الهلال وحوله النجوم بالمنجل من الفضة يحصد النرجس ، وبها يُستدل أيضاً على براعة الشاعر في الوصف .

لقد استطاع الشاعر أن ينقل إلى قارئه استدارة الهلال غير الكاملة ، وبياضه ولمعانه ، ثم شكل النجوم المنتشرة حوله ، وهي أيضاً بيضاء جميلة وتبقىٰ الحركة في الفعل (يحصد) ، تنقل لنا إحساس الشاعر بالهلال ، وعلاقته بالنجوم من حوله . فهي علاقة الأصل بالفرع ، والقائم على من يستحق الرعاية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم يقيم الشاعر صلة بينك وبينه بقوله في أول البيتين انظر …

يقــول :

أُنظـــرْ إلى حُسْنِ هِلالٍ بَــدا يَهْـتِكُ من أنـوارِهِ الحِنْدسـا

كَمِنْجـلٍ قـد صِيغَ مِنْ فِضّـةٍ يَحْصُدُ من زَهْرِ الدُّجَى نَرْجسـا[1]

وبكثير من الدقة يصف الشاعر المصباح في المجلس بقمرٍ مشرقٍ ، ثم يشبهه بالترسِ من الفضةِ يُمزقّ الظلمة .

وقد وُفّق الشاعر في نقل الصورة بظاهرها ، وبيقى بها جانب خفي رمزي ، يتأتى من تشبيه الشاعر المصباح المستدير بالترس ، وهو سلاح في الحرب يتقي به المقاتل الضربات ، ويختفي خلفه . ثم إن هذا الترس المصنوع من الفضة يُمزّق الظلام ويُشتّته ، وربما كانت ظلمة الدجى في الصورة رمز للظلم والجور والبغي والطغيان ، ويؤكد هذا التفسير للصورة ذكره للمشبه مضافة إليه نون المتكلمين وعلى رأسهم الشاعر الذي تولى مهمة التعبير . يقـول :

ومصْباحُنَـا قمـرٌ مشرِقٌ كتُرسِ[2] اللّجيـنْ يشـقُّ الدُّجـى[3]

وله تصوير رائع وبديع للقثاء ، يُبَيّنُ فيه شكلها وهيئتها ولونها . فهي أَنابيب مجتمعة إلى بعضها البعض ، مادتها الزمرد الأخضر الممتد ، وينفي عنها اتصالها بالورق .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ٦٠٥ ــ ٦٠٦/السريع .

(٢) التُّرسُ مِنَ السِّلاح المُتَوَقّى بِها ، معروف ، وجَمْعُهُ أَتْراسٌ وتِراسٌ وترسةٌ وتُرُوس (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٨) . وهو قرص معدني مستدير ، يستتر خلفه المقاتل .

(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٢ /المتقارب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويصوّر الشاعر شكلها ولونها ، ويترك تحديد طُولها ، وكأن الأنابيب المجتمعة إلى بعضها البعض أغرته بأن يتركها ممتدة . من إحساسه وإلى كل إحساس ترك الشعور بأهمية الالتفاف والوحدة والألفة والتقارب . والقثاء هي النموذج الرائع من الطبيعة . يعطينا درساً للجمال في الاجتماع ، ونتيجته قوة تصنع السلام ، ولون الخضرة يرمز إليه . يقول:

انظُر إليهِ أنابيباً مُنضَّدَةً ... من الزُّمُردِ خُضراً ما لَها وَرَقُ

إذا قلبتَ اسمهُ بانَتْ ملاحتُهُ ... وصارَ مقلوبُهُ أنّي بكُمْ أُثِقُ[1]

وأما النارنج[2] فيصف الشاعر شكله ولونه وهيئته على الشجرة فالنارنج كُرَةٌ من الذهب الخالص . ليؤكد الشاعر على لونها شديد الصفرة ، واستدارتها ، ثم يصورها في مكانها على الشجرة ، فإذا هي الكرة المذهبة رماها الصولجان[3] ؛ فبقيت معلّقةً في الهواء ، والجانب الأخير في الصورة ، من صنع خيال الشاعر ، إذ لا وجود في الطبيعة لكرة تتعلق في الهواء ولا تسقط .

يقول في الكامل :

وكأنّما النارَنجُ في أغصانهِ ... من خالصِ الذهبِ الذي لم يُخلَطِ

كُرةٌ رَماها الصّولجانُ إلى الهَوا ... فتعلّقتْ في جَوِّهِ لم تَسقُطِ[4]

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٢٣/البسيط .

(٢) النّارَنج : شجرة مثمرة من الفصيلة السذابية دائمة الخُضرة . تسمو بضعة أمتار ، أوراقها جلدية خُضر لامعة ، لها رائحة عطرية ، وأزهارها بيض عبقة الرائحة ، تظهر في الربيع . والثمرة لبيّة تُعْرَفُ كذلك بالنّارنج ، عصارتها حمضية مُرَّة ، وتُستعمل أزهارها في صُنْع ماء الزّهر ... (المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٩١٢ ــ ٩١٣) .

(٣) الصَّوْلَجانُ : العُودُ المِعوجُّ . قال سيبويه : فارسيٌّ مُعَرَّبٌ والجمع صَوَالِجَةٌ والهاءُ لِمَكَان العُجْمَةِ ... التهذيب : الصَّوْلجان عَصاً يُعْطَفُ طَرَفُها يُضْرَبُ بها الكُرةُ على الدَّوابِّ ، فَأَمّا العصا التي أعْوَجَّ طَرَفها خِلْقَةً في شجرتها فهي مِحْجَنٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦١٠/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والصورتان السابقتان والصورة الأخيرة خاصة بالشاعر ، لم يتناولها شاعر مثلبه على هذا النمط .

وإذا خرج الشاعر إلى الطبيعة ، وتجوّل في أرجائها ، فإنه لا ينسىٰ أن يصف أجزاءها بصفات الذهب ، وخصائصه التي نعرفها عنه .

فالغدير[1] حين تسقط الشمس عليه ، يعتقد الناظر إلى سطح الماء أنه درعٌ صنع من الذهب .

فالشاعر دقيق في رسم الصورة ، فاختلاط أشعة الشمس بسطح الماء الذي حركته ريح الصَّبا يُحيل سطحه أصفراً مموجاً ، كأنه درعٌ من الذهب .

يقول في المتقارب :

غَديرٌ يُرجرِجُ أمواجَهُ ... هُبوبُ الرياحِ وَمرُّ الصَّبا[2]

إذا الشمسُ من فوقِهِ أشرقَتْ ... تَوهَّمتُهِ جَوشناً[3] مُذْهَبا[4]

(١) الغَدِير : القطعة من الماء يُغادرها السَّيْلُ ، أي يتركها ... وقد قيل : إنه من الغَدْر ؛ لأنه يُخَوِّنُ وُرَّادَهُ فينضبُ عنهم ، ويغدر بأهله فينقطع عندما تشتد الحاجة إليه(ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٢١٧) .

(٢) والصَّبا : ريحٌ معروفة تقابل الدَّبور . الصِّحاح : الصَّبا ريح،ومهبها المستوى أن تهُبَّ من موضع مَطْلَع الشَّمس إذا استوى الليل والنهار،ونيحتها الدبور . المحكم : والصَّبا ريح تستقبل البيت ، قيل : لأنها تحن إلى البيت . وقال ابن الاعرابيِّ : مَهَبُّ الصَّبا مِنْ مطلع الثُّريَّا إلى بنات نَعْش. ومن تذكرة أبي عليٍّ : تكون اسماً وصفة ، وتثنيته صبوان وصبيان (عن اللحياني) ، والجمع صبوات وأصباء . وقد صبت الرِّيح تَصْبو صبوا وصبا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩) .

(٣) الجَوْشَن : الدِّرعُ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٢٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥١٠/المتقارب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومصدر الصورة الحرب بأحداثها وأدواتها التي تُثري خيَال الشعراء .

إلا أن الشاعر جعل طرفي الصورة نكرة ، فقال : (غديرٌ ، وجوشنا) ، والتنكير هنا أفاد الصورة التعميم ، فأصبحت بمثابة لوحة فنية لمظهر من مظاهر الجمال في الطبيعة . مع أن تشبيه الغذير بالدرع المذهب أفاد المشبه قوة وصلابة ، والذهب وصف به الغدير بلونه حين تشرق الشمس عليه ؛ لينقل لنا لونه كما تراءى للشاعر في وقت رؤيته له .

والنار كذلك تحظى من الشاعر بتصوير بديع ، فيصفها في اندفاعها ، وانتشار ضوئها بالسيوف المصقولة ، يتم صقلها بين عيدان الحطب . وهذا التشبيه ينقل لنا شكل ألسنة النار ولمعانها وضوئها ، واستقامتها . والنار والسيوف تشترك في صفة واحدة هي التوجه إلى القتل والدمار ، والصلة بينهما وثيقة ؛ فالسيوف تُصاغُ من المعدن بتعرضه للنار ثم تصقل فيها أيضاً . يقول :

مُشَهَّرةٌ لا يَحجُبُ البُخلُ ضوءَها   كأنَّ سيوفاً بين عِيدانِها تُجْلَى[1]

ومُشَهَّرةٌ صفة لألسنة النار ، ولكنه لم يصرّح بإسمها في البيت لدلالة المعنى عليها. ولوجود قرائن لفظية مثل (ضوءها ، تُجلى) .

والسيوف أيضاً أُولى مستلزمات الحرب ، فيستحضر الشاعر صورها في أكثر من موضع .

وذِكْرُ الشاعرِ للبخل في البيت ؛ لإرتباط النار بالكرم ، والكريم هو الذي يُشْعِلُ ناره ليراها المسافر في الليل ، ويَقْدم عليه .

ثم وصف آخر للنار المندفعة بين عيدان الحطب بالخيل تُمزّق عنها غطاءها ، فالنار والسيوف والخيل هذه هي أجزاء الصورة .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٣/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والتشبيه هنا في ظاهرة بيان شكل خروج النار من بين عيدان الحطب المتقاربة ، ثم شبه لون الخيل بلون النار . يقول :

تُفرِّجُ أغصانَ الوَقودِ إذا التقتْ كما شَقَّتِ الشقراءُ[1] عن مَتْنِها جُلَّا[1]

خيال لمّاح، استطاع الشاعر به أن يُخرج لنا من بين عيدان الحطب، وألسنة ناره خيلاً نافرةً، تُمزِّق ما عليها ، والخيل رمز للقوة والخير ، والصورة حافلة بالحركة في طرفيها في قوله [تفرِّجْ ــ وشقَّت] .

وينظر الشاعر إلى السماء ، ويتأمل الثُّريّا[2] في صور كثيرة ، وأشكال متعددةٍ ، توافق صورا وأشكالاً ، وأنماطاً تطالعه في حياته من قِبَل مَنْ حوله .

فالثريا ــ كما بدا له شكلها في السماء ــ تشبه العنقود .

فيحدد الشاعر وقت الزيارة ، في الليل حين اشتد سوادة في جوانبه ، وأن سواد الليل هو الذي أتاح له رؤية الثريا في غرب السماء بالعنقود .

---

(١) الشقراء : أنثى الخيل .
جُلّا : ما يُغطى به ظهرها من نسيج غليظ .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٣/الطويل .

(٣) وهي النجم كما يُطلق عليها أحياناً ، وهي ستة كواكب متقاربة جداً (انظر : د. يحيى شامي ، كتاب النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي ص ٩٣ ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، الناشر : دار الآفاق الجديدة ، بيروت) وتتألف الثريّا كما كشفت المراقب المنظورة حديثاً من رشاش من النجوم له أصل واحد ، وهي تقع على بعد ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل (انظر هامش ص ٩٣ من كتاب النجوم في الشعر العربي القديم ، نقلاً عن مشارف علم الفلك ــ لوحة ١٧ ، ٢١٢) . ومعها سابعٌ خافت سُميت بهذا الاسم لما ينجم عن مطرها من الثروة والغنى وهي تصغير ثَرْوى ، ولم يُنْطق بها إلا مُصغَّرة (ابن رشيق ، كتاب العمدة ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يقـول :

زارني والدُّجَـىٰ أَحَـمُّ الحَـواشي   والثُّريَّـا في الغـربِ كالعُنقـودِ

وهـلالُ السمـاءِ طَـوْقُ عروسٍ   باتَ يُجلَـىٰ على غلائـلَ سُـودِ(١)

ويؤكد الشاعر سواد الليل ، بوصفه للهلال بطوق عروس يُلَمِّعُ على قماش أسود ، فتشبيه الهلال بالطوق كناية عن استدارته المفرَّغة أول الشهر أو آخره ، وعُنصر الربط أقوى بين الصورتين السابقتين .

ثم أوجد الشاعر رابطة نفسية عميقة بين الهلال الذي يشبه في استدارته نصف السوار ، والثريا التي تشبه كفاً مشيرة إليه ، معجبة به ، والتصوير هنا في ظاهرة لنقل الشكل يقول :

وكـأنَّ المَجَـرَّ جَدوَلُ ماءٍ   نَوَّرَ الأقحـوانُ في جانبَيـهِ

وكـأنَّ الهِـلالَ نِصفُ سِوارٍ   والثّرَيّـا كَفٌّ تُشيـرُ إلَيـهِ(٢)

وكما ألمح الشاعر إلى صفة نفسية إنسانية في الصورة السابقة للثُّريَّا ، فهو ينظر إليها في الغرب، فإذا السماء تعكس شكل غصن من الزهر على صفحتها ، فالسماء مرآة صافية تنقل بصدق ما على الأرض . والتصوير هنا أيضاً لنقل الشكل في الظاهر ، وإن كان الشاعر يقرِّب بين السماء والأرض .

ومما يدل على ذلك أن الصورة المتأملة في السماء، تحديده لمكانها في الغرب . يقـول :

والثُّريَّـا كَنَـورِ غُصْـ   ـنٍ على الغَـربِ قد نُثِـر(٣)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الاول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٦/الخفيف .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٥٥/الخفيف ،
وانظر : ديوان ابن المعتز ، دار صادر ص ٤٧١ .

(٣) ديوان دبن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٢٦ /الخفيف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا من شعر الطبيعة في تفاصيل الصورة . أما شعر الخمر ، فيقدم الشاعر لإحدىٰ خمرياته بوصف شكل الثُّريَّا في إطار حديثه عن الكون لتحديد وقت شربه الخمر .

فظلمة الليل تخيّم على الكون من كل جانب ، والنجوم راكضة في حلبته ، ثم يطوي المدىٰ الزمني لليل ، ويتحدث عن الثُّريَّا في آخر الليل فإذا هي أشكالٌ مختلفة ليس بينها رابطة ؛ زهرٌ متفتح ، أو لجام من الفضة البيضاء اللامعة .

والكون بأطرافه ، مسافة محددة في خيال الشاعر يحتويها . فهو ليس إلا حلبة للسباق ، تتسابق فيها النجوم .

والركض الذي وُصف به النجم ، والتفتح الذي وصفت به الثُّريَّا ، يعبّر بهما الشاعر عن حالتي الظهور والإختفاء والتلألؤ . يقول :

ألا سَقِّنيها والظلامُ مُقَوَّضُ ونجمُ الدُّجَى في حَلْبةِ الليل يَرْكُضُ

كأنَّ الثُّريَّا في أواخرِ ليلِها تَفَتُّحُ نَوْرٍ أو لِجَامٌ مُفَضَّضُ[1]

أما أباريق الراح المصنوعة من الفضة ، فهي تشبه الظباء وقفت بمكان مرتفع .

فالقيمة الجمالية لإبريق الراح ، وشكله وهيئته قائماً بين الشاربين، جعل الشاعر يشبّهه بالظباء تقف في مكانٍ مُرْتفع ، وجمال الأباريق من خلال إحساس شاربي الخمر بها . يقول :

كأنَّ أباريقَ اللُّجَيْنِ لَديهِم ظِباءٌ بِأعلى الرَّقمتينِ قِيامُ[2]

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٦٧/الطويل .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٠/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وحين يصف الشاعر الخمر في رائحتها ولونها وشكلها حين تُصبُّ في الكأس ، يشبهها بالخنجر في نفوسه . وإن اختياره للخنجر في وصف الخمر يرتبط باغتيالها العقل ، وفتكها به .

ثم يملأ الساقي الكأس بخمر كالعقيق في حُمرتها القانية ، يظهر المسك في اخر الكأس من شدة حمرته ، وقلة انعكاس الضوء عليه ، وكذلك شبهه بالخمر في إزالة الهم . يقول

وطافَ بها ساقٍ أديبٌ بِمبزَلٍ ... كَخنجَرِ عَيَّارٍ صِناعتُه الفَتْكُ

وحَمَّلَ آذَرْيُونةً فوق أُذْنِهِ(١) ... كَكأسِ عقيقٍ(٢) في قرارتها مِسْكُ(٣)

وَرِدَّتْ علينا الشمسُ تُرفُلُ في الدُّجَى ... فكانَ لِسِترِ الليلِ من نُورِها هَتْكُ

والاطار العام لتصوير الخمر هو تشبيهها في صفرتها بالشمس ، وحمرتها بالعقيق أو الدم ، وأحياناً أخرى يشبهها بالذهب، ومرة بالفضة .

فيسير الشاعر على هذا النشق في تصويره للخمر . فإذا شبهها الشاعر بالشمس ، نقل لك أشعتها اللامعة ، وأبرز لونها وأشعتها ، وسواد الليل حولها . وذِكْرهُ لسواد الليالي ، نَقْل للصورة من الطبيعة ــ وهي الشمس ــ إلى عالم الخيال الشعري ؛ فالشمس في الواقع لا تسطع في الليل .

ويتحفَّظ الشاعر في إطلاق التشبيه فيجعل الاستخلاف خاص بأشعة الشمس وضوئها . يقول :

رُوِّحَ دَنٌّ صفراءَ تَستخلفُ الشمـ ... ـسَ سَناهَا على سوادِ الليالي(٤)

---

(١) الاذرْيون : نبات زَهْرِيّ خَرِيفي ، زهره اصفر أو أحمر ذهبيٌّ ، في وسطه خَمْل أسود ، وهو من فصيلة المركّبات الأنْبوبية (المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ١) .

(٢) تحقيق : أستخدم اللفظ في البيت وهو غير ملائم للمعنى ، وربما كان خطأ مطبعياً ،أوتصحيف

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٣/الطويل .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١١/الخفيف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويستمر الشاعر في مواضع أُخرى من شعره في ملاحظة خارجية للظواهر من حوله ، وربطها بظواهر أخرى مادية ليس للشاعر فضل فيها سوى قوة ملاحظتها وربطها ، وهو في هذا يشبه الشاعر الجاهلي ، ويمزج ذلك بإستخدام الصنعة ، التي أخذ بها الشاعر العباسي المُحدَث .

فحمرة الخمر إن لم تكن تشبه العقيق فهي تشبه الدم ، ولمناسبة وصفها بالدم ، يشبه زقها(١) برجلٍ من الزِّنج مُوثَّق ومذبوح .

وهذا التشبيه للزِّق بالمذبوح يرجع إلى الاشتراك في اللون الأسود ، وسيلان اللون الأحمر منه . والصورة تقليدية للزِّق تناولها شعراء الخمر السابقين عليه . يقول :

يَبيتُ يَسحبُ زِقّاً أو يُفرِّغُهُ   كَمُوثَقٍ من رجال الزِّنجِ مَذبوحِ(٢)

ويذكر الشاعر للخمر أكثر من لون ، فيذكر لونها قبل المزج وبعده ، فهيَ تُشْبه الخدود الوردية اللون ، فحمرتها خفيفة ، وقبل مزجها كلون الياقوت الأحمر القاني ، وهو وصف دقيق جداً للون الخمر ، فهي إلى نفسه كرؤيته لهاتين الصورتين [الخد المورد ، والياقوت] والشاعر هنا فنان يعطيك درجة لونها بدقة . يقول :

وهي بعدَ المِزاجِ تَوريدُ خَدٍّ   وهي مثلُ الياقوتِ قبلَ المِزاجَ(٣)

---

(١) الزِّقُّ : السِّقاءُ ، وجَمْعُ القِلّة أزْقاقٌ ، والكثير زِقاقٌ وزُقّانٍ مثل ذِئبٍ وذُؤبان ، والزّق من الأُهُب : كُلُّ وعاءٍ اتُّخِذَ لشرابٍ ونحوه . وقيل : لا يسمّى زِقّاً حتى يُسْلَخَ مِنْ قِبَلِ عُنقِهِ ، وتزقيقه سَلْخه من قِبَلِ رأسِهِ . قال أبو حنيفة : الزِّقُّ هو الذي يُنقَل فيه الخمر ، والجمْع أزقاق وأزُقّ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٨٤٥) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٣/البسيط .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٨/الخفيف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتحدث الشاعر عن الصيد بجوارحه وضواريه ، ويصف البازي أكثر من وصفه غيره ، فينقل شكله وسرعته ، ثم يتناول دوره في عملية الصيد ، وما يفعله في سبيل حصوله عليه . يقول :

غَدوتُ لِلصيدِ بفتيانٍ نُجُبْ ... وَسَبَبٍ لِلرزقِ من خيرِ سَبَبْ

غَدا فلاقَى الطيرَ حَتفٌ من كَثَبْ ... وهيَ على ماءِ الخليجِ تَصطَخِبْ

يطلُبُ دَيناً في النفوس قد وَجبْ ... ذو مُقْلةٍ تَهتكُ أستارَ الحُجُبْ

كأنَّها في الرأسِ مِسمارُ ذَهَبْ ... كانتْ لنا وسيلةٍ فلم تَخِبْ[1]

فيذكر الشاعر خروجه إلى الصيد مع رفاقه لتحصيل الرزق . ثم هم يحملون الموت للطير ، في الوقت الذي كانت هي تلعب بأصواتٍ مرتفعة على الماء ، وذلك بجملة الحال التي ضمّنها الشطر الثاني من البيت الثاني [وهي على ماء الخليج تصطخب] فبذلك بيّن هيئة الطير وحالها . ثم الحركة الموحية بالمعنى في الفعل [تصطخب] فهذا الفعل روح جملة الحال ، وعمدة فيها .

وأشار الشاعر إلى البازيّ بالضمير في قوله [سبب للرزق] ثم الضمير في [غدا ويطلب] يعود على [سبب للرزق] ، فوصفه للبازي من خلال هذه الضمائر بالجرأة ، وسرعة الفتك بالفريسة . فأعتبره الشاعر طالب دَيْن ، وطالب الدين مُتّجه إليه دائماً ، لا يلتفت لغيره . ثم تحدَّث عن مقلته التي تخترق الحُجُبَ ، فوصفها بأنها في رأسه تشبه مِسْماراً من ذهبٍ ، والجامع بينهما صفرة اللون واللمعان والاستدارة ، وثباتها . ويتألق البازيُّ في وصف الشاعر له بهيئته وشكله ، ومنقاره ، وساقه . يقول :

يَعلو الشِمالَ كالأميرِ المُنتصِبْ ... أُمكَنهُ الجودُ فأعطَى ووَهَبْ

ذو مَنسِرٍ مثلِ السنانِ المختَضِبْ ... وذَنبٍ كالذَّيلِ ريَّانِ القَصَبْ

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٥/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أُسبِلَ فوقَ عُطبةٍ مِن العُطُبْ كأنَّ فوقَ ساقِهِ إذا انتَصَبْ
من حُلَلِ الكَتَّانِ راناً ذا هُدُبْ قد وَثِقَ القَوْمُ له بما طَلَبْ
فهو إذا جَلَّى لِصيدٍ واضطَرَبْ عَرَّوا سكاكينَهُمُ من القُرُبْ[1]

فيشبه البازي في هيئته العامة ، وهو واقف بالأمير في عزته وشموخه ، ويضيف إليه ندى اليد ، هاتان صفتان جعلته يربط بين البازي والأمير . وله أيضاً منقارٌ طويلٌ يشبه رأس الرمح المغطىٰ بالدم في انحنائه ، وسرعة فتكه .

ثم يتحدث عن ساقه المغطىٰ بريشٍ صغيرٍ منفوشٍ كالقطن ، ويجعل المعنى مشتركاً بين بيتين ، وذلك بأن جعل اسم كأن في الشطر الأول من البيت الرابع [راناً ذا هُدُبْ] .

وفي وصف البازيِّ أيضاً يقول :

كأنَّهُ في جَوْشنٍ مُزرَّرِ ذِي مُقلةٍ تُسرِجُ فوقَ المَحْجِرِ[2]
وَمِنسرٍ عَضْبِ الشَّبا كالخَنْجَرِ تَخالُهُ مُضمَّخاً بالعُصفُرِ[3]
وهامةٍ كالحَجَرِ المُدوَّرِ وجُؤجُؤٍ مُنمنَمٍ مُحَبَّرِ[4]

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٥/البسيط .
(٢) الجَوْشَنُ : الصَّدْرُ ... والجَوْشَنُ اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح ... الجوهري : الجوشن الدِّرعُ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٢٩) .
(٣) الغَضْب : السيف القاطع ، والمِنْسَرُ بكسر الميم لسباع الطير ، بمنزلة المنقار لغيرها (الجوهري ، معجم الصحاح ، تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطا ، جـ ٢ ، ص ٨٢٧) .
والعُصْفُرُ : صِبْغٌ وقد عَصْفَرْتُ الثوب فَتَعَصْفَرَ (الجوهري ، معجم الصحاح ، جـ ٢ ، ص ٧٥٠) .
(٤) جؤجؤ الطائر : صدره والجمع جآجيء (الجوهري ، معجم الصحاح ، جـ ١ ، ص ٣٩) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كأنــــهُ رَقٌّ خفِـــــيُّ الأسطــــــرِ وَذنبٍ كالمُـــــنصُلِ المُذكَّــــــرِ[١]

أو كَحَنـــــيٍّ الطَّلعـــــةِ المُـــــقشَّرِ وقَـــــــبضةٍ تَفصِلُ إنْ لم تَكسِرِ

قَلَّصَ فوق الدَّستبــــانِ الأحمــــــرِ جَناحَــــهُ كُرْدُنـــــةِ[٢] المُشمــــرٌ[٣]

فهـو في ضخامة شكله وامتلائه أو انعطاف جناحيه على جسمه يشبه المرتدي درعاً من الحديد . وقد أراد أن يصفه بالقوة والصلابة وعدم استطاعة أحد أن ينال منه . ثم البريق في كلٍ من الريش الأبيض والدرع من الحديد . وأكّد الصورة بقوله [مُزّرر] .

ثم يستمر الشاعر في بيان تفاصيل الصورة في وصفه للبازي ؛ فمقلته مُضيئة كأنها سراج لما فوق محاجرها . ويقصد بتلك الإضاءة البريق الشديد في عيني البازِّيّ ، والذي يعتبر صفة ملازمة له .

أما منقاره فكالخنجر قوي فتّاك ، والغرض من الصورة تأكيد صفتي الانحناء لمنقاره ، وصفة فتكه بالفريسة بسرعة ، مع أن لونه مُصْفّر كأنه دُهِنَ بالعُصْفر .

ويثبت الشاعر للبازّيّ صفة القوة ؛ فيذكر أن رأسه كالحجر المدّور ، فالحجر من الطبيعة الجامدة حوله ، إلا أن الشاعر عالجه بخياله ليجعله يناسب المشبه به ؛ فيصف الحجر بالاستدارة .

---

(١) المنصل : النَّصل نَصْل السّهم ونَصْلُ السيف والسكين والرُّمح ، ... المُحْكَمُ : النَّصلُ حديدة السهم والرمح ، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مَقْبَضٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ص ٤٤٤٥) . المِذْكَر : مَخوفٌ صعب (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥٠٨) .

(٢) قَلَصَ وقلَّص وتقلَّص : كله بمعنى انضم وانزوى ... وفرسٌ مُقلّصٌ مُشرِفٌ أي مُشَمَّرٌ طويلُ القوائم (الجوهري ، معجم الصحاح ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٣) .

الرُّدْنُ بالضم : أصل الكُمِّ . يقال قميصٌ واسع الرَّدْن (الجوهري ، معجم الصحاح ، جـ ٥ ، ص ٢١٢١) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٢ ــ ٤٤٣/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وصدر البازي يشبه سطور دقيقة ، وهي صورة متكررة في شعر الصيد عنده . ويصف ذنبه بحديدة السيف المنحنية القوية ، أو كعود الطلع الذي قشّر من البلح ، إلا أنه أراد من الصورة الأولىٰ القوة والصلابة ، ومن الثانية صفة الانحناء والتقوس لذنبه .

وأطراف البازّيّ قبضة عظيمة ، إذا لم تكسر الفريسة فإنها تفصل أجزاءها ، والقبضة أيضاً منقولة من عالم الإنسان . ثم وصف الطائر مشمراً حين الاصطياد ، فإن ارتفاع جناحيه ذكّرَ الشاعر بحالة التهيؤ عند الإنسان .

فمعالجة الشاعر للبازّيّ في الأبيات معالجة تفصيلية لأجزاء جسمه من عينيه ومنقاره إلى جناحيه وأطرافه . وينقله لنا بصفاته التي تمثّلها خياله ، وهو في ذلك يكتفي بالمظهر الخارجي ، دون أن يُعمقّ الإحساس بها ، وإبداعه فيها إبداع رسام فنان شأنه شأن شعراء الصيد السابقين عليه . وإذا كان لم يستخدم الغريب من الألفاظ في هذه الأبيات ، فإنه يستخدمها في مواضع أخرىٰ منْ شعر الصيد . وكأنه يحافظ على الطريقة الموروثة في هذا الفن . أو كأن هذا الفن يُملي بذلك . إلا أن المعاني والصور خاصة به ، ينقل بها تفاصيل شكله إلى القاريء فكأنه يَمْثُلُ أمام عينيه .

ويصف الشاعر طائر الزُرَّق[1] يقول :

قد اغتدِي والفجرُ مُستعجِلٌ ... ليلاً بِقَرْنِ الصبحِ مَطعونا

بِسالكاتٍ سُبْلَ ألحاظِها ... بينَ سَماواتٍ وأرضِينا

(١) الزُرَّق : بضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة صنف من البزاه ، ويجمع على زراريق وزَرَاقه ، وهو بين البازي والباشق ، أسود الظهر أبيض البطن أحمر العينين أصفر الرجلين إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي وأقوى اقداماً . وهناك من يرى الزرق ذكر البازي ، وهو خَتّال خبيث ، يقبل التأديب (الدكتور عبد الرحمن الباشا ، كتاب الصيد عند العرب ، ص ١١٥ ـ ١١٦) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مُشمِّـــــــراتٍ عن ظنابيبهـــــا ... ألـــبِسنَ من ريش تَبابينـــــا[1]

تَقـبِضُ أعلـى الطيـرِ في جوّهـــا ... قبضَ الجلاويـــزِ العَثانينـــا[2]

بأنمُـــلاتٍ أربـــعٍ أربـــعٍ ... طَرَّفَهـــا الله سَكاكينـــا

يُعَـــدُّ مِمَّـــا أخـــذَتْ ما رأتْ ... إذا تَجـــلَّتْ فوقَ أيدينـــا

وحـــرَّكَتْ من طَمَـــعٍ أرؤساً ... أيقَـــنَّ من صيـــدٍ بِمـــا شِينـــا

تَحـــريكَ أشيـــاخٍ لهاماتِهـــمْ ... رأوا من الأيّـــامِ تَلوينـــا[3]

يأتي بطائر الزّرق الذي يسلك (لحظه) أي يتبع كل ما يراه بصره في السمـــاء والأرض من حيوانات الصحراء وطيورها .

ويعلل الشاعر لظهور ساق الزّرق العارية من الريش ، وأنه يشبه المشمر عن ساقه ، وأما الريش فهو من الحديد ليضيف إليه صفة القوة والصلابة .

وأن طيور الزّرق تطير إلى أعلى مكان في الجو يمكن أن تصل إلى الطيور المصيـــدة ، وهـــي تشبه في عملها هذا الجنود الأقوياء ..

(١) ظنابيبها : الظنبوبُ : حَرْفُ السَّاقِ اليابس من قُدُم ، وقيل : هو ظاهر الساق ، وقيل : هو عظمةُ (ابـــن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٦٢) .
تبابين : التُّبَّان : بالضم والتشديد : سراويلُ صغيرة مقدار شِبْرٍ يستُر العَورة المغلَّظة فقط ، يكون للملّاحين (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٠) .

(٢) الجلاويز : الجلْواز : التُّؤرُور : وقيلَ هُوَ الشُّرطِيُّ ، وجَلْوَزَتُهُ : خِفَّتُهُ بين يدي العامِلِ في ذهابه ومجيئـــه ، والجمع الجلاوِزَةُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٥٧) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٨ — ٤٧٩/السريع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم يفصِّلُ أكثر في وصف الزَّرق ، وخاصة ما يتعلق منها بمهمة الصيد ، فهي ذات أطراف تنتهي بمخالب حادة كأنها سكاكين .

وما أخذته الطيور الصائدة هو ما رأته ، أو ما وقع بصرها عليه ، وهي أيضاً تطمع في المزيد من الصيد ، وتحرك رأسها بحثاً عن الفريسة ، فتشبه الشيوخ يحركون رؤوسهم لما رأوا من الدهر والجامع بينهما بياض الشَّعْر للشيوخ ، وبياض الريش المغطي لرأس الزَّرق . وتحريك الرؤوس عند كل .

ويصف الشاعر الصقر . يقول : .

وأجدلٍ[1] يَفهمُ نُطقَ الناطقِ ... مُلَملمِ الهامةِ فَخمِ العاتقِ

أقنَى المخالبِ طَلوبٍ مارقِ ... كأنَّها نُونَاتُ كفِّ الماشقِ

ذِي جُؤجؤٍ لابسِ وشيٍ رائقِ ... كمُبتدا اللاماتِ في المَهارِقِ[2]

أو كامتدادِ الكحلِ في الحَمالقِ[3]

---

(١) الأَجْدَلُ : الصَّقرُ ، صِفَةٌ غالبة ، وأصله من الجَدَل الذي هو الشِّدَّةُ ... جعله سيبويه مما تكون صِفَةً في بعض الكلام واسماً في بعض اللغات (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٥٧٠) .

(٢) اللاَّمُ : الشديد مِنْ كل شيء ، اللامات : مخففة وهي اللأمات : اللأمة الدِّرْعُ ، وجمعها لُؤَمٌ ، مثل فُعَل (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٧٧) . وربما كان الشاعر يقصد بها جمع لام الأبجدية العربية ، ولكنني أرجح المعنى الأول .
المَهارِقُ : المُهْرَقُ : الصَّحِيفَةُ البيضاءُ يُكتبُ فيها ... وقيل : ثوب حرير أبيض يُسقَى الصَّمْغَ ، ويُصقَلُ ثم يُكتَبُ فيه (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٦٥٦) والمقصود بها في البيت الحرير الأبيض .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٩ /الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يبالغ الشاعر في وصف الصقر بالذكاء والفطنة ؛ حتى أنه يفهم كلام المتكلم . ورأسه مجتمع متماسك ، مع ضخامة عاتقه ، وهذا دلالة على اكتناز جسمه لحماً ، وعلى ضخامة جناحيه .

ومخالبه قاتمة اللون، جادة في طلب الفريسة ، يُخرجها من جلدها وريشها . ثم إن المخالب في مضائها ، وسرعة قطعها سيوف حادة .

وصدره واسع، به ألوان متداخلة ، فكأنه يلبس زينة أو زخارف جميلة ، أو درعاً من الحديد ، أو كالصحيفة البيضاء كُتب عليها ، أو كأنه في اجتماع لونين فيه، الكحل الممتد في العين ؛ لاجتماع اللون الأسود مع الأبيض .

وحين يصف الشاعر حيوان الصيد الأول (الكلب) ينقل لنا لونه وعينيه وأذنيه فيقول :

ومُختَطَفاً مُوثَّقَ الأعضاءِ ... خالفَها بِجلدةٍ بيضاءِ

كأثَرِ الشهابِ في السماءِ ... ويَعرِفُ الزَّجرَ من الدُّعاءِ

بأُذُنٍ ساقطةِ الأرجاءِ ... كوردةِ السُّوسنةِ الشَّهلاءِ(١)

يَحرِفُها في ساعةِ النداءِ ... ذا بُرثُنٍ كمثقبِ الحذَّاءِ

ومُقلةٍ قليلةِ الأقذاءِ ... صافيةٍ كقطرةٍ من ماءِ(٢)

---

(١) السَّوسَن : نَبْتٌ أعجمي مُعَرب ، وهو معروف ، وقد جرى في كلام العرب .
قال الأعشى :
وَآسٍ وخَيريٌ وَمَروٌ وسَوسَنٌ ... إذا كانَ هِيزَمْرٌ ورُحْبٌ مُخشَّما
وأجناسه كثيرة وأطيبُهُ الأبيض (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢١٥٠) .
الشهلاء : الشُّهْلَةُ في العين : أن تشوبَ سَوادَها زُرقَةٌ ، والشُّهْلَةُ أنْ يكون سواد العين بين الحمرة والسواد ، وقيل : هي أن تشرب الحَدَقَةُ حُمْرَةً ليست خطوطاً كالشُّكْلَة ، ولكنها قِلَّة سواد الحَدَقة حتى كأنَّ سوادَها يَضْرِبُ إلى الحمرة ... وقيل : هو ألّا يَخْلُصَ سوادها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٥٣) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٠٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وصف جلده بالبياض ، وأنه يشبه في ذلك أثر الشهاب في السماء.والصورة المستقاة من الطبيعة العلوية دقيقة جداً ؛ فالشاعر عبَّر عن بياض جلد الكلبة بأثر الشهاب ؛ ليدل على اعتدال لون البياض فيه .

وأُذُنه منبسطة الإنحناء ، وهي تشبه في ذلك زهرة السوسن البيضاء ، وشكل الأُذن فعلاً يشبه شكل ورقة السوسن . فقد أحسن اختيار صورة المشبه به . ولكنه قيد لونها بالبياض ليلائم حديثه السابق عن بياض جلده . وبعد أن نقّل شكل الأُذن ولونها تحدَّث عن استجابتها للنداء ، حيث يحركها لحظة سماعه له . وكأن تحريك أُذنيه تهيؤ للاستجابة .

ثم ينتقل إلى وصف مخالبه الحادة بأنها تشبه مثقب الحذَّاء ، والجامع بينهما دقة السن ، وأن كليهما يعمل في الجلد .

أما عيني (الكلب) فهي تميل إلى الصفاء ، وتشبه في ذلك قطرة الماء . والصورة هنا تُغري باستخراج وجوه شبه أخرى ، في الشكل ، والهيئة بين كلٍ من قطرةِ الماءِ وعين الحيوان ؛ حيث إن قطرة الماء تميل إلى الإستدارة في أحد طرفيها ، وإلى الضيق قليلاً في طرفها الآخر ، فشكلها يميل إلى أن يكون بيضاوياً ، وهكذا هو شكل عيني الكلب . بالإضافة إلى البريق في كلٍ منهما .

والشاعر جعلنا نعيش معه وصفه وتصويره للكلب . ومع بساطة الصورة ، واعتماده على الطبيعة — غالباً — في تشبيهها وتوضيحها ، إلا أنه استطاع أن يجعلنا نعيش معه تفاصيل الصور التي نقل بها الشكل أو اللون . وهذه الدقة في التصوير ، وهذه الروعة في الصورة إلا أننا لم نجد فيها تشبيهُ بالنفائس ولا المذهبات .

وفي موضع آخر من شعر الصيد يذكر الشاعر الكلب بصفتيه الشم والنبش ، ويذكر خُلُقَه الكريم في الصيد ، فهو لا يستأثر به وحده .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

... يقـول :

ذَواتِ شَمٍّ وذوات نَبْشِ ووابـــلٍ في العَـــدْوِ غيـــرِ طَشِ

ما استأثَـرَتْ من دُونِنـــا بِخَـــدْشِ لِصيدِهـــا وهـــي شِدادُ البَـــطْشِ[1]

ويتحدث عن سرعة الكلب في عدوه فيشبهه بالمطر الغزير ؛ فسقوط الأجسام من أعلى إلى أسفل من أقوى أنواع السرعة ؛ لِما فيها من الإطراد . وهي صفة قديمة أثبتها امرؤ القيس لسرعة الفرس[2] .

وعلى هذا النمط يسير الشاعر في وصفه السرعة ، فإذا هي تُمثِّلُ باباً للوصف في الصيد عنده . ومن ذلك وصفه للصقر ، بأنه يلتقط الفريسة ويُصيبها بما تكره ، وعبَّر عن ذلك بقوة (صب سوط عذاب) وهذا معنى مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[3] ، ويؤدي مهمته في الصيد في وقت قصير .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الاول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٥١ ــ ٤٥٢/الرجز .

(٢) مِكَـــرٍّ مِفَـــرٍّ مُقْبِـــلٍ مُدْبِـــرٍ مَعـــاً كجلمـــودِ صَخـــرٍ حطَّـــه السيـــلُ من عَلِ

والجلمد : الحجر العظيم الصلب ، والجمع جلامد وجلاميد .

الصخر : الحجر ، الواحدة صخرة .

الحط : إلقاء الشيء من علو إلى أسفل .

وقوله : من عل أي من فوق : وفيه سبع لغات ، يقال : أتيته من عل ، مضمومة اللام ، ومن علو ، بفتح الواو وضمها وكسرها ، ومن علي ، بياء ساكنة ، ومن عال مثل قاض ، ومن معال مثل معاد ، ولغة ثامنة يُعال من عـلا .

وقوله : كجلمود الصخر ، من إضافة بعض الشيء إلى كله مثل باب حديد . (أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن الحسين الزوزني ، كتاب شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٠) .

(٣) سورة الفجر ، آية ١٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

وله قوة بصر يرى البعيد كالقريب ، وفي هبوطه من طيرانه يشبه ماء البئر في سرعة نزوله فيها ، فهي سرعة تُلمح ولا تُرى ، وهي تشبه صورة امرىء القيس في وصف سرعة الخيل بالصخرة تسقط من مكان عالٍ .

وبصره حادّ يرى به الأوز ، فيطير إليها مسرعاً ، شأنه شأن الفَزِع الذي أصابه الرعب ــ هذا ما كان يُوحي به شكله وهو يطير بدافع الطمع في أن يفوز بإحدى طيور الأوز .

فاستطاع الشاعر أن يعطينا انطباعاً عاماً عن صفاته التي تساعده على الصيد ، وعن طريقة حصوله على الفريسة ، والمحرك له ليسعى إليها ، ولم ينسَ في وصفه أن يصورَ هيئته حين طيرانه التي تشبه الفَزِع . يقول :

وأجدلٍ حُكِّمَ بالتأديبِ ... صَبٌّ بِكَفِّ كلِّ مُستجيبِ
سوطَ عَذابٍ واقعٍ مَجْلوبِ ... أسرعَ من لحظةِ مُستريبِ
يَرىٰ بعيدَ الشيءِ كالقريبِ ... يَهوِي هُوِيَّ الماءِ في القَلِيبِ
بناظرٍ مُستعجمٍ مَقلوب ... كناظرِ الأقبلِ ذِي التقطيبِ
رأى إوَزّاً في ثَرىً رطيبِ ... فطار كالمُستوهِلِ المَرعوبِ[1]
مُتَّبِعاً لِطَمعٍ قريبِ ... وإنْ نَأتْ مسارحُ المطلوبِ
سوط عذابٍ واقعٍ مَجْلوبِ ... ينفُذُ في الشمال والجنوبِ[2]

فالشاعر هنا لا يصرّح باسم الصقر بل يستخدم صفات أطلقت عليه ، يعرفها القارىء ويدركها حين يقرأ الأبيات لأول مرة .

---

(١) المُسْتَوْهِل : الوَهَلُ والمستوهِل : الفزِع النشيط (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٩٣٣) .
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٩/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وللشاعر وصف بديع لسرعة الصقر ، ويترك أيضاً ذكره في أول الأبيات ، ليذكر صفة إتجاه نظره إلى كل صوب . دلالة على تيقظه الشديد ، وبحثه الدائم عن فريسة للصيد .

ومنسره مرتفع من أعلاه ، منخفض من أسفله ، يضيق ويتدبب في آخره ، وينحني إلى الأسفل ، فإن أصاب جسماً مزّقه ، ولا يخلو يوماً من إصابة الدماء . وحين يَعْلق بمنسره حيوان أو طائر يفصل عظامه . ويصف قوة بصره ، بأنه يرى كل ما تقع عليه عينيه بوضوح . هذا من حيث مدى الرؤية ، أما شكلها ـــ عيناه ـــ فتشبه النرجسة لاجتماع سواد العين مع الصفرة .

وحين يمسك الصقر بالفريسة من ظهرهايمزقهـا بمخالبـه الحادة . ثم يشبههـا في انحنائهـا وتقوُّسها بنصف الحلقة ، ذلك يعني الصلابة وسرعة النفاذ في جسم الفريسة .

وسرعة طيرانه غريبة ، حين يُطلقه ممسكه ، فيغيب بسرعة . ويكاد لسرعته وكثرة احتكاكه بالهواء أن يحترق . يقـول :

غَدوتُ في ثوبٍ من الليـلِ خَلَـقْ ... بطـارجِ النَّظـرةِ في كلِّ أُفـقْ

ذِي مِنسَرٍ أَقنَـى إذا شَكَّ خَرَقْ ... مُخـتَضِبٍ في كلِّ يومٍ بِعَلَـقْ

وكُـلُّ عَظْـمٍ مَفْصِلٌ إذا عَلِـقْ ... ومُقلـةٍ تَصدُقُـهُ إذا رَمَـقْ

كأنَّهـا نَرجِسةٌ بِلا وَرَقْ ... يُنشِبُ في الأثبـاجِ حتـى يَنفَتِـقْ[1]

مَخالبـاً كمثـلِ أنصافِ الحَلَـقْ ... مُبـاركٌ إذا رأى فَقَـد رُزِقْ

أو طارَ نحوَ صيـدِهِ فقـد لَحِـقْ ... وإنْ رمتْـهُ الكـفُّ كادَ يَحتَـرِقْ[2]

---

(١) ثبجَ,ثبْجُ كل شيء : معظمُهُ ووسطهُ وأعلاه ، والجمع أثْباج وثُبوج ... الثَّبج الوَسَط وما بين الكاهل إلى الظهر (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٦٨) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٦ ـــ ٤٦٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويبدع الشاعر أيما إبداع في وصفه سرعة الزّرّق في صيده الفريسة وأنه فاق في سرعته برق الغمام .

فمنسره قويّ ماضٍ ، يُريق به دم الفريسة ، يشبه الإبهام في شكله ينتزع به الغائر من عظام الفريسة ، وما توارى منه خلف اللحم .

دقة متناهية من الشاعر في نقل الصورة ، ويبدع الشاعر أيضاً في وصفه لطريقة صيد الزرق للفريسة ، وسرعته في ذلك ؛ فهو يُسْقِطُها ويقضي عليها تماماً ، فيقسمها نصفين ، فيصبح شكلها كشكل البُرد على سنام الجمل ، كل ذلك يحدث بسرعة البرق ، فيصيد الأوز والحمام .

فالشاعر يتمكن بقوة تعبيرية جيدة ، وبلغة معبرة ، وصورة دقيقة لاقطة أن يحتوي بخياله عملية الصيد ، كما يمكن أن تحدث في الواقع . يقول :

ومَنسرٍ عَضْبِ الشَّباةِ دامِي ... كعقدِكَ الخمسينَ بالإبهامِ

مُنتَزِعٍ لِغامضِ العِظامِ ... نَزْعَ المُكِبِّ خَرَزَ النِظامِ

وخافقٍ لِلصيدِ ذِي اصطلامِ ... يَنشُرُهُ لِلنَهضِ والإقدامِ

كَنَشْرِكَ البُرْدَ على السنامِ ... أسرعُ من بارقةِ الغمَامِ

وَذَنَبٍ كَطَرفِ الحُسامِ ... فصادَ ما شاءَ شمالُ الرامي

من الإوزِّ ومن الحمامِ[1]

ومن صوره الجيدة ، التي تدل على سعة خياله ، وقدرته التصويرية في نقل الظواهر المختلفة تشبيهه الصقر بالدلاء في الجو ، حيث يهبط ، ويرتفع بسرعة كما يصنع الماتح بالدلاء من البئر .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ٤٧٦ ــ ٤٧٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ويقدم للأبيات بالحديث عن كلاب الصيد ، فقد أعدَّ نفسه للصيد بكلاب سريعة إلى الفريسة ، كالسهم المنطلق إلى هدفه ، وشبهها بالسهم أيضاً في نحولها وضمور جسمها فيساعدها ذلك على السرعة . وحين تفك قيودها ويحل ما ربط في عنقها يحسبها الناظر إليها وقد ترامت بها الرياح العاصفة . فكأنها تتقاذفها الرياح فتنتقل بينها بسرعة .

أعتقد أننا لمسنا بوضوح مدى إجادة الشاعر في تصوير السرعة ، إجادة ووفرة في الصور قد لا تتوفر لغيره من الشعراء . وهناك صور أخرى للسرعة سأتناول بعضها كنماذج فقط .

ويستمر الشاعر في نسق القصيدة فيتحدث عن الصقر ، وأن سرعته في الجو لخطف الفريسة تشبه دلاءً تسقط من السماء ، ثم ترتفع بها .

والكلب يشقق آذان الأرانب حين يلاحقها ليمسك بها ، والصقر يأتي بطيور السماء .

وشبه الشاعر جمع حيوان الصيد ، وطيوره بالبستاني أو المزارع الذي يضم الكافور بعضه إلى بعض ، يقول :

وَقِيدتْ لحتفِ الصيدِ غُضْفٌ كَواسبٌ ... كمثلِ قِداحِ البارياتِ نحائفُ[1]

إذا انخرطَتْ من القلائدِ خِلتَها ... تَرامَى بها هُوجُ الرياحِ العواصِفُ

تُقاسمُها قبضَ النفوسِ أجادلٌ ... فَفي الأرض نَهّاشٌ وفي الجوِّ خاطفُ[2]

(١) قِدَاح : القِدْحَ : بالكسر : السهم قبل أن يُنصَّلَ ويُراشَ ، وقال أبو حنيفة : القدح العود إذا بلغ فشُذِّبَ عنه الغصن وقُطِعَ على مِقدار النبل الذي يُراد من الطول والقِصَرِ . قال الأزهري : القدح قدح السهم ، وجمعه قِداحٌ ، وصانعه قَدَّاحٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٤٢) .

(٢) أجادِلَ : الصقور ، كسَّروهُ تكسير الأسماء لغلبة الصفة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٥٧٠) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كأن دِلاءً في السمـــاءِ تحطُّهـــا ... وترَقَّى بهـا أيـد سراعٌ غَوارِفُ (١)

يُشقِّـــقُ آذانَ الأرانبِ صَكُّهـــا ... كما صَكَّ أنصافَ الكوافيـرِ خارفُ (٢)

فَصبَّـــحَ خِزّانَ القُرَيَّـــةِ غُدوةً ... شياطيـنُ في أفواهِهـنَّ المَتالِـفُ

وَنَبَّـهَ يقظــانَ التـرابِ ضُحَيَّــةً ... إلى العَصْرِ شَدٌّ يأكلُ الأرضَ عاصفُ (٣)

من خلال ما مر بنا في هذا الفصل « العناية بتفاصيل الصورة » من نماذج من شعر ابن المعتز في الوصف . نخلص إلى أن الشاعر إستطاع أن ينقل أشكال الموصوفات أو هيئتها ، وتغلغل بخياله في أدق صفاتها ، ومن خلال ألفاظٍ سهلةٍ وتراكيب واضحة ، ثم أُخرى جزلة رصينة تخللها شيء من الغريب ، استطاع الشاعر أن يصوّر الهلال والنجوم في شكلهما على صفحة السماء ، والنار والخمر في توهجهما واتقادهما وحُمْرتهما ، ثم الدّن والزِّقّ في هيئة كلٍ منهما ولونه ، ثم الخيل والكلب في ضمور جسمهما وحركة قوائمها ، والبازيّ والزرق في صلابة جسمهما،وقوة منسرهما ومخالبهما ، ثم سرعة حيوان الصيد وجوارحه .

ومع بساطة أسلوب التناول في شعر الطبيعة والخمر ، مال إلى الغرابة والقوة في شعر الصيد ، ولكنه بنوعيه يسير على نمط تصويري للسمات والخصائص والألوان .

---

(١) غَوارِف : غَرَفَ الشَّيْءَ يَغْرِفُهُ غَرْفاً فانْغَرَفَ : قَطَعَهُ فانْقَطَعَ .. ابن الاعرابي ، الغَرْفُ التَّثَنيّ والانْقِصافُ ... وانْغَرَفَ العَظْمُ : انكَسَرَ ... وانْغَرَفَ إذا ماتَ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤٢) .

(٢) خارف : الخارِفُ الحافِظُ في النخل ، والجمع خُرَّافٌ . وأرسلوا خُرَّافهم أي نُظّارَهُمْ : وخَرَفَ الرَّجُلُ يخْرُفُ : أخذ مِنْ طُرَفِ الفواكه والاسم الخُرْفَةُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١١٣٩) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وتميزَّ شعر الصيد عند ابن المعتز بكثرة ووفرة وجودة عامة ، وإتقانٍ وإبداع في تصوير السرعة عند جوارح الصيد وضواريه .

ويمكننا أن نعتبر هذه الإجادة في وصف السرعة مَعْلَماً من معالم إجادته الوصف في الصيد ، ويمكن أن نعقد له الريادة في إثراء وصف السرعة في شعر الصيد العربي ، وإن كان تأثره واضحاً بأمرىء القيس في مواضع قليلة ، منها وصفه لسرعة الصقر في هبوطه من طيرانه بماء البئر حين يسقط فيه .

❊ ❊ ❊

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث : التشخيص .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث

التشـــــخيص

من أبرز خصائص شعر ابن المعتز الفنية ، وأكثرها ظهوراً في شعره إيجاد أواصر وروابط قوية تصل بين الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، وبين الإنسان بخصائصه وصفاته . بأن يجعل للجماد ما للإنسان ثم يكثّف الصور تارة ، ويعرضها في ألوان شعورية مختلفة ، فتحظى الطبيعة منه بالتأمل ، وخاصة العلوية منها ، فهي مسرح لخياله الشعري يصول فيه ويجول . وكأنيّ به يريد أن يوّسع دائرة الإنسانية ؛ فيضم إليها عناصر على قدرٍ من الجمال والروعة والإيجابية .

وهذه الخاصية من خَلْع صفات الإنسان على الطبيعة والجمادات من خصائص الصورة الشعرية عند البحتري ، ثم أبي تمام ، وابن الرومي ، وغيرهم من الشعراء العباسيين ، فهو اتجاه ظهر عندهم ، واتسع عند ابن المعتز . فيحلّق الشاعر في السماء كثيراً ، وينقل بعض خصائصها بما يشبهه من الإنسان وخصائصه .

فحين يصف الشاعر الفرقدين يصورهما كعينين زرقاوتين ، تنظران إليه . يقول :

ورَنـا إلـيّ الفرقَـدانِ كما رَنَتْ[1]   زَرقـاءُ تنظُـرُ من نِقـابٍ أسْودِ[2]

---

(١) رنا : الرُّنُوُّ : إدامةُ النظر مع سُكُونِ الطَّرْفِ . رَنَوْتُهُ وَرَنَوتُ إليه أَرْنُو رَنْواً ، ورنا له أَدامَ النَّظَر (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٧٤٧) .
الفرقدان : نَجْمانِ في السَّماءِ لا يَغْرُبان ، ولكِنَّهُما يطوفانِ بالْجَدْيِ . وقِيلَ هُما كَوْكَبَانِ قَرِيبانِ من القُطْبِ ، وقِيلَ هُما كَوْكَبَانِ من بَنات نَعْش الصُّغْرىٰ : يُقَال لا يُكَلِّمُكَ الفَرْقَدَين أيْ طولَ طلوعهما (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٤٠٢) .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ١٥٩ /الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فبعد أن نقل الشاعر النجم إلى عالم الإنسان بإثبات صفة إنسانية له ، وهى صفة إدامة النظر في سكون الطرف ، عاد يربط الفرقدين بوشائح أخرى بعالم الإنسان ، فيشبههما بذات العينين الزرقاوتين بدت عيونها من نقاب أسود .

ويُنكّر الشاعر ألفاظ المشبه به لينقل الصورة من حيز الخصوص إلى العموم وينقلها من حيز خياله الشعري إلى حيز الفن ، فتصبح الصورة لوحة للجمال في صورة من صورة .

ثم يتحدث عن ظاهرة أُخرى من الطبيعة ، وهي السحابة الممطرة ، فَيذْكرها بصفتها المناسبة في الأبيات وهي إنزال المطر في وقت الليل ، فيجمع في هذه الصفة بين تشخيصه لها ، وتحديده لوقت إنزالها المطر . ثم ينزع الشاعر لباس الطبيعة ، ويُلبسها اللباس الإنساني . فتختفي الخاصية الأولى لها ، ولا يُبقى في الأبيات إلا ألفاظٌ معدودة تُبقي للمعنى صلته بأصله . يقول :

وساريةٍ لا تَملُّ البُكا ، جرَى دمعُها في خُدودِ الثَّرى
سَرتْ تقدَحُ الصُبحَ في ليلِها(١) ببرقٍ كهِنْدِيّةٍ تُنتَضَى(٢)
فلمّا دنَتْ جَلجلت في السمّا ءِ رعَداً أجَشّ كجرّ الرّحَى(٣)
ضمانٌ عليها ارتداعُ اليَفا عِ بأنوارِها ، واعتجارُ الرُّبَى(٤)

---

(١) تَقدَح : القَدْحُ : قَدْحُكَ بِالزَّنْدِ وبِالقَّداحِ لِتُورِيَ : (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٤٥٧) .

(٢) تُنْتَضى : نَضَا السَّيْفَ نَضْواً وانْتَضَاهُ : سَلَّهُ من غِمْدِهِ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٤١) .

(٣) الجَشَشُ : والجُشَّةُ : صَوْتٌ غَلِيظٌ فِيهِ بُحَّةٌ يَخْرُجُ من الخَياشِمِ فيه غِلَظٌ وبُحّةٌ ، وهو أحد الأصوات التي تُصاغ بِها الألحَان ... وقيل الجَشَشُ والجُشَّةُ شِدَّةُ الصَّوْت ، ورَعْدٌ أَجَشُّ شَدِيدُ الصَّوْتِ ... الأصْمَعِيُّ : من السَّحابِ الأجشُّ الشَّديدُ الصوت ، صَوْتُ الرَّعْد (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٢٨ .

(٤) ارتداع : الرَّدْعُ : الكفُّ عن الشَّيْءِ ... واللَّطْخُ بالزَّعْفَرانِ ... وبالثَّوْبِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرانٍ أَيْ شَيْءٌ يَسيرٌ في مَواضِعَ شَتَّى ؛ وقِيل : الرَّدْعُ أَثَرُ الخَلُوقِ والطِّيبِ في الجَسَدِ ، وقَمِيصٌ رادعٌ ومَرْدُوعٌ ومُرَدَّعٌ : فيه أثَرُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فمــــازالَ مَدمعُهـــــا باكِيـــــاً على التُّربِ حتى اكـتسى ما اكـتسى

فأضحَتْ سَواءً وجـــوهُ البــــلادِ وجُـــنّ النّبـــاتُ بها ، والتقـــى(١)

وكما شخّص الشاعر السحابة ، شخّص الأرض ، وجمعهما الشاعر في إطار واحد ، فإذا هما متقاربان إلى حد التلازم . فمن السحابة الدموع ، ومن الأرض الخدود .

ثم يتابع الشاعر حديثه عن السحابة المحملة بالمطر ، فإذا هي في سيرهـا تَقْـدحُ الضوء ، فكأنه صبح في الليل . ويشبِّه البرق أيضاً في إضاءته ، ولمعانه ، وفي شكل ظهـوره ، واختفائـه بالسيوف الهندية حين تُخرَج من أغمادها .

ويلي البرقُ صوت الرعد متحشرجاً ، يشبه صوت الرحىٰ . وبعد أن نقل الشاعر اللـون والحركة والصوت ، ثم الجانب النفسي في قوله (لا تمل) ثم يزيد الشاعــر في تلك الأواصر بين السحابة والأرض ، ويربط بينهما برباط وثيق ، فإذا بالسحاب يضمن ويتكفل بإنبات الأزهار المختلفة الألوان على المرتفعات كالعمامة الملونة .

وتستمر السحابة الباكية على التراب ــ كما يصوّرها الشاعر ــ حتـى تكـتسي الخضرة والنمـاء .

ويأتي بالتعبير (ما اكتسى) مسبوقاً بما الموصولة ؛ ليعبّر عن كثرة الخضرة والنبات ، وسعة مساحته .

= الطِّيبِ والزَّعْفَرانِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٦٢٣) .
اليفاعُ : الـمُشْرِفُ من الأرضِ ، والجَبَلِ ، وَقِيلَ : هو قِطْعَةٌ مِنْهُما فيها غِلَظٌ ... قال ابن برِّي : وجَاء في جَمْعِهِ يُفُوعٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٩٦٣) .
الاعتجار : وَهُوَ كَيُّ الثَّوْبِ عَلَى الرَّأْسِ من غَيْرِ إدَارَةٍ تَحْتَ الحَنَكِ . وفي بَعْضِ العِباراتِ : الاعْتِجَـارُ لَفُّ العِمامَةِ دُونَ التَّلحِيِّ وَرُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ يوم الفتح مُعْتَجِراً بِعِمامَةٍ سَوْداء (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٨١٥) .
(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ص ٢١ /المتقارب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والفعل المنفي (مازال) يُتم معنى الاستمرار الذي بدأه الشاعر في البيت الأول من هذه المجموعة في قوله (لا تمل) . وكلا الفعلين أفاد امتداد الزمن ، وكثرة المطر ، ثم سعة الأثر في الأرض وعمقه .

ويبني الشاعر المعنى بعد ذلك على أساس المعنى السابق ، فبعد أن وصف تضاريس الأرض ، فبيَّنها مرتفعات وروابي ، صوَّر الشاعر نتيجة ذلك الامتزاج والتزاوج بين السحاب والأرض . فالتقت النباتات في أطوالها على الأرض ، واستوت بعد أن كانت غير ذلك ، وهذا بالطبع نتيجة اجتماع الماء في المناطق المنخفضة ، وانحداره عن المرتفعات .

وعبّر الشاعر عن سرعة نمو النبات في قوله (جُنَّ) فهي سرعة في النمو تتجاوز الحدَّ المعروف والمعهود . ثم يؤكد تساوى النباتات ونموها في مستوى متقارب بقوله : (والتقى) .

والشاعر هنا يجمع بين الصورة التقليدية البدوية ، والحضرية الجديدة ومعطياتهما . فالصورة القديمة هي في تشبيه صوت الرعد بصوت الرحى ، ولون البرق بالسيوف الهندية اللامعة .

وأما الصورة الجديدة التي تناسب البيئة العباسية المتحضرة ، فهي وصفه للخضرة والزهر ، وامتدادها في الأرض التي سقتها السحابة الممطرة .

هذا هو ابن المعتز الذي عاش الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ؛ فنجده قد أخذ من كل منهما بطرف في ألفاظه ، وصوره ومعانيه .

ويحظى البرق أيضاً بوصف آخر في مخيلة الشاعر ، حيث يجعل ظهوره في السماء حركة وَثْبٍ ، فينقله إلى عالم الإنسان ، أو ربما كان ينقله إلى عالم الحيوان ؛ فالوثب خاصية مشتركة بينهما .

ثم يزيد الشاعر في إيضاح صورة البرق في خياله الشعري ، بوصف سرعة ظهوره واختفائه بإرتداد الطرف إلى صاحبه أو خفقان القلب . يقول :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رأيتُ فيها برقهـــا لمَّـــا وَثَبْ   كمثـل طرفِ الـعين أو قلبٍ يجب[١]

ووصْفُ السرعة بإرتداد الطرف في آيات القرآن في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَٰبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾[٢] .

وقد وَقَّتَ الشاعر الرؤية بحدوث الوثوب ، وربطهما ببعضهما البعض ، وجعل زمنهما المضي . ثم يشبّه حركة الظهور والاختفاء بصفات فيها الاستمرار والسرعة ، التي لا يمكن ضبطها ولا مراقبتها بسهولة ، وهو إرتداد الطرف ، ووجوب القلب .

ومن مظاهر الطبيعة التي وصفها الشاعر ، تناول المظاهر المصاحبة لطلوع الفجر ، فتخير الشاعر لكل جزء منها ما يلائمه من الصفة ، فيتحدث عن الليل في هدوئه وظلامه ، ويصّور النجوم تطفو فيه . والفجر حركة وضجيج وحياة مليئة بالحيوية ، فيصوّر الصبح عسكراً جنوده النور ، وقد هزموا جنود الليل .

ويتحدث الشاعر أيضاً عن صوت الديك المرتفع عند طلوع الصبح ، وأنه يسبقه ضرب جناحيه وجداً وأسفاً على الظلام الراحل . يقول :

وفِتيـةٍ لا يَخـوضُ الشكُّ أنْفُسَهـم   مُؤيِّديـنَ لعَـزمٍ غيـرِ مَنكـوثِ

لمّا طفا النّجمُ في بحرِ الدُّجى وصَلوا   حبلَ السُّرى بذَميلٍ غيرِ تلبيثِ[٣]

---

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ص ٤٤ /الكامل .
(٢) سورة النمل ، آية ٤٠ .
(٣) الذَّمِيلُ : ضربٌ مِنْ سَيْرِ الإبلِ ، وقيل : هُوَ السَّيْرُ اللَّيِّنُ ما كانَ ... وقيل هوَ فَوْقَ العَنَقِ

قال أبو عبيدة : إذا ارتفع السَّيْرُ عن العَنَق قليلاً فهو التَّزَيُّدُ ، فَإِذا ارتَفَعَ عن ذَلِكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ ، ثُمَّ الرَّسِيمُ ... وفي حَدِيثِ قُسّ :يَسِيرُ ذَمِيلاً أيْ سَيْراً سَرِيعاً لَيِّناً وأَصْلُهُ في سَيْرِ الإبل (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٥١٦) والعَنَق من السير : المُنْبَسِط ... أَعْنَقَ إذا سَارَع وأَسْرع (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٣١٣٥) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

حتى إذا هزَمَ الإصباحُ ليلَهمُ ... بعَسكرٍ من جنودِ النّورِ مَبثُوثِ

وصَفّقَ الديكُ من وجدٍ ومن أسَفٍ ... على الظّلامِ ، وناداهم بتَغويثِ[1]

ثم لاءم الشاعر بين تشبيه النجم بجسم يطفو ، وبين الليل الذي يلازمه دائماً ، فاختار لليل أن يكون بحر ظلامٍ ؛ فعبَّر عن عدم استمرار ملازمة النجوم لليل ، ويضعف ارتباطهما ؛ لتخيل غياب النجوم في السماء ، بغياب الأجسام في الماء ، ثم يصوّر الشاعر الليل والصبح جيشين متقابلين . وإذا المعنى واحد له وجهان النصر والهزيمة ؛ فالصبح منتصر ، وهازم الليل .

أما الخصائص الإنسانية التي جعلها الشاعر للطبيعة فهي العسكر والجنود والهزيمة ، والتصفيق والوجد والأسف والمناداة والاستغاثة . واستخدم الشاعر لوصف الطبيعة صوراً من الطبيعة نفسها

ومن مظاهر الطبيعة التي وقف الشاعر أمامها واصفاً متأملاً:النخيل ، فيصفها هي أيضاً بصفات إنسانية ؛ فملازمتها لمكانها على الأرض ، ثم مرور الكواكب عليها كسهيل وغيره لا يؤثر فيها كما تتحول أسنان صغار الإبل عند طلوعه . يقول :

ولقائحٍ في الطينِ باركةٍ ... لا تَشتكي حَلاً ولا رِحَلا[2]

يَغدو سهيلٌ في الصباحِ لها[3] ... سِلْماً إذا ما حاربَ الإبلا[4]

= تَلْبيث : اللّبْثُ واللبَاثُ : المُكْثُ : قال الله تعالى : ﴿ لابِثِينَ فِيها أحْقاباً ﴾ ... وفي الحديث : فاسْتَلْبَثَ الوَحْيُ ... من اللّبْثِ ، الإبْطاءِ والتأخرِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٨٢) .

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ١٢٥ /البسيط .

(٢) لقائح : واللّقاحُ : ما تُلقَحُ بهِ النّخْلَةُ مِنَ الفُحّالِ ... وَذَلِكَ أنْ يَدَعَ الكافُور ، وَهُوَ وِعاءُ طَلْعِ النّخْل لَيْلَتَين أوْ ثَلاثاً بَعْدَ إنْفِلاقِهِ ، ثُمّ يَأخذ شِمْرَاخاً من الفُحّال ... فَيَدُسّونَ ذَلِكَ الشّمْراخَ في جَوْفِ الطّلْعَةِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٠٥٨) ولقائح في البيت بمعنى النخل .

(٣) سُهَيْل : كَوْكَبٌ يَمانٍ ... لا يُرَىٰ بِخُراسانَ ، ولا يُرَىٰ بِالعِراقِ ... وبين رؤية أهل الحجاز سُهَيْلاً وَرُؤْيَةِ =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالنخل بارك في الطين ، وهو تصوير عميق لإختفاء جذور النخل تحت التراب ، وارتكاز ثقل الجسم على الأرض . ثم يصوّر ثباتها في مكانها ، واستمرارها على حالها ، بالصابر لا يشتكي ولا يتذمر ، ولا يطلب الارتحال .

وللعلاقات المعنوية الأخرى التي تضمنها معنى اللقائح . أنها تتضمن الإبل . فيقارن الشاعر بين النخل والإبل ، وأثر طلوع كوكب سهيل عليهما ؛ فأثره عليهما متضاد ، فهو يسالم النخل ، في الوقت الذي تتغير فيه أسنان صغار الإبل .

وقد أدخل الشاعر النخلة الدائرة الإنسانية ؛ فالصفات التي استعارها لها (باركة ، لا تشتكي ، الحَّلَ الرِحَل) .

وكما لاحظنا في النماذج السابقة من شعر الطبيعة ، أن الشاعر حين يصف ظاهرة من ظواهرها ، يتناولها في مقطوعة من بيتين أو ثلاثة أبيات وأحياناً يكون بيتاً واحداً ، فيتأمل الظاهرة بعمق التأمل ، ويستغل ايحاءات الألفاظ المعنوية لينقل ، ما يتعلق بمظاهر الطبيعة . ولكنه قليلاً ما يطيل في ذلك .

وقريباً من وصفه للنخيل وصفه للنبات بصفات إنسانية ، جعل بينها خاصة للطيور ، فجمع له صفات الثبات في الأرض ، والاستمرار في النمو ، والحياة والانطلاق إلى الأعلى ، فساقُهُ يطير ، وجذوره تمتد في الأرض ، فيحتوي الشاعر النبات من جهتيه العليا والسفلى . يقول :

وأجـادَتْ بلادُهُ بنَبـاتٍ ... عِرقُـهُ بارِدُ الثّرابِ غَنـيٌّ
قاعـداً في الثّـرى يُطَيّـرُ ساقـاً ... يَتَـمَشّى فيها شَبـابٌ وريٌّ

= أهْل العِراقِ إِيَّاهُ عِشْرونَ يَوْماً ... وَيُقَال إِنَّهُ يَطْلُعُ عِنْدَ نَتاجِ الإبِلِ ، فإذا حالَتِ السَّنَةُ تَحَوَّلَتْ أَسْنانُ الإبل (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢١٣٥) .

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، جـ ١ ، ص ٦٢٨/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولـــه كلمّـــا تَغلغَـــلَ في الأر ... ضِ،فِراشٌ من التّـــرابِ وَطـــيٌّ (١)

فكما أن النخلةَ باركةٌ في التراب ، فالنبـات قاعدٌ فيه ، والفرق بين الهيئتين في الاشارة إلى طول كلٍ منهما ، فالنخلة أطول على اعتبار هيئة القعود والبروك . وكلما امتدت جذور النبات في الأرض ، أصبحت فراشاً وثيراً له ليستمتع بالإقامة فيها .

فطرفي النبات في وضع متضاد ؛ فالجهة السفلى منه ثابتة في الأرض راسخة فيها ، وطرفا الساق العلوي ينمو ويمتد بسرعة ، فأشبه في ذلك طيران الطائر .

فالشاعر يحتوي الكون بخياله ، فيتناول معظم الظواهر المحيطة به ، فينقل لنا الظاهرة كما يراها خياله ، أو يعلل لها تعليلاً بديعاً ، لخياله فيه دورٌ كبير ، ثم لخبرته ومشاهداته أثر فيها .

وللشاعر تعليلٌ طريفٌ أيضاً لصفرة النارنج المائل إلى الحمرة ، فيختار لوصفها مشاعــراً لمواقف خاصة بالإنسان ، فَصَبَغَ وجنتيه بلونين متعاقبين ، يظهر نتيجة انفعال داخلي .

فيثير هذا المظهر مظهراً مشابهاً له في خيال الشاعر . يقول :

كأنّمـــا النّارَنـــجُ لمّـــا بَدَتْ ... صُفْرَتُـــهُ في حُمـــرَةٍ كاللّهـــيبْ (٢)

وجْنَـــــةُ مَعشوقٍ رأى عاشِقـــــاً ... فاصفـــرّ ، ثمّ احمرّ خوفَ الرّقـــيبْ (٣)

فالنارنج في صفرته المائلة إلى الحمرة ، كوجنة المعشوق في إصفرارهـا من الخجـل عنـد رؤية الحبيب واحمرارها خوف الرقَباء .

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٤٦٠ /الخفيف .
(٢) النارنج : سبق تعريفه في هامش ص ٤٧ من هذا البحث .
(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٩٠/السريع .
وللنارنج وصف آخر للشاعر انظر ص ٤٧ من هذا البحث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والواقع أن المعروف في مثل هذا الحال أن يحمرّ وجه المعشوق عند رؤيته العاشق خجلاً ، ثم يصفرّ وجهه خوف الرقباء ، بعد أن يتنبه إلى ما هو فيه من موقف يستوجب معه اللوم . فحمرة الخجل أولاً ثم صُفْرَة الخوف .

وطرافة الصورة في تعليله للحُمْرة والصفرة في النارنج ، وهما ظاهرتان طبيعيتان ثابتتان بظاهرة أخرى إنسانية بِيولوجية متغيرة تتصل بأحاسيس ومشاعر داخلية .

ومن مظاهر الطبيعة التي ينقلها الشاعر إلى عالم الإنسان بصفاته وخصائصه : النرجس[1] ، فيدقّق في وصفها ، ويلّم بأجزائها . وفي طريقه للحديث عن الندىٰ وانتشاره على الزهر ، وأثرهِ في انتعاش النباتات ، وتفتح الأزهار ، أتخذ سبيله إلى ذلك وصف إحداها ، ويبدأ بالجزء ثم ينتقل إلى الكل . يقول :

عيونٌ إذا عاينتَها فكأنَّما ... مَدامِعُها من فوقِ أجفانِها دُرُ
محاجرُها بيضٌ وأحداقُها صُفْرٌ ... وأجسامُها خضرٌ وأنفاسُها عِطرُ
لدَى روضِ بستانٍ كأنَّ نَبائَه ... تَقنَّعَ وشياً حين باكَرَهُ القَطرُ[2]

والشاعر حريص على تصوير قطرات الندىٰ على الزهرة الواحدة بدموع العين ، ويشبهها أيضاً بحبات اللؤلؤ البيضاء اللامعة .

ويُشبّه رائحة النرجس بالعطر ، في انتشارها . ثم يجانس الشاعر بين لفظين هما (عيون وعاينتها) . ولكنه تجانس جاء طبعاً .

---

(١) النرجس : النَّرْجِسُ بِالْكَسْرِ مِنَ الرَّيَاحِين : مَعْرُوفٌ وهُوَ دَخِيلٌ . ونَرجِسٌ أَحْسَنُ إذا أُعْرِبَ . وذَكَرَهُ ابْنُ سِيدَه في الرُّباعيّ بِالْكَسْر ، وذَكَرَه في الثلاثي بِالْفَتْحِ في ترجمة رَجَسَ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٣٩٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٥٨٨/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وصفات الإنسان التي جعلها الشاعر للطبيعة هي (عيون ، مدامعها ، أجفانها ، محاجرها ، أحداقها ، أجسامها ، أنفاسها ، تقنّع) .

وقد أجمل الشاعر في البيت الأخير ما فصّله في الأبيات السابقة . فوصف الروض الذي غُطي بالزهر الملون بسبب الندىٰ بقناع كثير الألوان .

ثم هناك حسن التقسم في البيت الثاني ، حيث أنهى كل قسم بلون تتكوّن منه الزهرة .

ثم يتأمل الشاعر فيما حوله ، ويشبهه في بعض صفاته بالطبيعة تارة وبالإنسان تارة أخرىٰ ، فكأن الشاعر يُوجد ألفة بينه وبين الجمادات من حوله ، فيصل الفانوس بالطبيعة ، حينما يشبّه نوره بالبرق الخافت يَلْمع في السماء .

ثم يصله بالإنسان في شكل ضلوعه ، وأجفانه ، ويقصد بها الوَقُود المشتعلة به النار ، وتستمر في الإشتعال مادام الوقود يخرج منها . يقول :

يَحكِي لنا الفانوسُ من بُعْدٍ لنا ... بَرْقاً تألّقَ مَوْهِناً لَمعانُهُ

النارُ ما اشتملَتْ عليهِ ضُلوعُهُ ... والماءُ ما سَحَّتْ بهِ أجفانُهُ[1]

والنار لا تشتعل بين ضلوع الإنسان حقيقة ولكنه يرمز إلى المشاعر التي تُلوّع الإنسان . والتشخيص يبدو في البيتين في قوله (ضلوعه ، وأجفانه) .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٥٣/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والخمر كذلك يصفها الشاعر ، ولا يخلو وصفه من تشخيص لها ، أو لما يختص بها من أواني تُستخدم لها .

وكل موضع للصورة لا يخلو ـ غالباً ـ من خفايا معنوية أو نفسية أو فنية ، حَمَلت الشاعر على التشخيص ، مع قلة المواضع ، وندرة النماذج التي سأعرضها في باب الخمر .

وأَوْلى هذه المواضع بالتقديم تشخيص الشاعر للخمر حين خروجها من الدَّنِّ ، فيرىٰ ذلك تعرية لها ، ثم تستبدل لباسها الأول بقمصان من الزجاج المختلف الألوان .

وكأنَّ الشاعر يسلخها تماماً من أصلها ـ أي المادة السائلة المُسْكِرة ـ ليجعلها في عالم الإنسان ، إلا أنه يُضعّف صفة الإرادة والتحكم في الذات لديها ، ليُبعد الصورة عن حيز المبالغة المرفوضة .

يقول :

إذا عُرِّيتْ من دَنِّها استَبْدلتْ بِهِ قميصَ زُجاجٍ من جميعِ المَلابسِ[١]

والحركة ملازمة للفعلين (عُريت ، واستَبْدلت) ، وفي قوله جميع الملابس يعني : أن الكؤوس التي تُدار فيها مختلفة النماذج والألوان .

ويذكر الشاعر الخمر بصفتها التي تعجبه فيها ، وتدفعه إلى الحديث عنها . يقول :

وراحٍ كلَوْنِ التِّبرِ يَضْحكُ كأسُها[٢] صَبَّحتُ بها شَرباً كِراماً وغادَيتُ[٣]

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٦١/الطويل .

(٢) الرَّاح : هِيَ الخَمْرُ وكل خمر رَيَاحٌ وراحٌ ، وبذلِكَ عُلِمَ أن أَلِفها مُنقَلِبَةٌ عَنْ ياءٍ ... وقالَ بَعْضهم سُمِّيت راحاً لأَنَّ صاحِبَها يَرْتاح إذا شَرِبَها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٧٩٠) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ص ١٦١/الطويل ، وانظر كذلك : ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٩٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقدم الشاعر اسم الخمر (راح) في البيت ، وهو من أشهر أسمائها(١) وأكثر دلالة على أثرها في نفس شاربها ، ثم ليلائم بينه وبين ضحك الكأس بعد ذلك . والتشخيص في هذا البيت في فعل الضحك الإنساني ركّبه الشاعر على كأس الخمر .

ويشبه الشاعر الخمر بالدماءِ المُراقة من إبريق الخمر ، ثم يشخّصه ويجعل له أوداجاً يقول :

لا شيءَ يُسلِي هَمِّي سِوى قَدَحٍ   تَدْمَى عليه أوداجُ إبريقِ(٢)

ويقدم للبيت نافياً أن يكون هناك أي وسيلة أخرى لتسلية همه سوى كأس الخمر ، فهو لا يقصدها لذاتها .

وللدّنان في خيال الشاعر أيضاً صورة جيدة تفيض بالحياة والحركة ، فهي تشبه الجنود اصطفّوا قائمين حوله ... وللجنود صفات : الصمت الطويل ، والتزام قلة الحركة ، ثم الوقوف في هيئة اعتدال الجسم وانتصاب العنق. كل هذه الصفات للدّن في الهيئة والشكل جعلت الشاعر يربط بينه وبين الجنود . فيقول :

---

(١) ومن أسمائها أيضاً : المدام والسلاف والعقار والخندريس ، والصهباء ، والقهوة ، والشراب ، والطلا ، والرحيق ، والشمول ، والحميا ، والكميت ، والمّروقة ، والمعتقة ، والمشعشعة ، والصافية ، والمشمولة ، والصرف ، والعتيق ، والعاتق ، والبكر ، والعذراء ، والعروس ، وأم الدهر ، وأخت المسرّة ، وابنة العنب ، والسلسل ، والسلسال ، والسلسبيل ، والسكر ، والنبيذ ، والنضوح ، وهي أشهر الأسماء وأعذبها وأكثرها دوراناً في كلام الشعراء والأدباء . وأرقها الصبهاء ، وأعذبها الحميا ، وألطفها السلاف ، وأخفها المدام ، وأظرفها القهوة ، وأقبحها القرقف ، وأفضلها الراح لاشتقاقه من الروح (شمس الدين محمد بن الحسن النواجي ، توفى عام ٨٥٩هـ ، كتاب حلبة الكميت ، نسخة مصوّرة من مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة ، ص ٥) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٨٣/المنسرح .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خِلْتَهـا في البيتِ جُنداً صُفُفوا حَولي قِياما[1]

ثم يربط الشاعر بين الدّنان الفارغة الملقاة على الأرض، وبين الإنسان فهي — أي الدنان — تشبه قتلىٰ حرب ماتوا بعد قتالٍ شديد، وجهد عظيم. ويقصد من ذلك أنَّ الدّنان خَلتْ من الحياة، وفقدت مقوماتها حين أُفرغ ما بها من الخمر. يقول:

وَتَراها وهي صَرْعَى فُرِّغَ بينَ النَّدامَى

مِثلَ أبطالِ حُروبٍ قُتِلُوا فيها كِراما[2]

فالدّنان المُلقاة على الأرض ذكّرت الشاعر بقتلىٰ الحرب، كراماً ماتوا بعد صراع شديد. وكان يقصد بذكر الندامىٰ أن يجعلهم الطرف المقابل لصرعى الحرب، الذين سلبوهم أرواحهم.

ويُعمق الشاعر المعنى بعمق إحساسه به، فيأتي في استخدامه الألفاظ بالجمع من الحرب، يدُلنا ذلك على كثرت تفكيره فيها، وإنْ لم يمارسها، وعلى قرب صورها من خياله وسرعة استدعائه إياها.

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، كتاب شعر ابن المعتز، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي، القسم الأول، الديوان، ج ٢، ص ٢٢٨/مجزوء الرمل.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٩/مجزوء الرمل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وشعر الصيد أيضاً يحفل بالمزج بين عالمه : من جوارح وضوار ، وبين عالم الطبيعة التي كانت مقدمات لقصائده ، وبين عالم الإنسان .

وقد يصف الطبيعة بشيء من خصائص الحيوان أو صفاته ، وأحياناً أخرى يصف الحيوان بظاهرة من ظواهر الطبيعة ، أو خاصة من خواصها .

فأحاسيس الشاعر وخياله يتعمقان الطبيعة بمظاهرها الجامدة أو المتحركة ــ ويشمل الحيوان ــ فيُزيل الشاعر كثيراً من الحواجز والفواصل بينهما ، بل ويبني جسوراً وقناطر تصلهما ببعضهما البعض .

فيذكر الشاعر خروجه للصيد بجيادٍ ضامرةٍ سريعةٍ . وخصص من أوصافها الضمور بالذكر ، لأنه سبب السرعة .

ثم يحدد وقت خروجهم ، فالصبح في نهاية الليل الذاهب ، ولون الكون أبيض تحيط به صفرةٌ مشربة بحمرةٍ ، يشبه المُهرَ الأشقر .

والشاعر في تشبيهه هذا أراد بالإضافة إلى شَبه اللون الاشارة إلى النضارة والجدة والحداثة .

وبعد أن رسم الملامح العامة للطبيعة في طريقه إلى تحديد وقت خروجهم إلى الصيد ، انتقل إلى بيان حال الوحوش في مرابضها وأوكارها ، ويعبّر عنها الشاعر بقوله (أوطانها) وبإطلاقة لفظ الأوطان على بيوت الوحوش ، أراد أن يُلمح إلى معنى السكون والطمأنينة والأمن والأمان والاستقرار ، الذي يحويه اللفظ .ويُشعرنا بالمعنى أكثر بأنْ تلاه بضده (تُذعر) ــ وإن كان الفعل منفياً ــ فبضدها تتمايز الأشياء .

ثم يحاول الشاعر أن يحيط بالطبيعة ، وأنَّ يُصوّر جانباً آخر من جوانبها الكثيرة المتعددة ، فيتحدث عن التراب وقد كشف وجهه عن ألوان كثيرة ، يفسّرها في البيت الرابع ، بأنها الأبيض والأحمر ، والأصفر ، وأنها ألوان براعم لم تتفتح أكمامها بَعْد . ومثّل لنا هذه الصورة بعينٍ مطبقةٍ

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

أجفانها ، لم تنظر بعد إلى ما حولها . ويستمر الشاعر على نفس النسق في تصوير الحداثة ، وصِغَر السن في الصُبح والمُهْر ، وهاهو هنا يتناولها في الزهر .

ولا يكتفي الشاعر بتشبيه حالة الانغلاق والإطباق بين الزهرة والأجفان ، ولكنه يضع في إعتباره منزلة كلٍ منهما في مكانه ، العين في الإنسان ، والزهر على الأغصان .

وأن العين الناظرة إلى الأزهار تحسبها فماً لم يُفتح ، وهو وصف آخر للانغلاق ، كسابقه من خصائص الإنسان .

ومياه الغدير صافية نقية ، فيستعير لها الشاعر أيضاً صفة إنسانية هي الدموع ، وكذلك النبات الذي اغتسل بماء المطر . ثم وصف السماء على اعتبارها مختصة بذلك ، والغيم مُنْفرج عن الشمس ، وهي باهتةٌ كالمبتسم لَزِمَ ابتسامته ، تعبيراً عن الهدوء والسكون الذي كانت عليه الطبيعة .

والرياض تغسلها مياه الأمطار تشبه دراهم نُثرت هنا وهناك ، والجامع بينهما اللمعان والاستدارة . والتشبيه بالدراهم المنثورة يَرِد في أكثر من موضع في شعر المتنبي[1] .

ثم يضع الشاعر اللمسات الأخيرة على الصورة ، فالشمس في وقت الضحى محتجبة وراء الغيوم كالدمعة الحائرة في العين ، وهو تصوير بديع تُلمح فيه الشمس ، وتُلحظ ولا تُرى بوضوح . وهو هنا أيضاً يخلع على الدمعة صفة الحيرة الإنسانية ؛ لتشبه الشمس في اختفائها خلف السحب .

---

(١) وذلك في وصفه القتلى بالدراهم في مدحه لسيف الدولة يقول :
نثرتهُمُ فَوقَ الأُحَيدبِ كُلِّهِ   كما نُثِرَتْ فَوقَ العَروُسِ الدَراهِمُ
انظر كتاب الشيخ ناصف اليازجي ، العرفُ الطيبُ في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، الطبعة الثانية ، دار العلم ، بيروت — لبنان ص ٤٠٥ .
وفي وصفه أيضاً لأشعة الشمس بين أغصان الأشجار المتشابكة خلال وصفه لشعْب بوان يقول :
وألقى الشرقُ مِنها في ثِيابي   دَنانيراً تَفِرَّ مِنَ البَنانِ
المرجع السابق ، ص ٥٩٠ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم يصل الشاعر السماء بالأرض ، وكلامه السابق باللاحق ، ويلخص كل ما سبق في شطر بيت فيقول (والشمس في اضحاء جوٌّ أخضر) ، فالخضرة عامة على سطح الأرض بسبب عطاء السماء . والأبيات هي :

قد اغتدي على الجيادِ الضُّمَّرِ   والصبحُ في طُرَّةِ ليلٍ مُسْفِرِ (١)

كأنَّهُ غُرَّةُ مُهرٍ أشقرِ   والوحشُ في أوطانِها لم تُذْعَرِ

جَلا لنا وجهُ الثَّرَى عن مَنظرِ   كالعَصْبِ أو كالوَشْي أو كالجوهرِ (٢)

من أبيضٍ وأحمرٍ وأصفرِ   وطارفٍ أجفانُهُ لم يَنظُرِ (٣)

تخالُهُ العينُ فماً لم يَفغَرِ   وفاتقٍ كادَ ولم يَنَوِّرِ (٤)

كأنَّهُ مُبتسِمٌ لم يَكْشِرِ   وأدمعُ الغُدرانِ لم تَكَدَّرِ

---

(١) طرة : طُرَّةُ المَزادةِ والثَّوبِ : عَلَمهُما ، وقيل : طُرَّةُ الثَّوبِ موضعُ هُدْبِهِ ، وهي حاشيَتُهُ التي لا هُدْبَ لها ... وطُرَّةُ كُلِّ شيء : حَرْفُهُ ... والطُّرَّة : النَّاصِيَةُ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٥٤) .

(٢) العَصْبُ : سِنُّ دابَّةٍ بحريَّةٍ تُسَمَّى فرَسَ فِرْعَوْنَ ، يُتخَذُ منها الخَرَزُ وغيرُ الخرَزِ ... ويكون أبيض ... والعَصْبُ : الطيُّ الشَّديدُ . وعَصَبَ الشيء يَعْصُبُهُ عَصْباً ، طَواه ولَواهُ ، وقيل شَدَّهُ ، (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٦٤) والعَصْبُ في البيت بياض اللون .
الوشي : مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ... والوَشْيُ في اللَّوْن خَلْطُ لَوْنٍ بِلَوْن ... وَوَشَى الثَّوبَ وَشْياً وَشِيةً : حَسَّنَهُ . وَوَشَّاه ، نَمْنَمَهُ ونَقَشَهُ وحَسَّنَهُ ، (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٨٤٦ ـ ٤٨٤٧) .

(٣) طارف : الطَّرْفُ : طَرْف العَيْنِ . والطرفُ : إطباقُ الجفْنِ عَلَى الجَفْنِ ابن سيده ، طَرَفَ يَطْرِفُ طَرْفاً ، لَحَظَ ... التهذيب وغيره : الطَّرْفُ اسْمٌ جامِعٌ لِلْبَصَرِ ، لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ، لِأَنَّهُ في الأصْلِ مَصْدرٌ ، فَيَكُونُ واحداً ويَكُونُ جَماعَةً . قال الله تعالى ﴿ لا يَرْتَدُّ إلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ .. وطَرَفَ بَصَرُهُ طَرْفاً إذا أطْبَقَ أحَدَ جَفْنَيْهِ عَلَى الآخَرِ ، الواحِدَةُ مِنْ ذلِكَ طَرْفَةٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٦٥٧) .

(٤) وفاتق : الفَتْقُ : الخَلَّةُ من الغَيْمِ ، والجَمْعُ فُتُوق ... والفِتَاقُ : الشَّمْسُ حِينَ يُطْبِقُ عَلَيْها [الغَيْمُ] ثمَّ يَبْدُو مِنْها شَيْءٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤١) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والـــروضُ مغسولٌ بليـــلٍ مُمطِـــرِ كأنَّهـــا دراهـــمٌ في مَنثَـــرِ

أو كَعُشورِ المُصحـــفِ المُـــنَشَّرِ والشمس في إضحـــاءِ جوٍّ أخضرِ

كدمعـــةٍ حـــائرةٍ في مَحْجـــرِ[1]

وفي موضع آخر من شعر الصيد يتعّمد الشاعر وصف الطبيعة من خلال مرور الخيل بها .

ويقدم الشاعر بذكر يوم اللذَّات سرقه من الدهر ـــ ولم يعلم له نظير فيما سبق ـــ ، مما يدل على قلة اللذات لدىٰ الشاعر ونُدرتها ، فالدهر لم يمنحه الكثير مما يتمناه ، وتطلبه نفسه . وما تتمناه نفسه لا يستطيع أن يبوح به في شعره .

يدل على قلة اللذات لدىٰ الشاعر ونُدرتها ، فالدهر لم يمنحه الكثير مما يتمناه ، وتطلبه نفسه .

ويُفصِّل في ذكر اللذَّات ، فإذا هي خروجهم مبكرين والشمس لم تأخذ بَعْدُ مكانها في الأفق . سارت بهم جيادهم السريعة.ووصف سيرها بسير السيل،وكأنيٌّ بها سرعة لا تظهر فيها حركة القوائم ، فتقطع الجياد في سيرها الرياض والبساتين التي انتبهت أزهارها حين بللتها دموع السحاب المتساقط عليها .

ثم ينتقل الشاعر من الحديث عن الزهر ، ليتحدث عن عبيره الطيب المنتشر في كل مكان . فإذا للمسك أكياس أو أوعية ، تَفتَحها أيدي الرياح الناعمة الهادئة ؛ فينتشر ما فيه بين البقاع . والصورة طريفة وبديعة ، ركبٌ فيها الشاعر أكثر من طرفٍ ، لينقل صورة الرياح تحمل الرائحة الزكية ،فكان سبيله إلى ذلك توجيه حركة الرياح ، وجعلها مقصودة بنشر العبير ، وهي أيضاً لها أيدي ناعمة هادئة ، تفتح بها أوعية المسك التي لولاها ـــ أي الرياح ـــ لطال انغلاقها على طيب ما بها . ويقول الشاعر :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ ـــ ٤٤٢/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومـــن عَجَبِ اللـــذَّاتِ يومٌ سَرقتُـــهُ   من الدهرِ لم يَعلَمْ به الدهــرُ سالـــفُ

غَدونا ولمَّـــا ترتـــقِ الشمسُ أُفقَهـــا   تَسيلُ بنـــا قُودُ الجِيـــادِ الخَوانِـــفُ[1]

تَشقُ رِيـــاضاً قد تَيقَّـــظَ نَورُهـــا   وَبلَّلهـــا دمــــعٌ من المُــــزن ذارفُ

كأنَّ عِيـــابَ الـــمِسكِ بين بِقاعِهـــا[2]   يُفتِّحُهـا أيــدِي الريـــاحِ اللطائـــفُ[3]

وأما الألفاظ التي اتضح فيها التشخيص فهي (يَعْلم ، تيقَّظ ، دمعٌ ، أيدِي الرياح) . ثم الظلال المعنوية لهذه الألفاظ .

وبعد وقفة ليست بالطويلة ، أمام نماذج من شعر ابن المعتز ، التي اتسمت بخاصة وصل الموصوف بخصائص الإنسان (التشخيص) ، نخلص إلى أن الصورة تتميز بالبساطة والـوضوح ، ثم قرب المشبه من المشبه به في المصدر .

---

(١) قُودُ : أَقُودُهُ قَوداً وَمَقَادَةً وَقَيْدوَدَةً ، وَقَادَ البَعِيرَ ، واقْتَادَهُ معناه جَرّه خَلْفَهُ ... والقَوْد من الخَيل اَلَّتي تُقادُ بِمَقاوِدِها ، ولا تُرْكَبُ وتكُونُ مُوَدَعةً مُعَدَّةً لِوَقْتِ الحاجَةِ إليْها . (ابن منظور ، معجم لسان العـرب ، جـ ٥ ، ص ٣٧٧٠) .

الخوانف : الخِنَافُ سُرْعَةُ قَلْب يَدَي الفرس .. والجمع خُنُفُ .. قيل هو إذا أَحْضَرَ وثنى رَأْسَهُ ويديه في شِقٍّ ؛ وخَنَفَ الفَرسُ يَخْنِفُ خَنفاً ، فهو خانِفٌ .. وخَنُوفٌ . أَمَالَ أَنْفَهُ إلى فارِسِهِ .. والخَانِفُ : الذي يُمِيل رَأْسَهُ إلى الزِّمـامِ ، ويَفْعَـلُ ذلِكَ مِنْ نَشاطِـهِ (ابـن منظـور ، معجـم لسان العـــرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٨٠ ـ ١٢٨١ .

(٢) عياب : العَيْبَة : وعاءٌ مِنَ أَدَمٍ ، يَكُونُ منها المَتاع ، وَالجَمْعُ عِيابٌ وعِيَبٌ ، فأَمَّا عِيَاب فَعَلى القِياسِ ، وأَمَّا عِيَبٌ فعلى جَمْع عِيَبة . وسببه أن يأتي تابعاً لِلكَسْرةِ ... والعَيْبَة أيضاً زَبيل مِنَ أَدِمٍ يُنْقَلُ فِيهِ الزَّرْعُ المَحصودُ إلى الجَرين (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٣١٨٤) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٢/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وإن خاصة وصل الموصوف بخصائص الإنسان (التشخيص) يتميز بها الكثير من شعر الوصف عند ابن المعتز . ولكنني اخترت أوضح تلك المواضع ، وعرضتها في هذا الفصل على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ويبقىٰ في شعره في الوصف نماذج تستحق العرض والدراسة والنظر قد لا نضيف جديداً لدراستي الفنية لشعره .

* * *

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الرابع: الخيال التركيبي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الرابع

الخيـــال التركيبي

الخيـال قدرة خالقة بانيـة لنمط جديـد ، ومجالات غير معهـودة للمظاهـر والمعـــاني المعهـــودة والمعروفة من قبل . عمادها التفكيك والتحليل ثم إعـادة البنـاء والتركـيب للتقـريب بين المتباعـدات ؛ والتجربـة الأولـى هي المثير الأول لكوامـن هذه القـدرة ، فتكـون التجربـــة الأولى بهذا الاعتبـــار : « ليست إلا بذرة تُعطي فرصة الدخـول في أجـواء بعيـدة وقريبـة من أجـل أن تُجرى عليها صفـــة التفكيك تلك ، وإعـادة التنـظيم والبنـاء ، والدخـول في مجالات كثيرة مغايـرة ، حتـى تغـدو التجربـة الأولى مجرد مناسبة ، والخيال الإنساني هو المبدأ الأول في كل إدراك إيجابي فعال نشط »[1] .

وقد قدم كولردج[2] تصوراً للخيال الإبداعي في سياق النزعة الرومانتيكية .. وميز بين الخيـال والوهم .. وأن الخيال إظهار الجدة في كل ما هو مألوف ، وتحقيق الملاءمة والتوازن والإعتدال .

وعلى أساس منهج التحليـل والتركـيب للمشاهـــدات والمرئيـــات التقـــطت نماذج من شعـــر الوصف عند ابن المعتز أبيات أو مقطوعات تظهر فيها هذه الخاصية .

---

(١) الدكتور مصطفى ناصف ، كتاب الصورة الأدبية ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م . الناشر دار الأندلس . ص ١٨ .

(٢) كولردج : صامويل تيلر (١٧٧٢ ــ ١٤٣٤) شاعر وناقد وفيلسوف إنجليزي من قادة الحركة الرومانتسية في الشعر والفكر في انجلترا .. ابتكر نظرية فلسفية للأدب .. إذ يعتبر الخيال .. هو العقل في أرقى مراحل التصور والتوحيد .. (بإشراف محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، الناشر دار الشعب ، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . ص ١٥٠٩) .
(وانظر كذلك ستانلي هايمن ، كتاب النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ترجمة د. إحسان عباس ، ود. محمد نجم ، الناشر دار الثقافة ، بيروت ، جـ ١ ، ص ٢٥) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن ذلك تشبيه الشاعر لضوء القمر المنتشر بالفضة المذابة على البلد . فيحْملنا الشاعر لرؤية جديدة حلل فيها الفضة وأذابها بكميات ضخمة تُناسب حجم البلد ثم صبها - أي الفضة - على البلد .

ويبقى لك بعد ذلك أن تتخيل النتيجة ، وأن تطلق لخيالك العنان دون حُدود . تُرى كيف سيصبح شكل البلد بعد أن ذابت الفضة عليها ؟ !

يقـــول :

هل لك في ليلـــة بيضاء مقمـــرة　　　كأنها فضة ذابت على البلـــــد[1]

ويستثير الشاعر القاريء باستفهام يوقظ انفعالاته ويوجهه إلى مشاركته الإستمتاع بليلة بيضاء .

والبياض رمز للسلام ، والشاعر يرى امتداد أشعة ضوء القمر إلى مساحة البلد كلها من حوله ، فيستغرق الضوء كل مكان فيها ، فأجاز لنفسه أن يسميها ليلة بيضاء كما تعيشها نفسه ، وكما تبدو لمشاعره وإحساسه بها .

وفي موضع آخر من شعر الطبيعة يصف الشاعر القمر فيقدم ببيان حاله في تلك الليلة ، فقد أرق ؛ فلم يذق طعم النوم ، فقد جمع إلى الأرق القلق والإضطراب ، وشبه حاله على فراشه بمن يتقلب جنبيه على جمر ، ثم يربط حالته هذه بالقمر الذي سرق نصفه ، فالأصل فيه الكمال والإكتمال ليكون بدراً .

ثم يصف القمر بأنه مجرفة العطر ، ونحن نعرف المجرفة للماديات ، فكيف تكون مجرفة العطر ؟ ! .. فالقمر على هذه الصورة ، وفي الوقت الذي طلع فيه قد يرتبط بسعادة ينتظرها

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٩٦/البسيط .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشاعر أو بهجة متوقعة ، أو لقاء يتطلع إليه الشاعر ، وينتظره ويأرقّه الإنتظار ؟ ! يقول :

ما ذُقتُ طعم النوم لو تَدرِي كأنَّ جَنبيَّ على جَمر

في قمر مسترق نصفه كأنه مجرفة[١] العطر[٢]

ويلتقط خيال الشاعر من الطبيعة الليمون بين أوراقه الخضراء ، فيشبهه بمداهن الذهب ، ويضيف إطباقه على رائحة المسك[٣] والخمر . واختار المسك والخمر لأن لونهما قاتم بالإضافة إلى رائحة الأول الزكية ، وصفة الثاني من إمتلاك العقل . يقول :

كأنما الليمون لما بدا للعين في أوراقه الخضر

مداهن من ذهب أُطبقت على ذكى المسك والخمر[٤]

ويبقى فرق بين الظاهرة الأصلية ، والصورة الشعرية في البيتين السابقين ، وهو أن الأصل ثابت على هيئته دائماً . أما الصورة فلا تلتحم أجزاؤها إلا في وجه الشبه فقط ، الذي ركبه الشاعر وخلقه خلقاً فنياً جديداً .

---

(١) مجرفة : الجراف مكيال ضخم .. الجوهري : يقال لضرب من الكيل جراف وجراف .
والجرف : أخذك الشيء عن وجه الأرض بالمجرفة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٦٠٢ ــ ٦٠٣) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٢/السريع .

(٣) المسك : ضرب من الطيب يتخذ من ضروب من الغزلان ، القطعة منه مسكة ، والجمع مسك . وهو مذكر ، وربما أنث بجعله جمعاً للمسكة ... ومسك البر نبت أطيب من الخزامى .
(المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٨٦٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٩٩/السريع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتناول الشاعر الخمر وكأسها ، وشاربها ؛ فيشبهها بذوب الذهب والفضة تارة ، وبالياقوتة المتوقدة تارة أخرى . وحَبَابها بالدر وزبد الماء .

ويُحلّل الشاعر المادة الأولية ، فالذهب في صفة السيولة وكذلك الفضة وقشور اللؤلؤ كؤوساً للخمر محشوةً بروقاً ، أما الساقي فهو مقسم لقطع الشمس .

فَيُحلّل الشاعر ويركّب ، ويجمع الظواهر المختلفة والمتباعدة أحياناً إلى بعضها البعض ، فتأتي الصفات نمطاً جديداً ، وبناءاً خيالياً بديعاً ، له روابط وعلاقات بالأشكال والألوان ، والخصائص العامة والخاصة . ثم حين تفقد الظواهر صلاتها الطبيعية ببعضها البعض ، يضيف خيال الشاعر صلات جديدة ، وروابط قوية .

ويذكر الشاعر الخمر بأسماء لها عُرفت بها وهي [قهوة ، بكر ، ربيبة ، حانةٍ ، عذراء] ثم يشبه الخمر بموج الذهب المذاب ، وبدأ بذكر الموج ليوضح الشاعر درجة ذوبان الذهب إلى السيولة التامة ، وبعد أن حلّله ركبّه على كأس هو قشور اللؤلؤ الأبيض . يقول :

من لي على رَغمِ الحسودِ بِقهوةٍ ... بِكْرٍ رَبيبةِ حانةٍ عَذراءِ

مَوْجٍ من الذهب المُذابِ يَضُمُّهِ ... كأسٌ كقِشرِ الدُّرَّةِ البيضاءِ[1]

وفي موضع آخر تزدحم الصور التي يصف بها الشاعر الخمر بخصائصها المختلفة ، شكلها ولونها وكأسها ثم الحباب فوقها .

فالزجاجة قميص للخمر ، والخمر ياقوتة متقدة ، ولِوَصفه الخمر بالياقوتة يشبه الكأس بالدرة .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٦/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا في حالة كونها غير ممتزجة فإن أضيف إليها الماء ، فهو شِبْاكُ فضةٍ يُلقى في وسطها ، وله حَلَقٌ بيضاء تتحلل وتتفكك تارة، وتنعقد تارو أخرى .

وبعد أن وصف الخمر والكأس في البيت الأول ، والحَبابَ في البيت الثاني بشيء من التفصيل في الوصف . يُجمل الوصف في البيت الثالث ، بتشبيه الخمر على هذه الهيئة بما مسته النار ــ أي سائل ــ فأصبحت تفور وتُزبدُ . يقول :

فَهاتِ عُقارَ في قَميصِ زُجاجةٍ[1] كَياقوتةٍ في دُرَّةٍ تَتَوقَّدُ

يَصوغُ عليها الماءُ شُبَّاكَ فِضَّةٍ لها حَلَقٌ بِيضٌ تُحَلُّ وَتُعْقَدُ

من اللائي مَسَّتهنَّ نارٌ بِلَفحَةٍ فظَلَّتْ بما فيها تَفورُ وتُزبِدُ[2]

ويشبه الشاعر الخمر بالفرس الأحمر الداكن الحمرة ، مع أن المعروف عن الكميت أنه إسم للخمر فيه حُمْرة وسَواد . ولكن الكاف التي سبقت كميت دلت على وجود التشبيه . والكميت لفظ مشترك بين الخيل والخمر .

ويثّبت الشاعر هذا المعنى في التشبيه ، ويقوّي دعائمه بإتمامه وصفها على نفس النسق ؛ فوصف الحَباب على الخمر باللبب من اللؤلؤ قُلدها إياه الفارس .

ويسند فعل تقلد الفارس للفرس ليؤكد ويثبّت تشبيهها بالفرس . فالفارس يوجب وجود الفرس

---

(١) عُقاراً : العُقَارُ الخمر : سميت بذلك لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدَّنّ ، أي لزمته ، يُقال : عاقره إذا لازمه وداوم عليه . وأصله من عُقر الحَوْض ، والمعاقرة إدمان شُرب الخمر .. وفي الحديث .. لا يدخل الجنة مُعاقرة خمر (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٣٠٣٨) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٩٨ ــ ٩٩/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وتقليده اللبب للفرس يعني أنه ليس أصلياً له ، وقد يُنزع منه . والتضاد في البيت غير واضح بين أول لفظ وآخره ؛ فيه يقـول :

كَكُمَـيت اللـونِ قلَّدهـا[(١)] فارِسٌ من لُؤلـؤٍ لَبَبـا[(٢)]

ومـن صوره للخمر أيضاً تشبيهه لها بالعروس في خدرها والعلاقـة وطيـدة بين العـروس والخِدْر ، وبين العروس والخمر ، والخدر والدن فالعروس تتم زينتها في خِدْرها ، وهـو لها وحدها دون غيرها ، والخمر كذلك تخرج من دَنِّها بعد أن أقامت فيه حتى أصبحت مُعدّه .

وأما انسكاب الماء عليها ـــ لتُخَفْفَ من عِتْقِها ـــ ثم حركة الماء شبه الدائرية ، فهي تشبه فلكَ دَرٍ ، فنزل الشاعر بالفلك من أعالي السماء إلى كأس الخمر ، ثم ضمَّ إليه الدُّر ليدور فيه .. ويصبح منه فحلل وركبٌ . يقـول :

كأنَّهـا العـروسُ جوفَ الخِـدْرِ لِلمـاءِ فيها فَلَكٌ من دُرٍّ[(٣)]

وبالإضافة إلى ما سبق فهناك شبه الحفاوة والتكريم والتطلع إلى العروس وإلى الخمر مِنْ قِبَلِ مُحبيِّها .

---

(١) كُمَيْت : الكُمَيْتُ : لون ليس بأشقر ولا أدهم ؛ وكذلك الكُمَيْتُ من أسماء الخمر فيها حُمرة وسواد ، والمصدر الكُمْتَةُ .
ابن سيده : الكُمْتَةُ لون بين السواد والحمرة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٢٦) .
واللَّبَبُ ... وهو ما يُشَدُّ على صَدْرِ الدَّابَّةِ أو النَّاقَة ؛ قال ابن سيده وغيره : يكون لِلرَّحْل والسَّرْج يمنعهما من الاستئخار . وألببت السرج : عملت له لبباً . (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٨١) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٣٤/المديد؟.

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٤٥/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

هذا شأنه مع الخمر أما ساقيها ؛ فللشاعر وصف بديع له حين يَصُبُّ الخمر في الأقداح .

فيصف الشاعر الساقي بالحسن ، ويسميه بإسمه (أحمد) ثم يصف الخمر التي أتى بها بصفرة تشبه معها صفرة الورس .

ويبدأ الشاعر بذكر الساقي ـ صفته وإسمه ـ فهو موضوع حديثه في الأبيات ، ثم . يلي ذلك ذكر صفة الخمر ولونها . والتي أوحَت له بالصورة التالية عليها . ويمهد بتشبيه صفرتها بالشمس .

ثم يحدد الوقت الذي يصف فيه الخمر ، وهو آخر الليل حين طلوع الفجر . فإذا به بعد ذلك إلى وصف الخمر بقطع الشمس ، فقد حملها خيال الشاعر من السماء وجعلها على الأرض ، ثم جعلها قطعاً يُوزعها الساقي على الشاربين .

فالملاءمة واضحة بين الوقت وهو طلوع الفجر ، وبين وصفه للخمر بالشمس ؛ فكأن انتظاره لطلوع الشمس ، جعله يرى في الخمر بديلاً عنها ، في ضوئها وأشعتها الذهبية النفاذة . مع أن الشاعر ينّفر من الصبوح في أرجوزته المشهورة ، ويفضل عليه الغبوق .

يقول الشاعر :

يا حُسنَ أحمدَ غادياً أمسِ ... بِمُدامةٍ صفراءَ كالوَرْسِ[1]

والصبحُ حيٌّ في مَشارقِهِ ... والليلُ يَلفِظُ آخرَ النفسِ

---

(١) الوَرْسُ : نبت أصفر يكون باليمن ، تُتخذ منه الغُمرة للوجه ... منه أورس المكان وأورس الزمن (شجرة من الحمض بالأشنان) أي أصفر ورقه بعد الإدراك فصار عليه مثل المُلاءِ الصُّفر ... قال أبو حنيفة : الورس كيس ببرِّيٍّ يُزرع سنة فيجلس عَشر سنين . أي يقيم في الأرض ولا يتعطل ، وقال نباته مثل نبات السمْسم ، فإذا جَفَّ عند إدراكه تُفتَّقتْ خَرائطهُ فَيَنْفَضُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٨١٢) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكـــــأنَّ كفَّيْـــــهِ تُقسِّمُ في أقداحِنـــا قِطَعـــاً من الشمسِ[١]

والصورة هنا ملكٌ لخيال الشاعر لم يسبقه إليها غيره ، جدّدَ فيها بعد أنْ كثر تشبيه الخمر بالشمس[٢] .

والملاءمة الموسيقية واضحة في الأبيات بتكرار بعض الحروف ذات الجرس العالي .

ويمزج الشاعر مزجاً رائعاً بين الكأس وما فيها من الخمر في صورة بديعة . فإذا كانت الكؤوس قشور لؤلؤ ــ كما عرفنا في أبيات سابقةٍ[٣] ــ فإن الخمر فيها هي ذلك اللؤلؤ الرطب ، فاللؤلؤ وقشره متلازمان إلا أنه وصف الخمر باللؤلؤ في حالة عدم صلابته التي نعرفها عنه .

ولم يكتف الشاعر بذلك ، بل صوَّر ثورة الخمر ، وتموجها وفورانها بالبروق في صيغة الجمع ، مبالغة في وصف حالتها . وجعل الكأس محشوة بها ليعبرّ عن شدة ازدحامها ، وضيق الكأس بها .

والصورة غاية في الإبداع ، إذا استطاع الشاعر أن يركب أجزاءها من عناصر مختلفة ، اللؤلؤ المعروف من جوهر وكنوز الأرض ، والبروق التي لا تُرىٰ إلا في السماء . يقول :

---

(١) ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٤٩/الكامل .

(٢) ولم يورد الإمام شمس الدين النواجي هذه الأبيات في حلبه الكميت بل ذكر قول جامعه :

ساق كبدر دجا يسعى بشمس ضحى بين الندا ما يفوق الغصن إن خطرا
فأعجب لشمس أضاءت في يد قمر والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

انظر باب وصف الساقي وآدابه ١٢٢ ــ ١٤٢ .

(٣) انظر ص ١٧١ من هذا البحث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وكـــؤوسٌ كأنَّهـــنَّ قُشُورٌ اللؤلـــؤ الـــرَّطْبِ حَشْوُهـــنَّ بُروقُ(١)

ومع الإجادة والروعة في التحليل والتركيب في الصورة السابقة إلا أنها افتقرت إلى عمق الإحساس ، والمشاعر التي تلوّنها وتحركها وتهبها الحياة . فالشاعر هنا رسّام يمزج أشكالاً وألواناً ويركبها أكثر منه شاعراً .

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٨٩/الخفيف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي شعر الصيد ، ومن صور الطبيعة وصفه لليل بذي جلباب أسود ، شديد السواد ، وليؤكد الشاعر صفةَ السواد ، وليُثبت وفْرَةَ الصور في ذاكرته ، وكثرت خبراته ومخزون مشاهداته ، يصور الليل ملتحفاً بجناحي غراب أسود .

وتشبيهه سواد الليل بسواد الجلباب ، إشارة إلى عدم ثبات صفة السواد . وعبرّ أيضاً عن استمراره ، والتبكير فيه بتشبيهه أيضاً بمن يرتدي حُلّةَ الشباب لم يخلعها .

وبالإضافة هنا إلى التحليل والتركيب في الصورة ، فالصيغ أيضاً فيها تقريب بين الليل والإنسان في قوله [مُلتحِف] ، يقول :

يا رُبَّ ليلٍ حالك الجلبابِ مُلتحِفٍ بخافِقَيْ غُرابِ

لم يُفِر عنه حُلَّةُ الشباب[1]

وفي موضع آخر من شعر ابن المعتز في الصيد ، وفي مقدمة في وصف الطبيعة أيضاً تنعكس الطبيعة بجزئياتها ، ومكوناتها ، على خيال الشاعر صوراً ذات دلالات ومعاني ، مترابطة تنقل لنا إحساسه بها .

فيشخّص الشاعر الصبح على أنه حادٍ قد ذهب بليل شديدِ السواد ، ثم يجمعها ــ الليل والصبح ــ في صورة الثوب الأسود ذي الشقوق ، وكأنَّ هذه الشقوق بياضُ الصبح الظاهر في جسم الليل .

والشاعر يُوجد بين الليل الذاهب ، والصبح القادم علاقات وروابط ، فالأولى علاقة الحادي بقطيعه ، وهي علاقة لحاق واتباع . وفي الصورة الثانية يجعل الليل هو الأصل ، ومن خلاله يبرز الصبح ويظهر . بل يُوجد بينهما شيئاً من الاتحاد ؛ فهما يمثلان كلاً لاينفصل .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٢/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويصف الشاعر النجم على أنه غرة بيضاء على جبهة جواد الفجر المسرج القادم . ثم يجعل الشاعر هذه الصورة طرفاً أول لصورة أخرى ، هي أن النجم كالمصطلي للهب العظيم المنتشر ، وهو الصبح . ووصفه له باللهب المؤجج يحمل معنى استمرار انتشار آشعة الصبح .

والجوزاء أثارُها طُلوع الصبح ، فأصبح ضوؤها يظهر ويختفي ؛ يشبه في ذلك القلم تُحركه الريح بقوةٍ وسرعةٍ ، وقد لاءم الشاعر بين شجو الجوزاء ، وخفقها . ثم وصف اللواء المُزَعَجْ . والصفات الثلاثة السابقة خصائص إنسانية ، بالإضافة لِحدَا ، والمصطلى ، مع التحليل والتركيب الذي أجراه الشاعر في الأبيات . يقول :

لَمَّا حدا الصبحُ بليلٍ أدعَجِ ... مثلِ القِباءِ الأسودِ المفرَّجِ

والنجمُ في غُرَّةِ فَجرٍ مُسرَجِ ... كالمُصطلي باللَّهَبِ المؤجَّجِ

وأفُقُ الجوزاءِ بالصبحِ شَجِي[1] ... خافقةً مثلَ اللواءِ المُزعَجِ[2]

هذه مواضع من وصف الطبيعة في مقدمات شعر الطرد ، أما شعر الطرد نفسه ؛ فيصف الشاعر جارحاً من جوارحها ، وهو طائر (الزُّرَّقُ) فهو يألفُ الجن أكثر من الانس . بمعنى أنه قوي نَشْط يَفْعلُ مالا يُصدق ، ويأتِي بالعجب . وهي مبالغةً نقل الشاعر المعنى بها . ثم يذكر

---

(١) الجوزاء : ويطلق عليها نوء الهقعة ، والهنعة وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كالاثافي . هي رأس الجوزاء . سميت بهذا الاسم تشبيهاً بعرض زور الفرس الذي يقال له الهقعة . والعرب تُسمي الكوكبين اللذين على قدمي التوأم الثاني من كوكبه التوأمين الهقعة ، التي هي مع ما يحوطها من نجوم ، تُسمى الجبار .
والهنعة كوكبان مقترنان ينعطف كل منهما على الآخر ، وهما أول أنواء الشتاء عند ابن رشيق ، ونوؤه هو نوء الجوزاء . (د. يحيى عبد الأمير شامي ، كتاب النجوم في الشعر العربي القديم ، ص ٩٦ ــ ٩٧) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

الشاعر اختصاص الطائر الزُّرَّقُ بالسمكِ في النهر ، ويبيّن طريقة صيده لها ؛ فيلتقطها بمنسره الذي هو عبارة عن فأس من الطين الصلب التماسك ، وشبهه بالفأس ، لأنه يفتك بمن يصيبه مع شبه الشكل .

أما صيد الزُّرَّقَ فهو سمك كبير على شكل النصال في طوله وقوته وصلابته ، فتجتمع القوتان المتكافئتان ، ولكنَّ منسر الزُّرق هو الأقوىٰ ، فيصطاد السمك ، فكأنَّها نصال ملقاة ليس في ذاتها قوة ، فلا تصدر منها أدنى مقاومة حين اصطيادها .

وكأن الشاعر يتلذذ باقتناص القوة ؛ فيذكر تفاصيل ليست ذات بال ، فالصيد يتم في الصباح ، والطائر يحمل السمك المصطاد خارج الماء ليضعه قرب الصياد .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الزُّرَّق ، فصدره متداخل الألوان ، كأن عليه كتابة أو زُيِّنَ بالألوان المختلفةً . ولم يحرص الشاعر على الترتيب في وصفه للزُّرَّق فبدأ بوصف صدره ؛ لأنه أول ما يقع عليه نظر الناظر إلى الطائر . ثم وصف عينيه دون أن يصف رأسه . واكتفى بوصف منسره في الأبيات السابقة ــ في حديثه عن طريقة صيده ــ ووصف ذكاءه ، وفطنته في اصطياد الأسماك ، ويشبه عينيه بالدينار في الاستدارة والصفره. ويشير من طرف خفي إلى أهمية عيني الطائر في عملية الصيد . وبالإضافة لذلك فعينا الزُّرَّق يرىٰ بها عن بُعد حتى الأشباح البعيدة .

ثم يُبدع الشاعر في وصف أسفل الطائر الزُّرَّق بالمقانع البيضاء ، اتصلت بها ساقاه المنتهيتان بالمخالب ، تشبه في شكلها وهيئتها الغصن ، وفي لونها الذهب . والصورة السابقة حلّل الشاعر خبراته السابقة وركبَّ منها صورة جديدة ،

ولكي يعبِّر عن وجود المخالب في أطرافها مع قوتها ، وصفه بوفاء السلاح ووفرته والبطولة المهيئة لأي قتال ، وهو شديد القتال على الأقوياء . ففسرَّ لنا الشاعر رأيه في قوة القوى وسطوته ، وهذه رموز لأحداث في حياته .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقـول :

قَدْ عَادَ بِالجِـــــنِّ من الإنسَي ... مُحَكَّمـــاً في السَّمكِ اللجُـــيِّ[(١)]

يَلقُطُهـــا بِمعـــــولٍ مَدْريٍّ[(٢)] ... لَقْــطَ نِصالِ الغَــرَضِ المِرَمِـــيِّ

صبَّحتــــهُ بأجَـــلٍ وَحِـــيِّ ... على شِمـــالِ قانصٍ خَفِـــيِّ

ذِي جُؤجـــؤٍ مُحبَّـــرٍ مَوشِيِّ ... ومقلـــةٍ تَلَّحـــقُ بالـــقَصِيِّ

قد علِــقَتْ بالشبَـــجِ الخَفِـــيِّ ... كأنَّهـــا دِينـــارُ صَيرفِـــيِّ

واتصلتْ بِرانِــــهِ القُوهِــــيِّ[(٣)] ... ساقٌ كغُصنِ الـــذهبِ المَجْلــيِّ

وافِـــي السلاحِ بَطـــلٍ كَمِـــيِّ ... أشوسَ أبَّـــــاءٍ على الأَبِيِّ[(٤)]

---

(١) اللجيّ : اللُّجَةَ الجماعة الكثيرة ... ولُجَّةُ الأمر : معظمهُ . ولُجَّةُ الماء معظمهُ ... والُّجُ السيف ، تشبيهاً بلُجّ البحر اللُّجُ السيف بلُغَةِ طَيءٍ .. وهُذيل ... وطوائف من اليمن (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٩٩) .

(٢) المِعْوَلُ :حديدة يُنقر بها الجبال ، قال الجوهري : المِعْوَلُ الفأس العظيمة التي يُنقر بها الصخر ، وجمعها مَعاول يضرب به الصخرة ، والمِعْوَلُ ، بالكسر ، الفأس . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٣١٧٧) .

مَدْرى : المَدَرُ : قِطَعُ الطين اليابس ، وقيل : الطين العِلْكُ الذي لا رمل فيه ، واحدتهُ مَدَرةٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤١٥٩) .

(٣) الرَّانُ : الغِطاءُ والحِجابُ الكثيف (المعجم الوسيط ، جـ ١ ، ص ٣٨٦) .

القوهيُّ : ضربٌ من الثياب بيض ، فارسي ـــ الأزهريُّ الثِّيابُ القوهيَّةُ معروفةٌ منسوبةٌ إلى قوهِسْتانَ .. والقوهيُّ بيض المَقَانِع (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٧٨٧) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ ـــ ٤٨٥/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولغة الأبيات فيها بعض الغريب ؛ ليحفظ على هذا الغرض التقليدي ــ الصيد ــ طابعه القديم المعروف .

ويتحدث الشاعر في موضع آخر من شعر الصيد عن الطائر البازيّ ويصوّر قوته ، ويصف طريقته في الحصول على الفريسة .

فيصف مخالب البازيّ بالقوة والصلابة ، وسرعة النفاذ في الجسم الذي أمامه ، مهما كان قوياً أو غليظاً ، فهو يشبه المسمار المنعطف ، ثم يوضح في الأبيات التالية دور مخالبه في صيد الحيوانات والطيور فالبازيّ حين آنس طيوراً في الخليج ، وآنس بمعنى أحس بورودها في القرآن بهذا المعنى ﴿ **إني ءَانستُ ناراً لَّعلي ءَاتيكم منها بِقَبَسٍ أو أَجِدُ على النَّارِ هُدى** ﴾[1]

ويصف الشاعر ماء الخليج بأنه مضطرب الوسط هادىء الأطراف . أما الطير فتسبح في الماء ، وفي سيرها تُغْرق فقاقيع الماء التي تحمل الهواء . ثم يفرّع حديثه عن الطيور بذكر صفاتها دون ذكر أسمائها ، فمنها ما يُصدر أصواتاً عالية بالغناء العذب ، ومنها ما يُصدر أصواتاً صفيرية ، كأنه المغني بالقصب المُعَد للزمر . ولكنه لم يُحدّد بالضبط من أي أنواع الطيور هذان النوعان اللذان ذكر صفتهما .

ومن الطيور أيضاً ذاتُ الطوق الأخضر ، ويقصد به الحمامة . وذات المنقار الذي يشبه نصف المضراب ، وقد يقصد به البط أو الأوز . ثم يسير على هذا النسق في الحديث عن الطيور في الأبيات بصفاتها دون التصريح بأسمائها .

والصورة ناطقة بالحركة والضجيج ، وتداخل الأصوات ، من خلال بيتين بألفاظ هي (مضطرب ، صداح ، صفّار ، مُرَجّعٌ) .

---

(١) سورة طه ، آية ٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك لبيان طريقة الزُّرَّق في الصيد ، فهو يخبط الطيور خبطة قوية ، كأنه مَلِكٌ قوي تعوّد إحراز النصر ، ثم يشبهه بطالب الثأر في حرصهِ على إزهاق روح من يطلبهُ .

ويتألق الشاعر في وصفه مخالب البازِيُّ ــ السابقة الذكر ــ وأضاف إلى ما سبق وصفها بالسيوف المغمدة في الأعمار . تُرى كيف تُغْمَدُ السيوف في الأعمار ؟ ! . وكيف يمكن أنْ يُتمكن منها ؟ ! .

والصورة طريفة ومعبّرة نسجها خيال الشاعر ، ومزج بين طرفيها الماديُّ والمعنوي . وقد لاءم الشاعر بين ذكره للثأر الإنساني في عملية صيد الزُّرَّق للطيور ، وبين وصف مخالب الزُّرَّق بالسيوف فهي وسيلة الحصول على الثأر .

ويصف الزُّرَّق بشواظ من نار ، فهو يطير بين الطيور ، فيحمل لها الموت كالنار ، يقول :

ومِخلبٍ كمثلِ عَطْفِ المِسمَارْ ... آنَسَ طيراً في خليجٍ هَدَّارْ
مُضطَرِبِ اللُّجَّةِ صافي الأقطارْ ... سَوابحاً تَفرِي حَبابَ التَّيَّارْ
من كُلِّ صَدَّاحِ العَشيِّ صَفَّارْ ... كأنهُ مُرَجِّعٌ في مِزمَارْ
وذاتِ طَوْقٍ أخضرٍ ومِنقارْ ... كَنِصْفِ مِضرابٍ يَرَى منه البَارْ
فصادَ قَبْلَ فَترةٍ وإضجارْ ... خمسينَ فيهنَّ سِماتُ الأظْفارْ
يَخْبِطُها خَبْطَ مليكٍ جَبَّارْ ... مُظفَّرٍ يَطْلُبُها بأوتارْ
قد حُكِّمَتْ سيوفُهُ في الأعمارْ ... كأنَّهُ فيها شُواظٌ من نارْ[1]

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ــ ٤٣٩/السريع .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وبعد فالحديث عن الخيال التركيبي عند ابن المعتز ، يعني الحديث عن قمة وصفه ، أو ذروة الإبداع في فكره ؛ لأن الخيال المركبّ في الشعر يعتمد على قدرات عقلية عالية غاية في التعقيد منها التذكر والتصور ، والانتباه والتخيل ، ثم قوة ارتباط هذه القدرات فتمثل قوة خالقة مبدعة .

وقد اتصلت القوة المبدعة بشخصيته وأفكاره ، ومعتقداته فكانت مرآة لخلجات نفسه ومصداقاً لقوة عقله . ودليلاً مادياً نقدمه لنثبت تفوقه في ميدان شعر الوصف .

ومع أن خاصة الخيال التركيبي في شعر الوصف عند ابن المعتز لا تتواجد بوفرةٍ في شعره ، إلا أنها تضف جديداً إلى الوصف في الشعر العربي ، وتنفي عن ابن المعتز تُهمةَ الآلية في الوصف والتشبيه والتقليد للظواهر ومحاكاتها بعيداً عن إحساسه بها .

ثم بالإضافة إلى قدرة عالية لدى الشاعر في الملاءمة بين أبيات المقطوعة الواحدة ، ملاءمة معنوية ولفظية وموسيقية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الخامس: تكثيف الصورة لموصوف واحد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الخامس

تكثيف الصور لموصوف واحد

ولثراء خيال الشاعر ، وسعة مخزونه الثقافي ، وخبراته ومشاهداته ، وقدرته على الربط ، وإيجاد العلاقات بين الظواهر المختلفة والمتبادلة ، ثم الملاءمة بينها ، يأتي الشاعر ــ أحياناً ــ للموصوف بصفتين أو أكثر مع اختلاف مادة الصورة ــ غالباً ــ ويجعلها تسير في نسق واحد ، لتكشف وتوضح جانباً من الموصوف أو جوانب مختلفة منه .

ويتناول الشاعر في شعر الطبيعة المريخ بين النجوم ، فيصف درجة ضوئه بالتوهج والاتقاد . ثم يختار صفة أخرى له ، فهو كنبت البهار في روضةٍ أزهارها النرجس ، والصورة جمالية[1] للمريخ ، وهي أيضاً

(١) يورد الدكتور يحيى عبد الأمير شامي : قيماً متعددة للصورة الأدبية للنجوم في الشعر العربي هي :
أولاً ــ القيمة الجمالية :
نظر الشاعر إلى النجوم فبهره وميضها المتألق ، ولونها الساطع ، وخفوقها المميز ، وارتفاعها الساحق ، واجتماعها وتناثرها البديع على شاشة السماء الزرقاء ... ولما أراد أن يعبّر عن إعجابه بهذه الظاهرة ، لجأ إلى ما هو قريب منه قيد التداول ، ومُنتزع من صميم واقعه وحياته . وهكذا فإنه لم يجد سوى القناديل أو المصباح ، أو الشهاب من النار ، وقطيع الظباء مثلاً يحتذى ... يقول امرؤ القيس :

تلك النجومُ ، إذا خانتْ مطالعُها ... شبهتُها في سواد الليل أقباسا

ثانياً ــ القيمة الوجدانية :
وللنجوم ، فضلاً عن قيمتها الجمالية ، قيمة أخرى تتمثل في تلك العلاقة بين وجدان الشاعر والنجوم ، حيث تنصهر المشاعر ، وتتوحد وشائج القربى والمشاركة بين الذات والموضوع ، وإذ ذاك ، فإن الكوكب ، مُرتقَب نظر الشاعر لتغدو بالنسبة إليه شريك همومه ومستودع مناجاته ، وعنواناً لطول ليله وسهاده ... قال مطرود الخزاعي في رثاء هاشم بن عبد مناف :

أبت أراعي نجوم الليل من ألم ... أبكي ، وتبكي معي شجواً ، بنياتي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تصويرنسبي ؛ فدرجة إضاءة المريخ بالنسبة للنجوم اعتبرها الشاعر ايقاداً ، ونسبة جماله لجمالها كالنسبة بين جمال البهارة والنرجس . يقول :

وتَوَقَّدَ المِرّيخُ بَينَ نُجُومِها ... كبَهارَةٍ[1] في رَوضَةٍ من نَرجِسٍ[2]

فالصفة الأولى للمريخ الإتقاد ، والثانية جماله بين النجوم كالبهارة بين النرجس فأراد الشاعر أن يثبت للمريخ هاتين الصفتين الاتقاد والجمال .

يشبه الشاعر الصدغ بالظلام أما الخال فيشبهه بمتبهين ثم يصف الخد بالحمرة ، والخال أثر الشرارة فيه . ثم صورة ثانية له فهو كنقطة من المسك على الشقائق[3] .

ثالثاً ــ القيمة التأملية :

ولا تخلو أشعار النجوم من قيمة تأملية تتمثل في تلك اللحظات التي يقفها الشاعر متأملاً ، أمام تتابع أجرام السماء على مرّ العصور ، تتابعاً دائماً منتظماً يبعث على الملاحظة والتفكير والانتباه العميق .

ولكن هذا الأثر التأملي ــ وللأسف ــ قليل جداً في شعر النجوم ، إذا ما قيس بغيره ، وسبب ذلك هو غلبة النزعة المادية على تفكير العربي ، وعدم قدرته على التجوال بعيداً في آفاق الفكر والخيال والتجريد ، ولأمية بن أبي الصلت :

والشهر بين هلاله ومحاقه ... أجل لعلم الناس كيف يعدد

لمواعيد تجري النجوم أمامه ... ومعمَّم بحذائهن مسود

(كتاب النجوم في الشعر العربي القديم من ص ١٥٩ ــ ١٧١) .

(١) البَهار : كلُّ شَيء حَسَنٍ مُنير ، البَهارُ نَبْتٌ طيِّبُ الرِّيح ... الجوهري ، البَهارُ العَرار الذي يُقال له عينُ وهو بَهارُ البَرِّ وهو نَبْتٌ جَعْدٌ له فُقَّاحَةٌ صَفْراءُ يَنْبُتُ أَيَّامَ الرَّبيع . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٣٧١) .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٧٦ /الكامل .

(٣) الشقائق : نَبْتٌ واحِدَتها شَقِيقَةٌ سُمِّيَتْ بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ؛ وقيل واحدُهُ وجمْعُهُ سواءٌ ، وإنَّما أُضيف إلى النُّعمان ، لأنهُ حمى أرْضاً فكَثُرَ فيها ذلك ... وقيل النُّعْمانُ اسْمُ الدم وشقائقُهُ قِطَعُهُ ، فشَبَّهتْ حُمْرتُها بحُمرة الدَّم ... وغلب عليها إسْمُ الشقَّائق . وفي حديث أبي رافع : إن في الجنة شجرة تحمل كسوة أهلها ، أشد حمرة من الشقائق ، هو هذا الزَّهْرُ المعْرُوف ، يُقالُ له الشَّقِرُ وأصْلُهُ من الشَّقيقة ، وهي الفُرْجةُ بين الرمال (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٣٠٠ ــ ٢٣٠١) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولك أن تتخيل شكل ذاك الخال من خلال صورتي الشاعر . فيتدرج الشاعر في استخدام الصور بحسب حجمها ، ثم بحسب قُربها من الخبرة العادية . فالظلام قريب من الخبرة البسيطة المتكررة ، ثم الشرارة في القميص الأحمر ، أقل قرباً ، ثم قد تتخيل بسهولة نقطة المسك على نبت الشَّقيق فتنجلي أمامك صورة الخال الذي وصفه الشاعر . يقول :

وكأنَّ خالاً فوقَ صَفحةِ خدِّهِ ... من تحتِ صُدغٍ كالظلام الغاسقِ

أثَرُ الشرارةِ في قميصٍ أحمرٍ ... أو نُقطةٌ بالمِسكِ فوق شقائقِ [1]

ويفصّل الشاعر في وصف بعض مظاهر الطبيعة ، فنجوم الليل قُرب طُلوع الفجر أحْدَاق مريضة لضعف وميضها ، وخفوت ضوئها ، ثم يتناول بالذكر بعض النجوم منها الثريا[2] التي تتعاقب مع غيرها من النجوم ، لؤلؤة بين اللاليء المتألقة جمالاً وروعة .

أما الجوزاء ففي أفقها العالي ، تبدو للناظر إليها أغصان أزهار تارة ووشاحاً من ورقٍ تارة أخرى .

فالصفة الجمالية المجملة للنجوم تشبيه لها بالاحداق المريضة . وفي تفصيل الوصف يثبت لكل منها الجمال والروعة ، بتشبيهها بمظاهر جمال أخرى من الطبيعة أيضاً . يقول :

وأنجمُ الليلِ مَريضاتُ الحَدَقْ ... تَتلو الثُّريَّا جِزَقاً بعدَ جِزَق [3]

كأنَّها حينَ فَرَى الصبحُ وَشَقْ ... واسطةٌ بينَ لآلٍ تأتلِقْ

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٢٤/الكامل .

(٢) الثريا : راجع معناها ص ٥٠ من هذا البحث .

(٣) جزقاً : الجزْقَةُ : القطْعةُ منْ كُلِّ شيء حتى الرِّيح ، والجمع جِزَقٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٨٥٨) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كأنّما الجَــوزاءُ في أعلَــىٰ الأُفُــقْ[١] أغصانُ نَوْرٍ أو وشاحٌ[٢] من وَرَقْ[٣]

ويحض الشاعر الاحداق بالمرض ، ليـدل على جزئيـة الظاهـرة ، أو تأثيرهـا على لمعـان النجوم . ثم يلائم بين الاحداق في البيت الأول ، ووصف النجوم بالرؤية في البيت الثاني .

وفي قوله « واسطة بين لآلٍ تأتلق » وصف عام للنجوم بالجمال الباهر والبياض الناصع .

أما البيت الأخير فالشاعر حريص على تحديد بُعد مسافة الجوزاء عن عينيه مما يجعله يراها على شكل أغصانِ الأزهار تارة أو الوشاح من الورق الأبيض تارة أخرى .

ويحدد الشاعر وقت طلوع الفجر . ومكـان المشرق ليصفه بالثغر الـذي أصطفّت أسنانه ، وهـي متساويـة ، وبالإضافة إلى الشبه بينهمـا في البيـاض والامتـداد فهناك شبه المكان بالمكان. فالمشرق والمغرب في أعلى الكون ، والثغر في أعلى الإنسان .

ثم وصف آخر للفجر ، وصورة أخرى فهـو في المشرق فكـأن ضوءه طبق ألقاه الفجـر على الأرض . والصلة بين الصورتين أن كلاً منهمـا في شكـل قريب من الآخر ، فنصف استـدارة في الثغر ، ونصف استدارة أيضاً في الطبق ، لما يظهَر للناظر إليه . ثم يربط الشاعـر بين وصف الطبيعة في هذا الـوقت وخروجـه فيه ؛ فالليـل أصبح ثوباًباليـاً ممزقـاً ، وذلك لتخلـل الصبح له ، ويشبّـه خروجه بفرس قوي نشيط يعرف المسالك والطرق المختلفة .

---

(١) الجوزاء : راجع معناها ص ٩٩ من هذا البحث .

(٢) وشاح وإشاح : كُلُّهُ حَلْيُ النساء ، كِرْسان من لُؤْلُؤ وجوهر منْظُومان ، مُخالفٌ بيْنهُما معْطوف أحدُهُما على الآخر ، تتوشّحُ المرْأة به ... تشُدُّهُ بيْن عاتقْها وكشْحيْها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٨٤١) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٥/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولكي يلائم بين البيتين يصف الفرس بالنظر العالي إلى كل أفق بعيد . يقـول :

والفجرُ في المَشرقِ كالثَّغرِ النَّسَقْ   كأنـهُ أُلقَى على الأرضِ طَبَقْ

غَدوتُ في ثوبٍ من الليلِ خَلَقْ   بِطارجِ النَّظرةِ في كلِّ أُفُقْ(١)

وعلى هذا النمط يتناول الشاعر بعض الظواهر والمعاني ، فيصورها بأكثر من صورة ، ويوالي بين الصور في الموضع الواحد لتتضح أمام القارىء المعالم والمظاهر ، والجوانب التي أراد ابرازها .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٥/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي شعر الخمر يصف الشاعر حَبَابَ الخمر في الكأس ، فحين أراد الشاعر أن يعبّر عن كثرة الحَبَابَ وتشابكه على وجه الكأس شبهه بالخِمار ، ويقصد بالخِمار تغطية وجه الكأس .

ثم صورة أخرى للحَبَاب ، وشكله فيشبهه بِجلد الحيةِ المخلوع عنها أو دُرّ الجمان ، والصورتان الأخيرتان لتأكيد البياض والجمال والاستدارة .

ويضيف إلى الصفات السابقة وصف الكأس بمركز لنبت الاقحوان ، بمعى شدة تقارب الحبَاب ، ولتكتمل الصورة يشبة الخمر بتربة من سحيق الزعفران . وكأنَّ الشاعر يحرص على إيجاد روابط وصلات بين الخمر ، وعالم الإنسان والحيوان والنبات ثم بالجواهر والنفائسْ يقول :

وقد لَبِسَتْ خِماراً من حَبَابٍ ... كَسَلْخ الأيم[1] أو دُرِّ الجُمانِ

فَخِلتُ الكأسَ مَركزَ أُقحوانٍ ... وتُربتَهُ سَحيقَ الزَّعفرانِ[2]

ومن شعر الصيد قصيدة يصف فيها الشاعر الفرس ، ويقدّم بتحديد وقت خروجه للصيد ، والصبُح يشبيه بالشيب ، وهو بياض الفجر وقد اختلط بسواد الليل الذي يشبهه الشاعر بمسحوق الطيب .

---

(١) الأيم والأيمنُ : الحيّة .. والثُّعبان : الذُّكرانُ من الحيَّات ، وهي التي لا تضرُّ أحداً ... قال ابن شُميْل : كُلُّ حيَّة أيْمٌ ذكراً كان أو أُنثى ، ورُبَّما شُدِّدَ فقيل أيِّمٌ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ١٩٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٥٥/الوافر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويظهر موقف الشاعر من الليل والصبح . فالليل يروق له ، وتستقر نفسه فيه ، فيرمز له بالشباب والنضارة . كشف عن شعوره ذاك بتشبيهه الصبح بالمشيب ، ويشبه الليل بالشعر الأسود .

ثم يصف الشاعر الفرس بصفات القوة والصلابة والسرعة . ويصف أذنه التي تشبه جريدة النخل في شكلها العريض من طرف ، ومدبب أو يميل إلى ذلك في الطرف الآخر ، وربط الشاعر بين الفرس ، وجريدة النخل في وصفه لأُذنه شكلها وطولها وعلوها . ثم يشبه أُذنه أيضاً (بآهة) أي القضيب الغض وقد رُبطتْ إلى العمود . في مقاومتها للهواء في السرعة كما تفعل ذلك الآواسي .

ويستمر في التشبيه بصور من الطبيعة ، فذنب الفرس تشبه السحاب الممطر ليدل على انسيابه . ثم يستدعي صورة أُخرى من الطبيعة ليصف بها ذنب الفرس فهو كالأرض المرتفعة المنحدر منها السيل ، ويؤكد المعنى بقوله (ذات ثرى رطيب) . أي اختلطْ تُرابها بالماء ، فأصبح ليِّناً طرياً . وليُؤكد نعومة ملمس ذنبه ، بعد أن أعطى انطباعاً عنه .

وينتقل إلى وصف حافره الذي يُمثِّل أناة السرعة في الجري . فيصف حافره في عدم استقراره وثباته بقدم لسعتها حية أو عقرب ، هنا تصادفنا ظاهرة في الوصف عند الشاعر ، حيث يشبه مظهراً ثابتاً في المشبه ، بصفة طارئة في المشبه به أو نادرة في أوقاته وأحواله .

ثم يشبه حافر الفرس أيضاً بالقدح المكبوب ؛ لضيق شكله من أعلاه واتساعه من أسفله ، ولصلة شكل الحافر بسرعة الفرس ، عاد مرة أخرى ليصف سرعته ، فعبر عنها الشاعر بقوله أنه يسبق النظر ، وهذا مقياس جديد للسُرعة ، فيه مبالغة لوصف سرعة منقطعة النظير ، ومثلها في العصر الحديث طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ثم يبين سرعة الفرس بمقارنتها بغيرها ، وتفوقه فيها ، ويستخدم اسم التفضيل (أسرع) ، ثم يشبهه بصور ومواقف بعضها معنوي مجرد ، والآخر مادي . ويقابل بينها في الأبيات متعاكسة فالماء المنسكب ، والفكر يسير إلى القلب ، وإرتداد اللحظ لإلتقاط المرئيات . ثم النار الشديدة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

اللهب النافذة ، فسرعته مطلقة متفوقة على كل سرعة ، ونتيجة المقارنة هي الدليل . يقول الشاعر :

قد اغتدي والصبحُ كالمشيبِ   في أُفُقٍ مثلِ مَداكِ الطِيبِ
بقارحٍ مُسوَّمٍ يَعبوبِ   ذِي أُذُنٍ كخُوصةِ العَسيبِ[1]
أو آسةٍ أوفَتْ على قَضيبِ   وَذنبٍ كالهَيْدَبِ المَسكوبِ[1]
أو سَرْوَةٍ ذاتِ ثَرىً رَطيبِ   وحافرٍ كَقَدَمِ المَلْسُوبِ[2]

---

(١) قارح : فرس اقامت أربعين يوماً منْ حمْلها وأكثر ... قال ابن الاعرابي : هي قارح أيّام يقرعُها الفحل ، فإذا استبان حمْلُها فهي خَلِفَةٌ ، ثُمّ لاتزالُ خلفة حتى تدْخل في حدّ التعْشير (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٥٧٢) .

مسموم : الشائم : الذاهبُ على وجْهه حيْث شاء ... قال الاصمعي : السَّوامُ والسَّائمةُ كُلُّ إبلٍ تُرسلُ ترْعىٰ ولا تُعلفُ ... وسَّوم الفرس جعل عليه السِّيمة ... السُّومةُ ـ بالضم ـ العلامة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢١٥٨) .

يعْبوب : اليعْبوبُ الفرسُ الطَّويلُ السَّريعُ ، وقيل الكثيرُ الجرْي ، السَّهْلُ في عدْوه البعيدُ القدْر في الجري (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧٤) .

العسيب : عظْمُ الذَّنب ، وقيل : مُسْتدقُّهُ ، وقيل : منْبتُ الشَّعر منه ... وفي التَّهْذيب : العسيبُ جريدةُ النخل إذا نُحيّ عنْهُ خُوصهُ ولم ينْبُتْ عليه الخُوصُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٣٦) .

(١) آسة : البناءُ المُحْكم والدِّعامةُ ، والسَّارية ... قال ابن بريّ : وقد تُشدَّد أُواسيُّ للأساطين (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٨٣) .

الهيْدبُ : السَّحابُ الذي يتدلىَّ ويدْنُو مثْل هُدْب القطيفة ... وقيل هَيْدَبُ السَّحابُ ذَيْلُهُ ... وفرسٌ هَدِبٌ : طويلُ شعْر النَّاصية . وهدبُ الشَّجرة : طُولُ أغْصانها وتدلّيها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٦٢٩) .

(٢) المسلوب : لَسَبَ لسبتْهُ الحيَّةُ والعقْربُ والزُّنْبُورُ بالفتح ، تَلسبه وتلسبه لسباً : لدغتْهُ ، وأكثرُ ما يُستْعملُ في العقْرب (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٠٢٨) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أُكحلَ مثلِ القَدَحِ المَكْبُوبِ   يَسبِقُ شأوَ النظرِ الرحيبِ

أَسرعَ من ماءٍ إلى تصويبِ   ومن نُفوذِ الفكرِ في القلوبِ

ومن رُجوعِ لحظةِ المُريبِ   نارُ لظىً ثاقِبةُ اللهيبِ(١)

ومع قلة النماذج التي عرضتها في فصل تعدد الصفات للموصوف الواحد ، إلا أنها ليست المواضع الوحيدة في شعر الوصف للشاعر .

فقد تكون هذه الخاصية قد ظهرت في موضع آخر مع ظاهرة أخرى أقوى منها ، وأوضح ففضلتُ أن أوردها في الموضع الأقوى لتؤدي دوراً أبرز في إيضاح معالم شعر الوصف عند الشاعر في صورته الفنية الصحيحة .

ومما سبق يتضح ثراء خيال الشاعر بالصور والأوصاف المختلفة من مصادر متعددة ومختلفة للصورة ، مع تواليها متعاقبة متصلة بالمعنى ومرتبطة ببعضها أو مؤيده مهام إيضاحية متكاملة .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤١٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السادس: الجانب النفسي في الصورة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السادس

الجانب النفسي في الصورة

يحفِل الوصف عند عبد الله بن المعتز العباسي بالإضافة للخصائص الفنية السابقة ، بصور تُلَوّنها المشاعر والأحاسيس ، تترجم دخائل الشاعر ، وتنقل لنا صدىٰ المرئيات في إحساسه الشعري ، وفي مخيلته .

وقد اخترت نماذج من شعر الوصف ، لا تخلو فيه الصورة من جوانب نفسية لأدلِّ على نمط من أنماط التناول للصورة في شعر الوصف عنده ، وعلى خاصية جديدة لهذا الغرض تجلت في شعره في الأغراض الثلاثة الطبيعة ، والخمر والصيد .

فالطبيعة مسرح واسع ، تجوّلَ الشاعر في أعطافه ، ووصف مظاهره ، وتمثل المشاعر الإنسانية من خلال هذا الوصف .

فالليل والنجوم والفجر جمعتها الهموم والمصاعب ، كما ضمتها الطبيعة . والسحابة الممطرة ، والتراب الذي تسقيه ضمتهما صورة أخرىٰ بين حائم وهائم ، وهما صفتان نفسيتان بما لهما من أسباب ودواع .

والنرجس وعليه الندىٰ عليه يضمهما إطار تصويري ؛ فالنرجس ناظر عاتب مسرور ، والندىٰ دموع محب محزون مهجور .والليل هو الحيرة والهم ، وهو والأحزان والآلام التي تنتاب النفس المحزونة ، ومما يصاحب ذلك طول ساعاته ، وإمتدادها حتى يحسبها المهموم دهراً .

فالطبيعة نابضة بالأحاسيس والمشاعر ، وبعض المظاهر الطبيعية من حولنا لها أسباب نفسية

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ـــ عند الشاعر ـــ وبعض ذلك قد يدخل في ما يُسمىٰ بحسن التعليل(١) كما يَعْرِفُه علماء البلاغة . والبعض الآخر يصبح من مكونات الصورة ، فيكون ظلالاً وألواناً تجعل لها طابعاً مميزاً .

فالشاعر الذي تعوَّد تأمل النجوم كثيراً ، يراها لامعة مضيئة ، فلم يَلْفته جمالها ولا ضوؤها الأخّاذ ، وأشكالها التي توحي له بهيئات مختلفة ـــ كما مر بنا في النماذج السابقة ـــ بل رأها تلك الليلة ملازمةً مكانها لم تغادره ، ولم يَضْعف ضوؤها إيذاناً بأفولها ؛ لأن الغرب قد أغلق أبوابه دونها ، وتركها جماعات منتظمة تنتظر ، ويَنْتظر معها المهموم رحيلها ، وانقضاء الليل فحاله كحال امرىء القيس حين قال :

ألا أيها الليـــلُ الطويـــلُ ألا انجلي ... بصبح وما الاصبـاح منك بأمثـل(٢)

ثم يكمل الشاعر الصورة النفسية للكون ، فالفجر لم يتأخر في الظهـور إلا لقسوة هذه الليلة ، واذدحام الالآم والهموم بها . فهذه الأبعاد الثلاثة للكون الليل والنجوم والفجر ، تشارك البعد الرابع الإنسان همومه وأحزانه ، بل وتمتصها منه لتجترها وحدها ، فتجتمع الأضلاع الأربعة لشكل الطبيعة يمثل الإنسان ضلعاً منها . يقـول :

جارَ هذا الدهـــرُ أو آبـــا ... وقَـــراكَ الهمُّ أوصابَـــا
ووفــــودُ النّجــــم واقفــــةٌ ... لا ترى في الغــــربِ أبوابَــا
وكـــأنّ الفجـــرَ حيـــنَ رأى ... ليلـــةً قاسيـــةً هابـــا(٣)

---

(١) وهو أن يكون للمعنى من المعاني ، والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع ، ثم يجيء الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة المعروفة ، ويضع له علة أخرى . (الإمام عبد القاهر الجرجاني ، (ت ٤٧١ هـ ـــ ١٠٧٨م) كتاب أسرار البلاغة . شرح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م ـــ الناشر مكتبة القاهرة ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) الزوزني ، كتاب شرح المعلقات السبع ، ص ٢٧ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٣٩ ./المديد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن وصفه للطبيعة أيضاً تصويره للتراب هائماً بماء المطر ، وهو الذي يُشفي غليله ، كرمز للحاجة في أبسط صورها في الطبيعة ، ثم العطاء المتدافق الذي يُحقق الاشباع والارتواء ، وهما قضيبان منجذبان فالأول هائم والآخر حائر ، أي الحاجة والعطاء متمثلتان في التراب والسحاب .

وعبَّر الشاعر عن الامتلاء ، وقوة الامتلاك والاحتواء للسحابة بسواد الغراب ، وحركة السحاب الثقيلة تهادى ، ثم إنزال المطر ضجيجاً .

يقـــول :

جاءَتْ تَهــادَى كالغُــرابِ الحائـــمِ   مَكظوظـــــــةً مُسودَّةَ القَــــــوادِمِ

تَضِجُّ بالتَهتـــــانِ والهَماهِــــــــمِ   حتَّـــى شَفَتْ غُلَّـــةَ تُرْبٍ هائـــمِ(٣)

وفي موضعين آخرين من الديوان يصف الشاعر أيضاً زهر النرجس من خلال إحساسه به ، وفيض مشاعره .

الأول منهما إيراده للنرجس في شكل الناظر العاتب المسرور ، فهو حين يراه لا ينشغل بوصف شكله فقط ، ولكن بما أحس به .

فسرُّ جمالها إحساسه بعتابها له ، وسرورها به ، فيدعوه ذلك إلى وصف أحداقها الصفراء ، في أوراقها البيضاء ، بمداهن ذهب تُحيط بها أوراق الكافور . فإحساسه بجمال الأحداق دعاه إلى تشبيهها بلون الذهب ، فهو أخّاذٌ تخلب اللب ، ويملك النفس ببريقه ورونقه . ويستثير الشاعر انتباه القاريء والسامع بصياغته المعنى بأسلوب الاستفهام التقريري . يقول :

---

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٤١/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أما تَرى النـرّجِسَ المَيّـاسَ يَلحَظُنـا   أَلحاظَ ذي فَرَحٍ بالعـتْب مَسرورِ

كأنّ أحداقَهـا في حُسنِ صورَتِهـا   مَداهـنُ التّبـرِ في أوراقِ كافُـورِ[1]

والموضع الآخر يتحدث الشاعر فيه عن الندىٰ فوق زهر النرجس ، من خلال وصفه له ، وللألوان التي ، تضمنها البياض والصفرة والخضرة ، ومن أسبـاب جمالها أيضاً أنها عيـون لمحب آلمه وأوجعه الهجر غ فانهمرت دموعه .

ومن أهم أسباب الجمال اتصال الندىٰ بالزهرة اتصالاً يجعل الندىٰ نابعاً منها على اعتباره دمعها ، فإيجاد الشاعر لهذه الصلة بينهما أعطاها كوناً جديداً لم يكن لها في الحقيقة .

فالمادة الأساسية للموصوف هو النرجس ، وعليه قطرات الندىٰ ، وأما الوصف فهو العين تزرف الدمع ، فأضاف الشاعر إلى الصورة الحب والهجر ، فأعطاها لوناً جديداً ؛ فالنرجس بهذه العبارات إلى عالم الإنسان أقرب منه إلى عالم الطبيعة ، التي تتسم بالعفوية واللارادية . يقـول الشاعر :

عيـونُ لُجَيْـنٍ فوقَهـا حَدَقٌ صُفـرُ   يَزِينُهـا من تحتِهـا عمـدٌ خُضُرُ

كأنَّ انحدارَ الطَّـلِّ في جَنبـاتها   دمـوعُ مُحبٍّ قد أضرَّ بِهِ الهجـرُ[2]

---

(١) الكافور : أخلاطٌ تُجمع من الطيب تُركَّب من كافور الطلع ... وهو نبات له نَوْر أبيض كنور الأقحوان ... والكافور من أخلاط الطيب . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٩٠١) .
وانظر البيتين في ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٥٤ .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٠٢/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهو حين يلجأ إلى الخمر رجُل يريد أن ينسىٰ ما بداخله من الهموم والأحزان ومن ذلك قوله عنها :

يا صاحِبيَّ دَعا العُذّالَ في شَغَبِ ... وأنفِدا في السرور المالَ والعُمُرا

وسَقِّيا واشرَبا راحاً مُعتَّقةً ... تَستأصِلُ الهَمَّ والأحزانَ والفِكَرا[1]

فيدعو إلى بذل المال والعمر في سبيل الخمر ، فهي السرور ذاته ، وهي أيضاً تقتطع الهم والحزن والألم . وهو يعلم الخسارة التي تلحق بشاربها .

ويقول أيضاً :

صفراءُ تُنسيكَ الهمومَ إذا بدتْ ... وتُعيرُ قلبَكَ حُلَّةَ السَّرَّاءِ

وتأكيداً لقدرتها على إزالة الهمِّ ، ومَنْح السرور ، وجلب البهجة على القلب[2] . يقول :

تلكَ التي إنْ تُصادِفْ قَلْبَ ذي حَزَن ... تُجْزِلْ عَطِيَّتَهُ مِنْ كُلِّ سَراءِ[3]

ثم إن مرافقته لها في الواقع أو في الخيال لا يتفتق عندها الإبداع ، ولا تُصقل معها العبقرية .. فالشاعر في وصفه لها يقتصر على تحدد مصدرها أو ماهيتها ، أو ضوئها ولونها ، أو أدواتها أو أثرها .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٠٤/البسيط .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠/الكامل .

(٣) الدكتور محمد بديع شريف ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز الخليفة العباسي ، الجزء الثاني ، (سلسلة ذخائر العرب ٥٤) الناشر : دار المعارف ص ٢٠٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وفي وصفه لها ولأدواتها ، ينتقي صوره مما استحسنه أو استهواه من الطبيعة من نباتها أو زهرها أو شمسها ونجومها وقمرها ، أو مما تخشاه نفسه من الدم والقتل والنار وغيرها . أو مما تتوق إليه نفسه وتتوثب إليه من ذهب وفضة ولؤلؤ وجوهر .

وحين يصف حَبَابَها ، وصفه لكواكب من الأزهار ناظرة إلى شاربها ، مع ما يحمله النظر من تأمل ، ومشاركة أو رعاية أو مواساة ، أو استنباط لمكوناتها . يقول :

مُدامةٌ تُعْقَلُ العقولُ بِها ... لها نَجِيٌّ بالغَيِّ أمَّارُ

أحداقُها فِضَّةٌ مُجوَّفَةٌ ... نَواظِرٌ ما لهنَّ أشفارُ

يَلمَعُ فيها من كلِّ ناحيةٍ ... كَوكبُ نُورٍ إليكَ نَظَّارُ[1]

وكرر الشاعر النظر في البيت الثاني والثالث ، مع اختلاف مادة الصورة فالأولى أحداقٌ من فضة ، والثانية مزيج من الكواكب والأزهار ناظرة إلى الشارب .

وقد يصوّر الخمر صُبْحاً يخافه الصبح ، فيسعى ليسبقه في الظهور . يقول :

فلمَّا رآها الليلُ حَثَّ جَناحَهُ ... مَخَافةَ صُبحٍ في الدِّنانِ كَمِينِ[2]

فالليل يرى الخمر ، ويخاف ضوءها القابع في الدِّنان ، فيحث الصبح على الظهور بسرعة خوفاً من صبح الخمر . فالمقارنة والتنافس بين صبحين صبح الخمر وصبح الكون يتخذها الشاعر وسيلة لنقل إحساسه بالخمر .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٢٠/المنسرح .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٨/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وفي شعر الصيد مواضع يتجلىٰ في الصورة الجانب منها النفسي ، وقد تكون من إحدى مكوناتها ، أو تُمثل طرفاً هاماً فيها ــ كما سبق أن عرضت في النماذج السابقة ودراستها في الطبيعة والخمر ــ . وقد تكون الصورة نفسية خالصة ، يفسر بها مظاهر الطبيعة في مقدمات قصائده .

ففي إحدىٰ المقدمات يصفُ إحدىٰ الليالي في آخرها ، وقرب طلوع الصبح عليها ؛ حيث حوَّل الشاعر العلاقة الطبيعية بين نجم الجوزاء والصبح ــ حيث إنهما لا يجتمعان في ناموس الكون ــ إلى علاقة نفسية بحتة . يقول :

وأُفُقُ الجوزاءِ بالصبحِ شَجِي(١) خافقةً مثلَ اللواء المُزعَجِ(٢)

فالليل يستعجل الصبح ممثلاً في الجوزاء التي تنوب عن النجوم ، فهذا الأمر الذي يتم في الطبيعة كل يوم ، جعله الشاعر يتم في جو نفسي ، قوامه المشاعر والأحاسيس .

وإذا نفذنا إلى قصيدة الصيد نفسها ، وجدنا أيضاً مواضع أخرىٰ للصورة ، تتلون بلون نفسي ، فيتألق الشاعر في وصف سرعة الكلب ، وإيجاد باعث نفسي لها ، وربط الحركة بالمحرك النفسي ؛ فلمسها السريع للأرض ، بقوائمها ، يصوره الشاعر مس المولّه المعذب الشقي ، ثم فسَّر سبب هذا الشعور ، وأتى بنمط من أنماطه ، وهو قَبْض الجمر . حيث إنه أقوى مصدر لحصول الألم والعذاب ، وكلنا يستطيع أن يدرك مدى سرعة الاستجابة لدى من يلمس الجمر : وهي سرعة منقطعة النظير ، هذه هي نفسها سرعة قوائم الكلب في حركته على الأرض . يقول :

ما إنْ تَمسُّ الأرضَ إلّا وُلَّها كأنَّما تَقْبضُ جمراً يَذُها(٣)

(١) شجي : الشجو ، الهم ، والحزن ، وقد شجاني يشجوني شجواً إذا حزنه ، وأشجاني ، وقيل شجاني طَرَّبني وهيَّمني (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٣) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٦/الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٨٣/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومن بديع وصفه لنحول الكلب وضمور بطنه ، تصويره لخصره وقد ثَقُلت عليه حمولة أردافه ، فاستثقال الحمولة صبغة نفسية طبع بها الشاعر الصورة .

يقـــول :

يُصرِّفُ لحظـــاً لا يُعـــادُ مَريضُهُ ويَـمشِي بِخَصْرٍ أثقلتْـه الـرَّوادِفُ[1]

وبَعْــدَ ...

فهــذه مواضع من شعــر ابــن المعتــز في الــوصف ، كان لها نصيب قلَّ أو كَثُــر من الانطباع النفسي ، يمتزج بالصورة ، ويُشكِّل جزءاً هاماً منها .

وقد يمتزج الشاعر بالطبيعة ؛ فهي تبكي له ، وتحزن لحزنه . يقــول :

قالــوا أضر بنــا السحــابُ بِوكفــهِ لمَّـــا رأوهُ لِعَبرتي يَحكِيـــي

لا تَعجَبُـــوا مِمـــا تَرونَ فإنَّمـــا هذِي السمــاءُ لِرحمَتـــي تَبكِـــي[2]

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٤/الطويل .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٢٦/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السابع : دلالات حركية في الصورة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل السابع

دلالات حركية في الصورة

تحظى الصورة من الشاعر بتعمق في انتقائها ، وتؤدي دورها في نقل الشكل والهيئة واللون ، ثم قد وصل الشاعر بينها وبين خصائص الإنسان ــ أحياناً ــ وبالطبيعة من حوله أحياناً أخرى . وقد يأتي بالصورة مركبة من أجزاء خلقها الشاعر بعد تحليلها خلقاً فنياً جديداً ، ثم قد يمثل الجانب النفسي ركناً هاماً من الصورة ترتكز عليه ، كما وقد تعددت الصفات لموصوف واحد ، بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليه ؛ ليصبح أكثر وضوحاً وتمثلاً في ذهن القاريء . فكذلك قد تنطبع بعض صوره في الوصف بطابع حركي ، فنستشعر الحركة حين نتمثل المعنى ، ونتعمق الصورة .

ومن شعر الوصف عَرضتُ نماذج أبدع فيها الشاعر أيما إبداع ، تدل على براعة عجيبة لديه في استغلال الظواهر الثابتة ، وجعلها طَرَفاً من أطراف الصورة ، بل ويجعلها مصدراً للحركة ــ أحياناً ــ إمعاناً في تطويع ما حوله من ظواهر الطبيعة وأشكالها وألوانها ؛ لتكون مادة صور فنية رائعة .

وقد تَعوَّدنا من الشاعر في شعر الوصف عامة انشغاله بالطبيعة كثيراً يصفها أو يصف بها ، فهو إما متأمّل فيها ، واصفٌ لها ، أو مستعين بها في وصف الظواهر الأخرى في حياته الإنسانية أو في وصف حيوانات الصيد أو الخمر وأدواتها .

ومن ظواهر الطبيعة التي شُغل الشاعر بالنظر إليها : الأزهار وعليها قطرات الندى ، والبدر في الغسق ، والأنهار الممتدة تسقي النباتات حولها .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن ذلك تشبيهه للندىٰ على الزهر بالفرسان . يقـول :

فُرسانُ قَطْـرٍ على خيـلٍ من الزَّهَـرِ تَحتَهـنَّ سِيـاطُ الريـحِ في السَّحـرِ

ما شئتَ من حَرَكاتٍ وهـي واقفـةٌ تَخالُهـا سائـراتٍ وهـي لم تَسِرِ[1]

فالزهر خيل ، والندىٰ فرسان عليه ، فيشرك الريح في الصورة بدورها ، فلا يظهر شكلها ؛ بل تقوم مقام السياط في تحريك الأزهار ، ووجه الشبه بين طرفي الصورة : السير . واعتلاء حبات الندىٰ الأزهار كما يعلو الفرسان خيولهم إشارة إلى سبب حركتها . فالشاعر هنا يتحدث عن القوة المحركة للزهرة فيصوّر الريح سياطاً .

ويبدع الشاعر أيضاً في وصف عيني المحبوبة عند الفراق بأجفانٍ قد غرقت في الدمع ، ثم يشبهها بالبدر يتمزق في أنحائه الغسق . يقـول :

ما أنسَ لا أنسَ ، إذ قامَتْ تُوَدّعُنـا بمُقلَـةٍ جَفنُهـا في دَمعِهـا غَرِقُ

تَفتَـرُّ عن مُقلَـةٍ حَمـراءَ مُوقَـدَةٍ تَكـادُ لولا دُمـوعُ العَيـنِ تَحتَـرِقُ

كأنّهـا حيـنَ تَبـدو من مَجاسِدهـا بَدرٌ تَمَـزّقَ في أركانِـهِ الـغَسَقُ[2]

فعند توديع الحبيبة له ظهر تأثرها الشديد في عينيها ، فاستعار صفة الاتقاد والحمرة للعين ، ثم أنها تكاد تحترق لولا مجاورة دمع العين لها .

ويصف الملقة بالبدر تخللته حمرة الغسق ، ثم يُصدر الحركة من التمزق للغسق ، فالصورة نقلها الشاعر من حيز الإنسان إلى حيز الطبيعة ، والحركة صادرة عن استخدام بعض الأفعال منها (غَرِق ، تحترق ، تمزّق) .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٧٤/البسيط .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ٣٣٠/البسيط .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

ومما يُلاحظ في شعر الوصف أيضاً جمع الشاعر بين المتضادات ، أو تشبيهها بمثلها أيضاً ، ومن المؤكد أن ذلك بسبب الصنعة[١] التي ظهرت عند شعراء العصر وخاصة أبو تمام ، وقد شُغل ابن المعتز بالنظر في شعره[٢] .

---

(١) « وقد رأى أبو تمام أن يلّون شعره ببعض الألوان الفنية المشرقة ؛ حتى يخفف من ذلك اللون العقلي القاتم العميق فاتجه إلى « البديع » ... ومضى يزاوج بين الثقافة العقلية والبديع الفني ، ويمزج الألوان العميقة القاتمة بألوان البديع المشرقة الزاهية . ولكنه خالف مسلم بن الوليد ومن سبقه من الشعراء من أصحاب البديع في شيئين يتصلان بهذا البديع : بلغ فيه من ناحية ــ مبالغة شديدة ــ وعقّد فيه ــ من ناحية أخرى ــ تعقيداً شديداً (الدكتور يوسف خليق ، كتاب تاريخ الشعر في العصر العباسي ، طبعة عام ١٩٨١ م ، الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣) .

(٢) ورسالة ابن المعتز في نقد شعر أبي تمام « أول عمل كبير في نقد الطائي ويبدو أنها كانت السبب الأساسي في أن يضع الصولي أخبار أبي تمام ... ويمكن أن تكون أساس جميع الموازنات التي عُقدت بين أبي تمام والبحتري (الدكتور أحمد كمال زكي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧) . والرسالة قد احتفظ بها في ترجمته كتاب الموشح للمرزباني ، وهي تحمل كل الأسس التي كَوَّن منها الآمدي حملته على أبي تمام . ومعنى ذلك أنه على الرغم من ذوقه المرهف وحسه الرقيق كان ينحو نحو المحافظين في فهم الشعر العباسي » الدكتور ضيف ، تاريخ الأدب العربي ٤٠ ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٣٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأول ما يسترعي انتباه الشاعر ، بدايات الظواهر ، ومقدماتها فينشغل أحياناً — عمّا يليها ، فيصف غُرَة النياق البيضاء في جبهتها مع سواد لونها . يقول :

وغَدونــــا بأعِنَّـــةِ خيـــلِ   تأخُـــذُ الأرضَ بأيـــدٍ عِجـــالِ

زَيَّنتْهـــا غُرَرٌ ضاحكـــاتٌ   كَبـــدورٍ في وجـــوهِ لَيالِـــي[1]

فيستعير الشاعر الضحك الإنساني — مع ما يتضمنه من حركة للغرة في جبهة الخيل ، ثم يشبهها — أي الغرة — أيضاً في لونها الأبيض بالبدور الساطعة في وجوه الليالي السوداء الحالكة

وحين يتحدث الشاعر عن الفرس أيضاً في موضع آخر من شعر الوصف يشبِّه غرته البيضاء في وجهه الأسود ، بليل حالك السواد تبرقع وجهه بصباح . يقول :

ولقـــد يَشُقُّ بيَ الكتيبـــةَ قارحٌ   حتـــى أُخضِّبَ بالدمـــاء سِلاحِـــي

ذُو غُرةٍ في وجهـــهِ فكأنَّـــهُ   ليـــلٌ تَبَرقَـــعَ وجهُـــهُ بصَبـــاحِ[2]

فاجتماع سواد اللون وبياض الغرة في الفرس ، بليل تبرقع بصباح ، فيشخص الليل ويجعل له ما للإنسان مع الحركة في قوله (تبرقع) .

ومن معالم الحضارة الجديدة : السفينة ، يشبهها الشاعر بالزنجية ، ثم يشيع في الصورة حركة حين وصفه لحركة المجاديف حولها ، بأولاد يؤدبونها . يقول :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣١/المديد .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٣٤ — ٥٣٥/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وَزنجيَّـةٍ كُرديَّـةِ الحَلْـي فوقَهـا جَنـاحٌ لها فردٌ على الماءِ يَخفِـقُ[١]

يُؤدِّبُهـا أولادُهـا بِعصيِّهِـمْ فتَحبَسُ قَسْراً كيـفَ شاءَ وتُطلـقُ[٢]

فيُوجد الشاعر تضاداً بين لون السفينة وحَليّها ، فإن كان قد أثبت لها صفة السواد بتشبيهها بالزنجية ، فإن حَليّها بيضاء ينسبها الشاعر إلى قرية كُرْدَ .

أما شراعها الذي ارتفع يشق الهواء ، فكجناح الطائر يُحركه الهواء ، فيعبّر عنه الشاعر بالخفقان ، والصورة هنا مركبة . فالزنجية والحلي من عالم الإنسان ، توسطه ذكر جناح الطائر ، ولكن الشاعر يؤكد الجانب الإنساني ، فيصوّر السفينة وقد أحاط بها أبناؤها يؤدبونها بعصي لهم تتحكم في حركتها . والتصوير حافل بالحركة في بعض ألفاظ استخدمها الشاعر وهي (يخفق ، يؤدبها ، تحتبس ، وتُطلق) .

---

(١) الزِّنْجُ والزَّنْجُ ، لُغَتانِ : جِيلٌ من السُّودان ، وهُمُ الزُّنُوجُ واحِدُهُمْ ، زِنْجِيٌّ ، حَكاهُ ابْنُ السِّكِّيتِ وأَبُو عُبَيْدٍ مِثْلُ رُومِيٍّ وَرُمٍ وفارِسِيٍّ وفُرْسٍ ، لأَنَّ ياءَ النَّسَبِ عَدِيلَةُ هاءِ التَّأْنِيثِ في السُّقُوطِ (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٨٦٩) .

كُرْد : بالضم ثم السكون ، ودالٌ مهملةٌ ، بلفظ واحد الأكراد اسم القبيلة ؛ قال ابن طاهر المقدسي اسم قرية من قرىٰ البيضاء ... وقال الاصطخري : كُرْد بلدة أكبر من ابَرْقوه وأرخص سعراً ، ولهم قصور كثيرة ، (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٥٠) .

والكُرْد : بالضم : جيلٌ من الناس معروفٌ ، والجمع أكراد (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٨٥٠) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦١٦/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وللشاعر مع الخمر صور تشغل الحركة حيزاً فيها . فمرة يصف الكأس ، وأُخرىٰ يتحدث عن شارب الخمر ، ثم الخمر نفسها في الكأس وعليها الحَبَابُ ، ثم يتناول طريق انتقالها من الإبريق نحو فم الشارب .

فتنطبع صورة الكأس في مخيلة الشاعر ؛ فيتمثلها في الطبيعة . يقول :

والثُّرَيَّا مثلُ كأسٍ حينَ يَبدو ثُمَّ يَغْرُبْ

فكأنَّ الشرقَ ساقٍ وكأنَّ الغَرْبَ يَشرَبْ[1]

فحين يتأمل الشاعر السماء ، بتدو له الثُّريَّا[2] في ظهورها واختفائها بكأس الخمر ، ثم يكمل أجزاء المظهر الذي اعتاد رؤيته ، ومعايشته فيشخّص الكون ، فالشرق ساقٍ للخمر ، والغرب شارب لها .

والشاعر يجعل الشرق ساقياً ، والجامع بينهما العطاء ، ومبدأ الظهور . والغرب من خصائصه الاحتواء لما يظهر من الشرق . فالشاعر يستشعر الحركة في الطبيعة من حوله ، فَيخلع مشاعره على مرئياته في الكون والطبيعة .

والشاعر يستخدم الاضداد في خطوط أفقية في قوله (يبدو ويغرب والشرق والغرب) .

ثم ينظر الشاعر إلى شارب الخمر ، وهو يتناول الكأس فيصبح جزءاً منها في فمه ، هذه الملامح بجزئياتها الجامد منها والإنساني ، صورة مركبة في خياله الشعري ؛ ليوازن بينها وبين صورة من الطبيعة لوقت غروب الشمس ، وحمرة الأفق . وهلال أول الشهر ، لا يكاد يظهر فيها حين تحتويه . يقول :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأوّل ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .

(٢) تعريف الثُّريَّا هامش ص ٥٠ من هذا البحث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كأنَـهُ وكـأنَّ الكـأسَ في فَمِـهِ   هِلالُ أُولِ شهـرٍ غابَ في شَفَـقِ[1]

فشارب الخمر ، وكأسه في فمه ، عبَّر عنها الشاعر بصورة كونية كبرىٰ وهي غياب الهلال أول الشهر في الشفق .

ويتحدث الشاعر عن الخمر في أوضاعها المختلفة ، في دِّنِّها وكأسها ، وحين تُصبُّ من الابريق في الكأس ، وهي في يد شاربها . ولها في مختلف أحوالها ، صفات كثيرة ، في لونها وهيئتها ، ولمعانها . فهي كالشمس المضيئة الأخَّاذة . يقول :

وجـاء بها كالشمس تأكل نورهـا   زجـاجتها في كفِّ شاربها أكـلا[2]

فالخمر لا تشغل حيزاً كبيراً من المكان ، أكثر من الكأس في يد الشارب ، يشبهها بالشمس مصدر الضوء الأول في الكون ، ثم إنها ـ أي الخمر ـ تأكل زجاجتها ، فكأنها تخترق بضوئها ، وأشعتها جدار الزجاجة ؛ فتختفي عن الأنظار ؛ فكأن الخمر تقبف دون زجاجة في يد الشارب .

والشاعر هنا يؤكد فعل (تأكل) بالمصدر المؤكِد (أكلاً) ليثبت صفة التلاشي للزجاجة . والفعل (تأكل) هو مصدر الحركة في الصورة .

ويتحدث الشاعر أيضاً عن مجلس الخمر ، فيذكر الخمر ، ومديرها في المجلس ، والنديم ، فيشبههم بصورة من الطبيعة العلوية . يقول :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ص ١٨٥/البسيط .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٥/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فكأنَّهـــا شمسٌ وكـــفُّ مُديرهـــا   فيها ضحـــى[(١)] وفَـــمُ النديـــمِ أَصيـــلُ[(٢)]

فاختار الشاعر الصور المناسبة والمقابلة لما يُوجد في مجلس الخمر ، وقسم الصيغ تقسيماً موسيقياً متوازناً .

فالخمـر شمس في توهجهـا واتقادهـا ، وشدة حرارتها ، وكـف الساقي مُتلقيـة لأشعتها ضحى ، وفم الشارب أصيل يختفي خلفه قُرص الشمس المُذَهَّب .

ويلوِّن الشاعر الصورة بألوان طبيعية ، تُضيء وتشتد توهجاً ، ثم لا تلبث أن تتخفف ألوانها شيئاً فشيئاً إلى أنّ تصل إلى لون الحمرة عند غروب الشمس في الشفق .

وموضوع آخر يُشبِّه الشاعر الخمرَ بالشمس ، حين تبدو في كأسها لامعةً فيمزج الشاعر بين عالمي الإنسان والطبيعة ؛ ليجعل للخمر وكأسها والحَبَاب على وجهها خصائص من كليهما . يقـول :

قَهـوةٌ زُوِجَّتْ بدمـــعِ سحـــابِ   فَكَسْتْ وجهَهـا نِقـابَ حَبـــابِ

فَتَراهـــا وكأسُهـــا مثـــلُ شمسٍ   طَلَـــــعتْ في مُلاءَةٍ وسَرابِ[(٣)]

---

(١) ضحا الرَّجُل : وَضَحْىَ في اللغتين معاً ضُحُوّاً وضُحياً : أصابَتْه الشَّمْسُ ... ومنها قوله تعالى : ﴿ **وأنَّكَ لا تَظمأُ فِيهَا ولا تَضحَى** ﴾ : قال لا يُؤْذِيكَ حَرَّ الشَّمْسِ ، وإذا أردْت به ضُحىً يومك لم تنونه (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٥٦٠ ــ ٢٥٦١) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٢١/الكامل .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٢ ــ ٤٣/الخفيف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فالمادة الإنسانية في الأبيات هي الدمع ، والوجه ، والنقاب والمُلاءة ، وأما السحاب والشمس والسراب فهي عناصر من الطبيعة ألَّفَ الشاعر بينها .

فالشاعر هنا يصل الخمر بالمحيط الإنساني لتزداد قرباً من عالمه ، ثم بالطبيعة لتقترب الخمر من محيط خياله . ثم يصل بينهما .

فالخمر مُزِجت بالماء ، فأصبح الحَبَابُ عليها نِقَاباً يغطي وجه الكأس . ثم إنَّ الخمر والكأس تحتويها فشبه الشمس وقد التفّت في غِطَاء من السراب .

والحركة في الأفعال الواردة في الأبيات في (زُوجت ، وكَسْت ، وطَلعَتْ) .

وفي سياق تناول الشاعر للخمر ، ووصفه لها ، يتحدث عن انتقالها من الابريق نحو فمه . يقول :

فإذا ما المـــاءُ خالطَهـــا ... راضَ منها سَهلَـــةَ الشِّيَـــمِ
وَنَفَـــى مَكـــروهَ سَوْرتِهـــا ... ثُمَّ هَدَّاهـــا إلى الكَـــرَمِ
واكـــتستْ من شَكلـــهِ حَبَبَـــاً ... بيـــنَ مَنثـــورٍ وَمنتَظِـــمِ
وتبـــدَّتْ في أسرَّتِهـــا ... أسطـــرٌ مَجهولـــةُ الكَلِـــمِ
رَحْلُهـــا كَفٌّ تَسيـــرُ بِهـــا ... مِن فمِ الإبريـــقِ نحوَ فمِـــي (١)

فَبِنْيَةُ المعنى في الأبيات شَبَه الخمر بالإنسان ، وجعل لها صفاتـه الخاصة به . في قوله (سهلة الشِّيَم ، سَوْرتَها ، هدّاها ورحلها) .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٠ — ٢٣١/المديد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وبسبب مزجها بالماء كثر الحَبَابَ على وَجْهِها ، فإذا هو يشبه المنثور والمنتظم من اللؤلؤ ، أما انتقال الخمر من الإبريق إلى فم الشارب ، فيحملها كف الشارب الذي هو بمثابة الراحلة أو الدابة .

والحركة في قوله : (خالطها ، راض ـــ نفى ، هدّاها ، واكتسَتْ ، وتبدت وتسير) .

أما أقداح الراح المحوطة بمنديل ، فهي كالمستدفيء بالجمر الذي هو الخمر . فالخمر جمرٌ جعلته الريح يتوهج بمرور الريح عليه . يقول :

فكلَّلَ بالمِنديلِ أقداحَ قهوةٍ كجَمرٍ جَلتْهُ الريحُ قُدَّامَ مُصطَلِي[1]

والحركة في البيت في قوله (كلَّل ، وجَلْتهُ ، مصطلي) .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٥/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وفي شعر الصيد صُوَرٌ تحفل بالحركة ، اخترت منها موضعين ، الأول منهما وصفه للزَّرَّق شكله وصيده للفريسة ، والثاني : وصف طيور الماء بالبياض الممتد في الأفق وقت الغروب ، ونقل عملية الصيد بدقة متناهية ، وكأنيِّ بالشاعر ينقل صورة ناطقة بالحركة تمثل لنا ما حدث .

ففي القصيدة الأولىٰ ، يتحدث الشاعر عن طائر الزَّرَّق يقول :

لمَّا حَدا الإصباحُ بالظلامِ ... وَطُلِّقتْ عرائسُ الأحلامِ

وَقَصرُ الجَفْنُ عن المَنامِ ... أجبتُهُ بِفتيةٍ كِرامِ

لا يُطِئونَ ساعةِ الإلجامِ ... وزُرَّقٍ مُجرَّبٍ مِقدامِ[1]

صارَ من الحُسنِ إلى تَمامِ ... يَضمَنُ زادَ الجَحفلِ اللُّهامِ[2]

كأنهُ فوقَ يدِ الغُلامِ ... صبحٌ لهُ دِرعٌ من الظَّلامِ

ذي جُؤجُؤٍ كَنَمشِ الرُّخامِ ... أو أسطُرٍ دقيقةِ الأقلامِ

خَفيّةِ الأحرفِ والإعجامِ ... يَنفُضُ غَيبَ القُفِّ والآكامِ[3]

بِمُقلةٍ تُسرِجُ كالضِّرامِ ... يَنتَهِبُ البُعدَ بِطرفٍ سامِي

---

(١) الأَلجام : اللجام حَبْل أو عَصاً تُدْخَلُ في فم الدَّابَّةِ وتُلْزَق إلى قفاه ... واللُّجْمَةُ القَلَمُ مِنْ أعلام الأَرضْ . واللَّجَمُ الصَّمْدُ المُرْتَفِعُ . أبو عَمْرٍو : اللُّجْمَةُ الجَبَلُ المُسَطَّحُ لَيس بالضَّخْم (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠١ ، ٤٠٠٢) ومعنى الإلجام في البيت الشدة والبأس .

(٢) اللُّهام : جَيْشٌ لُهامٌ : كَثِيرٌ يَلْتَهُم كُلَّ شَيْءٍ ، وَيَغْتَمِرُ مَنْ دَخَلَ فِيهِ ، أَيْ يُغَيِّبُهُ وَيَسْتَغْرِقُهُ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٠٨٨) .

(٣) القُفُّ : ما ارْتَفَعَ مِنْ مُتُونِ الأَرْضِ وصَلُبَتْ حجارَتُهُ ؛ وقيل هُوَ كالغَيطِ مِنَ الأَرْضِ ، وَقِيلَ : هُوَ ما بَيْنَ النَّشْزَيْنِ ، ... وقال شَمِرُ : القُفُّ ما ارْتَفَع مِنَ الأَرْضِ وَغَلُظَ وَلَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَكُونَ جَبَلاً . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٧٠٥) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

أعلـــمُ بالصيـــدِ من الأَقوامِ   في هامـــة فرَّاسةٍ لِلهـــامِ

ومَـنسِرٍ عَضْبِ الشَّبـــاةِ دامِـــي   كعقـــدِك الخمسيـــنَ بالإبهامِ

مُنتَـــزِعٍ لِغـــامضِ العِظـــامِ   نَزْعَ المُـــكِبِّ خَرَزَ النِظـــامِ

وخافـــقٍ لِلصيـــدِ ذِي اصطـــلامِ   يَنشُرُهُ لِلنَـــهضِ والإقـــدامِ (١)

كَنَشْرِكَ البُـــرْدَ على السنـــامِ   أسرعُ من بارقـــةِ الغَمـــامِ (٢)

وَذَنَبٍ كَطَـــرفِ الـــحُسامِ   فصادِ ما شاءَ شمالُ الرامـــي

مـــن الإوزِّ ومـــن الحَمـــامِ (٣)

فتحديد الشاعر لوقت خروجه مع رفاقه جاء باسلوب تصويري ، فيشخّص الصبح ويجعله سائقاً بالظلام في وقتِ تُرك النوم واستيقظ الكون ، فيستخدم الألفاظ الموحية بالمعنى لينقلها من عالم الإنسان وخصائصه ، إلى محيط الطبيعة .

ويذكر لطائر الزرق صفات الاقدام والشجاعة ، والحسن والجمال ، وسرعة الفتك بالصيد ، والحصول على كثير منه بمهارة ؛ فيطعم الجيش الكبير ، الكثير الأكل .

---

(١) الاصْطِلام : الاسْتِئْصالُ . واصْطُلِمَ القَوْمُ : أُبيدُو . والاصْطِلامُ إذا أُبيدَ قَوْمٌ مِنْ أَصْلِهِمْ ... الاصْطِلامُ افتِعالٌ مِنَ الصَّلْمِ القَطْعُ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٨٩) .

(٢) البُرْدَةُ : كِساءٌ يُلْتَحَفُ به ؛ وَقِيلَ إذا جُعِلَ الصُّوفُ شُقَّةً وَلَهُ هُدْبٌ فَهِيَ بُرْدَة ... وقال الأزهَرِيُّ : وَجَمْعُها بُرَدٌ وهي الشَّمْلَةُ المُخَطَّطَة ، قال اللَّيْثُ : البُرْدُ مَعْرُوف مِنْ بُرَد العَصْبِ والوَشْي ... قال : وأَمَّا البُرْدَةُ فَكِساءٌ مُرَبَّعٌ أَسْوَدُ فِيهِ صِغَرٌ تَلْبَسُهُ الأعراب (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٠) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٤ ــ ٤٧٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

ويشبه الشاعر الزُّرق على يد الغلام بالصبح عليه ذرع من الظلام . وأتىٰ به الشاعر ليثبت للزِّرق صفة البياض الشديد ، وقُرب كف الغلام يشبه درعاً من الظلام ، وبضدها تتمايز الأشياء .

ثم يفّصل الشاعر في وصفه للزُّرِّق ، وبلغة موحية بالمعنى ، تتضمن الحركة يصفه : بالذكاء والفطنة ، والقدرة على الوصول إلى البعيد .

ومع أن الشاعر يُكثر من التشبيه بالنار ، إلا أنه أحسن هنا اختيارها ليشبِّه بها حدة بصر الزُّرِّق ، وسرعة رؤيته لما أمامه ، فينتهب المسافات بنظره الثاقب .

ويلائم الشاعر بين وصف الزرِّق بحدة البصر ، وعلمه الواسع بالصيد ، ووسيلته إليه نظره البعيد .

ويستمر الشاعر في وصف ما يساعده في اصطياد فريسته ؛ فمن ذلك منسره القوي الماضي ، الذي يُريق دم الفريسة ، وهو يشبه شكل الإبهام في انحنائه . جسر قوي يبنيه الشاعر بين الظواهر التي يصفها ، وبين عالم الإنسان .

فالزُّرِّق بهذا المنسر يمكنه أن ينتزع الغائر من عظام الفريسة ، وما توارىٰ منه خلف اللحم ، ويشبهه في ذلك بمن ينْظُم حبات الخرز الصغير في الخيط .

ويُبدع الشاعر في وصفه لطريقة صَيد الطائر للفريسة ، وسرعته في ذلك ، فهو يُسْقطها وقد فقدت الحركة ، فتصبح كشكل البُرد على سنام الجمَل ، كلُّ ذلك يحدث بسرعة البرق .

وهي صورة طريفة ، تدل على دقة الشاعر في نقل المعنى ، وقد اقتطعها بخياله من البيئة العربية القديمة التي تستخدم الجمَل وسيلة للانتقال في الصحراء .

أما ذَنَب الزُّرَّق فيشبُّهه الشاعر بطرف السيف ، واختار له هذه الصورة ، لِما يقوم به من مهمة اصطياد الطيور والإوزِّ والحمام . وقال الشاعر : ما شاء ، ولم يقل ما استطاع ؛ ليثبت للزِّرق صفة القدرة العالية والمطلقة على الصيد .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحركة في الألفاظ التالية [طُلقّت ، يضمن ، تُسرِج ، يَنتَهِبُ ، فرَّاسةٍ ، مُنتَزع ، وخافِق ، يَنْشره ، نَشْرِك ، فَصاد] .

وفي وصف الشاعر للطيور السابحة في الماء بالشفق الأبيض الممتد في الأفق ، وذلك من خلال وصفه لصيد الصقر لها . ويُظهِر الشاعر براعة في وصف سرعة الصقر إليها — حيث يسبق الذُعْرَ والخوف إليها . يقول :

يسبق ذُعْرَ الطير من حيث امترق ... حتى يَرين الموتُ من قبل الغَرَق[1]

أنس في نُوَّار روضٍ قد سَمَقْ ... سوابحاً في مَتْن لُجِّيٍّ غَدِقْ[2]

كالشفق الأبيض لاح في الغسق ... تكشفُ عنه الريحُ أقذاء الرَّنَقْ

سَقْيَ القُيونِ مَتْنَ عَضْبٍ مُنذَلِقْ ... فطارَ كالقِدْحِ المَريشِ المُمْتَرِقْ

ما صافَ عن قِرطاسِهِ حتَّى خَرَقْ ... ماتَ الذي أصابَ منها أو صَعِقْ[3]

وَطيَّرَ الريشَ على الأرضِ مِزَقْ[4]

* * *

---

(١) امترق : وامرْق : مَرَقَ في الأرْض مُرُوقاً : ذهَبَ ، وَمَرقَ الطَّائِرُ مَرْقاً : ذُرَقَ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤١٨٥) .
الغَرَقُ : بالتَّحريكِ الخَوْفُ . وفَرِقَ مِنْهُ بالكَسْرِ ، فَرَقاً : جَزِعَ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٤٠٠) .

(٢) سَمَقَ النَّبْتُ والشَّجرُ والنَّخْلُ يَسْمُقُ سَمْقاً وسُمُوقاً : فهو سامِقٌ ةسَمِيقٌ : أرْتَفَعَ وعَلا وطال (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩٩) .
غَدِقْ : يَغْدَقُ غَدَقاً فهو غَدِقٌ : إذا كَثُرَ النَّدَى في المَكانِ أو الماءُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٢١٩) .

(٣) قيون : جَمْعُ قَيْنَةٌ وهي الفَقارَةُ مِنَ فَقار الظَّهْرِ ، والقَيْنَةُ من الفَرَسِ نُقْرَةٌ بَيْنَ الغَرابِ والعَجُز فيها هَزْمه . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٧٩٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٧/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثامن: ضعف التصوير

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثامن

ضعف التصوير

وكما أجاد الشاعر في كثير من صور الوصف ، فقد أخفق في بعضها الآخر ، فوّصف الطبيعة بجزئياتها من سماء ونجوم وكواكب ، وشمس وقمر وسحاب ومطر ، ثم الأرض والرياض والأشجار والأنهار والأزهار ، والحيوان والطيور ، والخمر والندماء والشاربين ، ثم الصيد بجوارحه وضواريه وأقواسه ونشابه .

ورغم مستوى التفوق والإبداع الذي توفر للشاعر في صوره في الموضوعات السابقة ، إلا أنه لم يوفق في اختيار صور أخرىٰ ، في مواضعها المناسبة ، بحيث تَقبَلها النفس ، وتتذوق المعنى التذوق السليم .

فقد ركّز الشاعر في بعض صوره على استخراج وجه الشبه المناسبة مما شغله عن جوانب أخرى في الصورة على قدر كبير من الأهمية ، وأهمَّل اعتبارات معنوية كان لابد لشاعر مثله أن يُوليها اهتماماً واعتباراً .

ومن ذلك تشبيهه للمطر ليلاً بفتحات الجراح ، والتوافق والتشابه معدوم بين المطر الذي يُنزله السحاب ، وبين الجراح التي تَخْرج منها ما يخرج من سوائل لا تقبل النفس ذكرها ، ويستقبح مقارنتها بماء المطر الذي يحمل الخير والنماء والسقيا للإنسان والحيوان والنبات .

ففي هذا المعنى ــ ولاعتبارات الحقيقة والواقع ، والمعروف والمعهود عن الموصوف وهو المطر الذي ينهمر من السحابة ــ لا يُقبل من الشاعر وصف المطر بافواه الجراح . يقول :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَمُوقَـــرَةٍ بِثِقـــلِ المـــاءِ جاءت ... تَهـــادَي فوقَ أعنـــاقِ الرِّيـــاحِ[١]

فجـاءَتْ ليلَهـا سَحّـاً وَوَبْـلاً ... وهَطْـلاً مثـلَ أفـواهِ الجِـراحِ[٢]

كأنّ سماءَهـــا لمّـــا تجلّت ... خِلالَ نجومِهـــا عنـــدَ الصَّبـــاحِ

رِيـــاضُ بنـــفسجٍ خَضِلٍ نداهُ[٣] ... تَفَتَّـــحَ بينَـــه نَورُ الأقاحـــي[٤]

ثم يتحدث الشاعر عن بشرىٰ بزيارة الحبيب الذي طال هجره ، ويسوق ذكر التفاحة بيد الرسول من الحبيبة ، وبها آثار قطمها لها ، فيشبه آثار فكّها على التفاحة بقرني العقرب .

يقـــول :

يا ليلتـــي بالكَـــرخِ دومـــي هكـــذا ... يا ليلَتـــي لا تَذْهَبـــي لا تذهبـــي

---

(١) مُوقَرَةٍ : الوَقْرُ : ثِقَلٌ في الأُذُنِ بالفَتْح .. والوِقرِ بالكسْر ، الثِّقْلُ يُحْمَلُ على ظهْر أو على رَأْس .. وقيل : الوِقْرُ الحَمْلُ الثَّقِيلُ ، وعَمَّ بَعْضُهُم بِهِ الثَّقِيلَ والخَفيفَ وما بَيْنَهما وَجَمْعُهُ أَوْقارٌ .. الفَرَّاءُ : إمرَأَةٌ مُوَقَرةُ بفتح القاف ، إذا حَمَلَتْ حَمْلاً ثَقيلاً (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٨٨٩ ــ ٤٨٩٠) .

(٢) سَحّاً : السَّحُّ والسُّحُوحُ : هما سِمَنُ الشَّاةِ ... وسَحَابَةٌ سَحُوحٌ ، وسَحَّ الدَّمْعُ والمَطَرُ والماءُ يَسُحُّ سَحاً وسُحُوحاً ، أي سال من فَوْقُ واشتد انْصبابُهُ وساحَ يَسِيحُ سَيْحاً إذا جَرَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ... يَقْشِرُ وجه الأرض (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٩٥٠ ــ ١٩٥١) .

وَبْلاً : الوَبْلُ والوابل : المَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ القَطْرِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٧٥٥) .

هطل : الهَطْلُ والهَطَلانُ : المَطَرُ المُتَفَرِّقُ العَظيم القَطْرِ ، وهُوَ مَطرٌ دائم مَعَ سكون وَضعْف (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٦٧٤) .

(٣) خَضِلٍ : الخضل : خِفَّةٌ وسُرْعةٌ ... وسَهْمٌ خَطِلٌ : يَعْجلُ فَيَذْهَبُ يميناً لا يَقْصِدُ قَصْدَ الهَدَف . والخَطَلُ : الطُّولُ والاضطِّراب (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٠٢) .

(٤) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ١٤٩ /الوافر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

جاءَ الـــرّسولُ مُبشِّراً بزيـــارةٍ　　　من بعـدِ طولِ تهجـرٍ وتـــغضّبِ

وبكفّـــه تُفّاحـــةٌ قد مُسّكَت　　　آثـارُ عَضّتِهـا كقَـرني عَقـربِ[1]

وقد يكشف التشبيـه عن خيـال واسع ، وعـن قدرة في التقـاط الصور ، والربـط بين المتشابهات منها ، إلا أنه لم يوفق في عقد المقارنة بين الموصوف والصفـة ، فالأول مما تستحسنـه النفس ، وتُقبل على ذكره ، والثاني مما تستقبحه ، وتنفر منه .

فإن صح التصوير هنا بمقياس الخيال،واستقام استخدامه على هذا الشكل فإنه يُرفض بمقياس الذوق السليم .

هذا بالنسبة لشعر الطبيعة ، فإذا تتبعنا الصورة في شعر الخمر نجد أن الشاعر قد أخفق في مواضع منها .

فيشبه حَبابَ الخمر بالأحداق . تُرىٰ ما موقف شارب الخمر إذا مرّ بخاطره هذا الاعتبار للحَبابَ المتجول على سطح كأس الخمـر ؟ ، هل يستطيـع أن يُقبـل عليها ويشربها برغبـةٍ ، ويستسيغ ما بها ؟! .

من المؤكد أن الإجابة بالنفي .

وذلك في وصفه كأس الخمر بأنها ذهبية في لونها ، عليها حَبابَ يشبه الأحداق . يقـول :

فَجـاءَتْ بِهـا في كأسِهـا ذَهبيـةً　　　لها حَدَقٌ لم تَتّصِلْ بِجفـــونِ[2]

---

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٥٨ /الكامل .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٨/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ما أقبح هذا التصوير من شاعر مبدع كابن المعتز !! فهو الذي يملك قدرة عجيبة على اختيار الصور المناسبة ، ويرعىٰ حق الرعاية الروابط والوشائج المعنوية ، وصلات التشابه والاتفاق المادية والمعنوية والنفسية ، ويُوجد للصور جواً عاماً يجعلها خلقاً جديداً وإبداعاً متفوقاً .

كل هذا وابن المعتز ليس شاعراً فحسب ؛ بل هو عالمٌ في البلاغة العربية ومن كبار النقاد للأدب والشعر ؛ فهو لهذا يملك قدرة عالية على إدراك المعاني والاحساس بها وبنبضها المعنوي في كل جسم من التراكيب اللفظية وفي كل نمط من أنماط التصوير الفني .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الباب الثالث

دراسة أسلوب الوصف في شعر عبد الله بن المعتز

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : لغته الشعرية

الفصل الثاني : الصيغة في شعره

الفصل الثالث : موسيقى شعر الوصف وأوزانه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول : لُغَتُه الشِعْرية

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الأول

لغتـــه الشـــعرية

تتميز لغة شعر ابن المعتز بالسهولة والوضوح غالباً . وأسلوبه « اسلوب المحدثين في رقتهم وعذوبتهم ، وجمال صياغاتهم وفي سحر التعبير وروعة التأثير والتصوير ، وفي التجويد والتجديد وخصب الملكة التي تساعد على خصوبة الأداء وفي تمثيله لحياة المحدثين وترفهم ... »[1] .

بالإضافة لما يتسم به أسلوبه من « جمال وبلاغةٍ وعذوبة وسلالة وبساطة يمتاز بها . وهي من أهم خصائص الفن في أسلوب ابن المعتز في شعره »[2] .

وقد يُغرب الشاعر أحياناً في اللغة والألفاظ وخاصة في شعر الصيد . فمن النوع الأول ــ المتسم بالسهولة والوضوح ــ قوله يصف الطبيعة بأرضها المخضرة لسقوط المطر عليها :

النَّـــوْرُ يَضحكُ عن بُكـــاءِ سحـــابِ ... والأرضُ قد كُسِيَتْ صنُـوفَ ثيـــابِ

خُلَـعَ الزَّهــامُ على الرُّبَـــى دِيباجـــةً ... نُسِجتْ بِغيـــرِ أنامـــلِ الأتـــرابِ

وكأنَّمـــا أجفانُهـــا مَسكوبـــةً ... مُقَـلٌ بكتْ لِتفــرُّقِ الأحبَـــابِ[3]

ومن النوع الثاني ــ الذي يبدو فيه الإغراب ــ قوله يصف البازِّي والفَرس :

---

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كِتَـاب ابـنْ المُعْتَـز وتُرَاثِـه في الأدَب والنَّقْـد والبَيَــان ، ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٠٨/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

رُعنا الوحوشَ بابنِ شدٍّ مُدْمَجِ ... أشعرَ مَلْزوزِ القَرَى والمَنْسِجِ

قد خاضَ تحجيلاً ولم يُلجَّجِ ... كالخَودِ في جلبابِها المُضرَّجِ

رَمَتْ إلى مِعصمِها بالدُّمْلُجِ ... ذِي غُرَّةٍ مثلِ الصباحِ الأبلجِ(١)

وقد ألمح الدكتور طه حسين إلى أسلوب ابن المعتز ، وبساطة تناوله للمظاهر العامة من حوله يقول : « فأجمل ما فيه أنه برىء كل البراءة من التكلف ، لم يبحث عن لفظ غريب ، ولم يتكلف معنى غريباً ، وإنما هو يأخذ الأشياء التي حوله ، فيعبر عنها بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعاً »(٢) هذا هو أسلوب الشاعر في وصف الطبيعة والخمر — غالباً — . وقد يستخدم الغريب في الصيد والطرد ؛ فهذا الغرض يحتم على الشاعر أن يختار لغة خشنة ، يتخللها الكثير أو القليل من الغريب .

وقد تحدث عن لغة ابن المعتز العباسي في الشعر ، واختلافها بين السهولة والوضوح والرقة ، ثم الخشونة والقوة أبو الفرج الأصفهاني فقال : « وشعرهُ وإن كان فيه رِقةُ الملوكيّة وغَزَلُ الظرفاء ، وهَلْهَلةُ المُحْدثين ، فإن فيه أشياءَ كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدَى السابقين ، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك من جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهليّة ... أنْ يَعْدِل بذلك مما يُشْبِهُ من الكلام السَّبْط الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَنْ حضَر ، إلى جَعْد الكلام ووَحْشِيه وإلى وصف البِيد والمَهامِهِ والظَّبْي والظَّلِيم والناقة والجمل والديار والقِفاز والمنازل الخالية المهجورة »(٣) .

ومما يُلاحظ على شعر ابن المعتز أيضاً أنه مع فصاحة لغته ، فقد تخللتها بعض الألفاظ

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرّائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ — ٤٢٧/الرجز .
انظر دراسة هذه الأبيات ص ٩٩ـ ١٠٠ من هذا البحث .

(٢) من كتاب حديث الشعر والنثر ، الطبعة الحادية عشرة ، الناشر دار المعارف بمصر ص ١٧٠ .

(٣) كتاب الأغاني ، المجلد العاشر ، ص ٢٧٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الأعجمية كالآذريون[١] ، والنيروز[٢]، والدستنبد ، والدستبندات[٣] في مثل قوله :

وَحمَّـــلَ آذَرْيُونـــةً فوق أُذْنـــهِ ... كَكـأسِ عقيـــق في قرارتها مِسْكُ[٤]

وقـــوله :

دارَكَ الـــــنّيروزُ في أطـــــيبِ أوقـــــاتِ الزمـــــانِ

فَالْـقَـــهُ بالـــراح والـــرو ... ح وَتَضريبِ القِيـــانِ[٥]

وقـــوله :

وَدِنـــانٍ كمِثـــلِ صَفِّ رِجـــالٍ ... قد أُقيمـوا لِيَـرقُصوا دَسْتَبَنْـــدَا[٦]

وقوله أيضـكا :

قد ظهـــرَ الجِـــنُّ بالنهارِ لنـــا ... مِنْهُـمْ صُفُـــوفٌ ودَسْتَبِنْـــداتُ[٧]

---

(١) راجع معنى آذريون ص ٥٣ من هذا البحث .

(٢) (النَّوْرُوزُ ، أو النَّيْرُوزُ) [بالفارسية] :
اليوم الجديد ، وهو أوّل يومٍ من السنة الشمسيّة الإيرانيّة ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية . وعيد (النَّوروز ، أو النَّيروز) : أكبر الأعياد القومية للفرس . (المعجم الوسيط جـ ٢ ، ٩٦٢) .

(٣) (الدَّسْتُ) : اللّباس . وصدر المجلس ودَسْتُ الوزارة : منصبها . والغُلبةُ . ويقال : فلان حَسَنُ الدّستِ : شِطْرَنْجيّ ما هر . والغلبة في الشطرنج ونحوه . ودست القمار (كان في اصطلاح الجاهلية) : إذا خاب قِدْح أحدهم ولم يَنل ما رامه قيل : تمّ عليه الدّست (المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٣/الطويل .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٧/مجزوء الرمل .

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٣/الخفيف .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥١٥/المنسرح .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ثم لمحات تدل على معرفة له بالنجوم ، وبعض أحوالها : ومن ذلك قوله يصف وَقْدَة سُهيل :

أدامَ أيلولُ لنا وَقدَةً جَرَّعَنا منه الأمَرِّينا
يَريدُ أنْ يُبدِي لنا كوكباً نَحساً بَطيءَ السيرِ مَلعونا
قلْ رستِ أيلولَ فكمْ ذا الأذى يِضي سُهيلاً وأريحينا[1]

وقد يَكثر التكرار عند ابن المعتز في الإلفاظ « وجاء هذا التكرار على ثلاثة أنواع :

الأول : تكرار اللفظة مرتين بالتعاقب ، وهو تكرار لطيف ، ولعله كان يتوخى منه التوكيد والتنفيس عما يكابده من آلام وانفعالات[2] :

ومن ذلك قوله بتكرار لفظ غرة في قوله :

كأنَّها حينَ مَجَّتْ في الكأسِ رِيقةَ خَمرَه
أمٌّ تَعاهدُ فَرْخا بِغَرَّةٍ بعدَ غرَّه[3]

وقوله يُكرر لفظ يوم ، ورَوْح :

إسقِياني فاليومَ يومُ صَبوحِ وَدَعاني من تُرَّهاتِ النَّصيحِ
واسقِياني رُوحَ العصيرِ فما اللـ ـذَّةُ إلّا اعتناقُ روحٍ بروحِ

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٤٦/السريع .
(٢) المصدر السابق ، القسم الثاني ، الدراسة ص ٣٠٧
(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٠/المجتث .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

من كُميتٍ كأنَّها نِعَمُ اللّـ ـهِ تَوالتْ بطيبِ طَعْمٍ وريج[1]

وقوله في الصقر :

يا رُبَّ ليلٍ كَجناحِ الناعقِ سَريْتُهُ بِفتيةٍ بَطارِقِ
تَنتابُ صيداً لم يُرَعْ بطارقِ بِأجدلٍ يَلقَنُ نُطقَ الناطقِ[2]

وقوله :

أَقبلْنَ في رَأْدِ الضحاءِ بها فسترْنَ وجهَ الشمسِ بالشمسِ[3]

« والثاني تكرار في إعجاز الأبيات لبعض ما في صُدورها »[4] .

من مثل قوله :

غَادِ شُرْبَ الراحِ مُصْطَبِحا لا تَدَعْ من كَفِّكَ القَدَحا
إنَّما عُمْرُ الفَتى فَرَحٌ فاغتَنِمْ من عُمْرِكَ الفَرَحا[5]

وقوله :

إِكسِرْ بمائِكَ حِدَّةَ الصَّهباءِ فإذا رأيتَ خضوعَها للماءِ[6]

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٨ ، ٧٩/الخفيف .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٦٨/ الرجز .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٥/الكامل .
(٤) المصدر السابق ، قسم الدراسة ص ٣٠٨ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٨٣/المديد .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٠/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فاجِـنْ يديكَ عن التـي خُلِـقتْ لها   نفسٌ تُشاكِـلُ أنـفُسَ الأحيـاءِ

وقولـه :

أمـا تَرَى اليـومَ في سَحائبـهِ   قد ضَحِكَ البرقُ في جَوانبِـهِ

وانهلَّ دمـعُ السمـاءِ مُمتثـلاً   دَمـعَ مُحبٌّ بَكـى لِغائبِـهِ

ولـيسَ في الـدُّنْ غيـرُ قُوتِ فَتـىً   يَعجـزُ عن بعضِ قُوتِ صاحِبِـهِ[1]

« والثالث : تكرار الألفاظ (العبارات) والمعاني في أكثر من مرة ولعل سببه إعجاب الشاعر بالمعنى الذي يولده ، فيحوله إعادته وتكراره ، وكأني به يجد في هذه الإعادة ترسيخاً لهذا المعنى ، ولذة نفسية »[2] انتهى .

ومن ذلك تقديمه لكثير من قصائد في شعر الصيد والطرد بقوله :« وقد اغتدى » ثم يغاير ما بعدها ومنها :

قوله في قصيدة له في وصف البازيّ :

قد اغتـدي على الجيـادِ الضُّمَّـرِ   والصبـحُ في طُرَّةِ ليـلِ مُسْفِـرِ[3]

وفي وصف الكلاب يقدم بقوله :

قد اغتـدِي في صُبـحِ ليـلِ فاشِي   بِيُـوزَجٍ رَبـيبِ بيتٍ ناشِي[4]

وفي تقديمه لوصف الصقر والكلب يقول :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٨/المنسرح .
(٢) المصدر السابق ، قسم الدراسة ، ص ٣٠٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤٠/الرجز .
(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٠/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

قد اغتدي والفجرُ مُستعجِلٌ ليلاً بِقَرْنِ الصبح مَطعونا[١]

ومن التكرار في المعاني أيضاً قوله في موضعين في حديثه عن الخمر ووصفها :

اِسقِياني واعمَلا طَرَبَا وأديرا الكأسَ وانتخِبا[٢]

وأيضاً في موضع آخر :

أدِرِ الكأسَ علينا أيُّها الساقي لِنَطرَبْ[٣]

وعن بكاء السماء مطراً يسقي الأرض يتناول المعنى في أكثر من موضع . يقول :

لي بُكاءٌ وللسحاب بكاءُ فَدموعي هوىً وذاك هَواءُ[٤]

وقوله أيضاً :

النورُ يَضحكُ عن بُكاءِ سحابِ والأَرضُ قد كُسِيَتْ صُنوفَ ثيابِ[٥]

ومن تكرار المعاني تشبيهه للثُّرَيّا في أكثر من موضع بالعنقود . يقول :

يَتلو الثُّرَيَّا كَفاغِرِ شَرِهٍ يَفتَحُ فاهُ لِأَكل عُنقودِ[٦]

وقوله في موضع آخر :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٨/السريع .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤/المديد .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٩٣/الخفيف .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٠٨/الكامل .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٠٠/المنسرح .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

زارني والدُّجى أحَمُّ الحَواشي ... والثُّريّا في الغربِ كالعُنقودِ[(١)]

ومن تكرار المعاني أيضاً وصفه للنرجس في موضعين من الديوان يقول في الأول منهما :

عيونٌ كَساها الغيثُ ثوباً من البَها ... فأجفانُها بِيضٌ وأحداقُها صُفرُ[(٢)]

وقوله في الموضع الثاني :

عيون لُجَيْنٍ فوقَها حَدَقٌ صُفرُ ... يُزَيِّنُها من تحتِها عمَدٌ خُضرُ[(٣)]

وغير ذلك من استخدام ابن المعتز للقهوة اسم للخمر في أكثر من موضع ، مع كثرة أسمائها ، وتشبيهه النجوم بالنَّور أيضاً في أكثر من بيت في ديوانه حتى أصبحت هذه الألفاظ والمعاني تُذكر له أكثر ممّا تُذكر لغيره ، وإن كانت قد وردت عند آخرين قبله وبعده .

ومع اطمئناني لتعليل الدكتور السامرائي لظاهرة تكرار الألفاظ ، والمعاني في مواضع عدة من شعر ابن المعتز ، إلا أنني أُضيف إلى قوله : أن هذه الألفاظ والمعاني ربما كانت مما يدور كثيراً بخاطر الشاعر ، واستدعاؤه لها مرّة لم يُفْقِدْهُ إحساسه بها ، وظلتْ تُلحُّ عليه ، وتظهر في أكثر من موضع في شعره .

إلا إنه — عبد الله بن المعتز — لم يكرر نفسه ، فلا يصادفنا ذلك التكرار في الألفاظ والمعاني من خلال ضعف العاطفة ، أو ضعف التناول ؛ بل نجده مع كل تكرار ، الشاعر الذي أحسَّ بالمعنى ، وأجاله في نفسه ، وحمَّله اللفظ المناسب .

ولم يرَ التكرار عيباً في الشعر يؤخذ على الشاعر أو يحاسب عليه كما يحاسب من يفرط في البديع إلى أن يفسد المعنى ، إلى غير ذلك من المآخذ التي تُؤخذ على الشعراء في عصره

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٦/الخفيف .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠١/الطويل .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٢/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وغير عصر من مثل ما أورده المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح[١] ، أو مما أخذ ابن المعتز على أبي تمام[٢] .

* * *

(١) ومن هذه المآخذ مسائل لغوية وعروضية ونحوية وبلاغية ونقدية . ومن المسائل البلاغية والنقدية : التناقض ، الكذب في الشعر ، التكلف ، الاستعارة القبيحة ، الخطأ في الوصف ، المبالغة ، فساد التقسيم ، فساد المقابلات ، التشبيهات البعيدة (الغلو) ، وضع الشيء في غير موضعه ، مخالفة العرف ، الإخلال ، زيادة ما يفسد المعنى ، المطابقة غير الحسنة ، البديع المقيت ، الألفاظ السخيفة ، الإكثار من الغريب ... إلخ .

(٢) أورد المَرْزُباني رسالة ابن المعتز في أبي تمام قال : « قال عبد الله بن المعتز في رسالة نبَّه [فيها] على محاسن شعر أبي تمام ومساويه : ربما رأيت في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً بيّناً ، فأعلم أنه أوكدُ أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته في الشعر لما يدعوه إليه اللّجاج ؛ فأما قولنا فيه فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأنّ شعره قوله :

إنْ كان وجْهُكَ لي تَتْرَى محاسِنُهُ ... فإنّ فعلكَ بي تَتْرَى مساويه

(الموشح ، ص ٤٧٠) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني : الصيغة في شعره

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفَصل الثَاني

الصِيغَة في شِعْره

بعد دراستنا للغة الشعر عند عبد الله بن المعتز ، ثم مدىٰ دلالتها على المعاني يجدر بنا أن نتناول بلاغة أسلوب الشاعر على أساس المعايير البلاغية القديمة والاحتكام إليها .

ومناسبة الاحتكام إلى المعايير القديمة في بلاغة الأسلوب العربي ، هو أن شاعرنا عبد الله ابن المعتز العالم الأول في البلاغة العربية ، وأول من قنّنها ، وعرَّف بقواعدها ، وجمع الشواهد على ذلك من الكتاب والسنة ، والشعر العربي القديم ، وعرض ذلك كله في كتابه البديع[1]

وقد عاصر ابن المعتز العباسي قضية كبرى في عصره ، شغلت البلاغة والنقد العربي في العصر العباسي ، وهي قضية القديم والجديد ، « ويكاد يكون البديع محور هذه القضية ، وقد عاب شاعرنا على أبي تمام إغراقه في بديعياته وتكديسها »[2] وهذا لا يعني أن شعره ــ ابن المعتز ــ خلا من البديع ولكنه جاء مطبوعاً إلى حد كبير ، ولم يكثر منه الشاعر ، الكثرة التي تَطغَى على الأسلوب ، وتميل به إلى التكلف أو التعقيد المعنوي .

وقد لاحظ ابن رشيق القيرواني سمة البديع ، الذي ورد دون تكلّف ومغالاة في شعر

---

(١) أورد فيه عبد الله بن المعتز علوم البلاغة مرتبة فكانت الاستعارة والاعتراض والاعنات والافراط في الصفة ، والالتفات ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والتجنيس ، والتشبيه ، والتعريض ، والتعقيد ، وحسن الأبتدآت ، وحسن التضمين ، وحسن الخروج والرجوع ، ورد الاعجاز على الصدر ، والكناية ، ومحاسن الكلام ، ومذهب كلامي ، ومرسل من الكلام ، والمطابقة ، والهزل يُراد به الجدُّ ، (كتاب البديع ، نشره أغناطيوس كراتشفوفسنكي) .
انظر دراسة مستفيضة لكتاب البديع أهميته ومصادره وشرح أبوابه ثم أثره ، في كتاب ابن المعتز للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ٥٩٦ ــ ٦٠٩ .

(٢) الدكتور سعد إسماعيل شلبي ،كتاب ابن المعتز العباسي صُورة لعصره ، ص ٢٦٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

عبد الله بن المعتز فقال في باب « المطبوع والمصنوع » : « وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعته خفية لطيفة ، لاتكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي ألطف أصحابه شعراً ، وأكثرهم بديعاً وافتناناً ، وأقربهم قوافي وأوزاناً »[١].

ولدراسة أسلوب ابن المعتز ، بإستخراج ألوان البديع من طباق[٢] ، ومقابلة[٣] ، وجناس[٤] ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم[٥] .

ومن خلال دراستي لأسلوب الوصف في شعر ابن المعتز ظفرت بكثرة وافرة من الأمثلة والنماذج في الطباق . « وهو يشيع في شعر ابن المعتز شيوعاً ظاهراً ، ويغلب عليه اللطف

---

(١) كتاب العمدة : جـ ١ ، ص ١٣٠ .

(٢) الطباق : هو الجمع بين لفظين مُقَابلين في المعنى . وهما قد يكونان إسمين .. أو فعلين .. أو حرفين .. فيكون تقابل المعنيين وتخلفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة . (ويسمى بالمطابقة .. وبالتضاد .. وبالتطبيق .. وبالتكافؤ .. وبالتطابق) وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتنافى وجود معناهما معاً في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل : تقابل الضدين ، أو النقيضين ، أو الإيجاب والسلب . أو التضايف .
(السيد المرحوم أحمد الهاشمي ، كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . الطبعة الثانية عشرة ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، ص ٣٦٦ ،٣٦٧ .

(٣) المقابلة : هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو مَعان متوافقة ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب . (المصدر السابق ، ص ٣٦٧) .

(٤) الجناس : هو تشابه لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى ، وهو ينقسم إلى نوعين : لفظي ومعنوي .
(وتلخيص القول في الجناس : أنه نوعان تام وغير تام — فالتام ، هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة : نوع الحروف . وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات . وعددها . وترتيبها . وغير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة كقول الله تعالى : ﴿ **والتَفَّت السَاق بالسَاق إلى رَبِّك يَومَئذ المَسَاق** ﴾) (المرجع السابق ، ص ٣٩٦ — ٣٩٧) .

(٥) وهو نوعان : الأول : أن يستثنى من صفة ذمٍ منفية عن الشيء ، صفة مدح بتقدير دخولها فيه .
والثاني : أن يُثبت لشيء صفة مدح ، ثم يؤتي بعدها بأداة استثناء تليها صفة أخرى (المرجع السابق ، ص ٣٨١) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

والسهولة والبراعة ، والأمثلة عليه أكثر من أن يمثل لها »[١].

ومن ذلك قوله في النخل ونبيده :

يَمِلْـــن أغصانـــاً مهفهفـــات مُلاقِيـــاتٍ ومفارِقـــاتِ
بالريح تَعصِي وبهـــــــا تُؤاتي[٢]

وفي مقدمة لإحدى خمرياته يقول :

هوىً باطـــنٌ فوقَ الهوى لَجَّ دَاؤه وأعيا على العُـذَّال في السِّرِّ والجَهْـرِ[٣]

وقال في وصف المطر :

ومُزنـــةٍ جادَ من أجفانِهـــا المطـــرُ فالـــروضُ مُنتظِـــمٌ والقَطْـــرُ مُنتثِـــرُ
تَرَى مواقعَهـــا في الأرضِ لائحـــةً مثـــلَ الدراهـــمِ تَبـــدو ثُمَّ تَستَتِـــرُ[٤]

وقال في وصف سحابة :

باكيـــــــةٌ تَضحكُ عن بُروقِ سَرتْ بجيبٍ في الدُّجـــى مَشْقُـــوقِ[٥]

ومن شعر الصيد قوله في مخطيء الرماة بالبندق :

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الثاني ، الدراسة ، ص ٣١١ .
(٢) المصدر السابق ، القسم الأول ، الجزء الثاني ، ص ٥٢٣/الرجز .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥/الطويل .
(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٥/البسيط .
(٥) المصدر السابق ، ص ٦٢٠/الرجز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

يا ناصرَ اليـــأسِ على الرجـــاءِ رَمَـــيتَ بالأرض إلى السمـــاءِ

ولم تُصِبْ شيئـــاً سِوى الهواءِ فَحسبُنـــا مِن كثرةِ العنـــاء[1]

وقوله في مقدمة لوصف الصقر والكلب :

قد اغتـدِي والفجـرُ مُستعجِـلٌ ليـلاً بِقَـرْنِ الصبـح مَطعونـا

بِسالكـاتٍ سُبُـلَ ألحاظِهـا بيـنَ سَمـاواتٍ وأرضِينـا[2]

وفي وصف الخمر يقول :

يَصوغُ عليها الماءُ شُبَّـاكَ فِضَّةٍ لها حَلَـقٌ بِيضٌ تُحَـلُّ وَتُعْقَـدُ[3]

وقوله أيضاً :

وليلـةٍ أُحييتُهـا بالـراح مُحْسنـةٍ مُسيئـةِ الصَّبـاح[4]

وقولـه :

أُسكنوهـا في الـدَّنِّ مُذْ عَهـدُ نوحٍ كَظـلامٍ فيـه نهـارٌ حَبـيس[5]

وقولـه :

جَرَتْ حَرَكاتُ الدهـرِ فوقَ سُكونِهـا فَذابَتْ كَذوْبِ التِبر أخلَصَه السَّبكُ[6]

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ٤٠٩/السريع .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٨/السريع .
(٣) المصدر السابق ، ص ٩٨/الطويل .
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٧/الرجز .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٥٦/الخفيف .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢/الطويل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وقولـــه :

وَردَتْ علينا الشمسُ تَرفُلُ في الدُّجَى ... فكانَ لِسِتْرِ الليـلِ من نُورهـا هَتْكُ

إذا سَكَـنَتْ قلبـاً تَرحَّـلَ هَمُّـهُ ... وَطَـابَتْ له دُنيـاهُ واتَّسَعَ الضَّنْكُ[1]

وقد يجمع في البيت الواحد أكثر من لفظين متضادين ، فينفصل شطر البيت بتضاد ، وشطره الآخر بآخر :

ومن ذلك وصفه للندى على الأزهار يقول :

فُرسانُ قَطْـرٍ على خَيـلٍ من الزَّهَـرِ ... تحثهـنَّ سِيـاطُ الريـحِ في السَّحَـرِ

ما شئتَ من حَرَكاتٍ وهـي واقفـةٌ ... تَخالُهـا سائـراتٍ وهـي لم تَسِرِ[2]

وقوله في وصف (حمار) :

هذا الحمـــارُ من الحمير حمارُ ... ناحتْ عليـه حِلْيـةٌ وعِـذارُ

وكـأنَّمَّا الحرَكاتُ منـه سواكـنٌ ... وكـأنَّما إقبالُـهُ إدبـارُ[3]

ومع الوفرة في أمثلة المطابقة في شعر عبد الله بن المعتز ، لا أجد إلا القليل من المقابلة بين الألفاظ والمعاني في شعره ، وربما كان ذلك لأن الشاعر لو اشتغل بها لانشغل عن المعنى وهو الأصل ، ولمال إلى الصنعة ، ولوقع فيما وقع فيه غيره من الشعراء الذين أفسدوا الشعر بانشغالهم بألوان البديع .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم ج٢، ص ، ٦٩٣-٦٩٤ /الطويل.

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٧٤/البسيط .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٨٣/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والمقابلة في شعر ابن المعتز — كما ذكرت سابقاً — تأتي بطريقتين :

الأولى : حين يقابل بين الألفاظ على الترتيب فتكون المقابلة لفظية.

ومن ذلك قوله يصف الربيع :

أَمَا تَرَى الأَرضَ قد أَعطتْكَ زَهرتَها ... مُخضَرَّةً واكتسَى بالنُّورِ عارِيها

فَلِلسماءِ بكاءٌ في حدائِقِها ... ولِلرياضِ ابتسامٌ في نواحيها(١)

وقوله في حديثه عن الخمر :

فَبادِرْ بأيَّامِ السُّرورِ فإنَّها ... سِراعٌ وأيامُ الهُمومِ بطِاءُ(٢)

وقوله :

أدرِ الكأسَ علينا ... أيُّها الساقِي لِنَطرَبْ

ما تَرَى الليلَ تولَّى ... وضياءُ الصبحِ يَقْرُبْ

والثُّريَّا مثلُ كأسٍ ... حين يبدو ثُمَّ يَغْرُبْ

فكأنَّ الشرقَ ساقٍ ... وكأنَّ الغربَ يَشْرَبْ(٣)

وقوله :

لا تَدعُني لِصبوحٍ ... إنَّ الغَبوقَ حَبيبي

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الجزء الثاني ، ص ٦٥٤/البسيط .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤/الطويل .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالليـــــلُ لَونُ شَبـــــابي   والصبـــــحُ لونُ مَشِيبـــــي[١]

وقولـه :

وَزنّـــا لها ذَهبـــاً جامـــــداً   فكـــالتْ لنـــا ذهبـــاً سائِـــلاً[٢]

والثانيـة : حين يقابـل بين الألفـاظ لا على الترتيب ، فيكـون التقابـل في المعنـى وكأنّـه يُواز في المعنى بين شطري البيت الواحد .

ومن ذلك قوله في مقدمة لوصف الصقر والكلب :

تُقاسمُهـــا قبضَ النفـــوسِ أجـــادلٌ   فَفـي الأرضِ نهّاشٌ وفي الجوِّ خاطـــف

كأنَّ دِلاءً في السمـــاءِ تحطُّهـــا   وتَـبـرقَي بها أيـــدٍ سراعٌ غوارِفُ[٣]

ومن وصفه لأثر الخمر على شاربها قوله :

تُصبـحُ غَنيّـــاً من السرورِ وَمـــن   عقـــلكَ تُمسي من المَفالـــيسِ[٤]

والجناس أيضاً قليل الورود في شعر ابـن المعتز ، ويـأتي حين يتـأتى به مطبوعاً غير متكلـف ومن الأول منه وهـو التام ، قولـه في الـوصف أورده الدكتـور السامرائي فيـه ، وذكـر أنـه من فن الغزل :

ولقـــــد رأيتُ الشمسَ طالعـــــةً   تختــــــالُ بين كواكـبٍ خمْسِ

أقبلْـــــنَ في رَأدِ الضحـــــاء بها   فسـتـرْنَ وجــهَ الشمس بالشمسِ[٥]

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الثاني ج٢ ص ٤٢/المجتث .
(٢) المصـدر السـابق ، ص ٢٠١/المتقارب .
(٣) المصـدر السـابق ، ص ٤٦٣/الطويل .
(٤) المصـدر السـابق ، ص ١٥٤/المنسرح .
(٥) المصـدر السـابق ، ص ٦٠٥/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقال في الاعتذار، وقد أورده الدكتور السامرائي في باب الأوصاف والملح :

طَبعِي كطبعِ المُشتري ما فيهِ من ... شَوْبٍ فهل من مُشتَرٍ لِلمُشتَري[1]

ومن الثاني وهو الجناس الناقص :

وقد أورد الدكتور السامرائي في باب الأوصاف والملح وصف ابن المعتز لمغنية وقد جانس بين لفظي غنت فأغنت يقول :

ومُخطَفَةٍ غُصنيةٍ رَشَأيَّةٍ ... تَرَى العينُ فيها كلَّ شيءٍ تَمَنَّتِ[2]

أسيلةِ مَجرَى الدمعِ خَوْدٍ غَريرةٍ ... كأنَّ بخدَّيها شموساً تجلَّتِ

كأنَّ القَماريَ والبلابلَ غَرَّدَتْ ... لدى العُودِ في أصواتها حين غَنَّتِ[3]

فأومت إلى قبضِ النفوسِ بِطرفِها ... وقالتْ : أَطَعْنا ثُمَّ غَنَّتْ فأغنتِ[4]

وقوله في التحذير من الدنيا وزخرفها وقد جانس بين غُرر، وغَرَرٍ :

يا مَنْ تَبجَّجَ بالدُّنيا وزُخرفِها ! ... كُنْ من صُروفِ لياليها على حَذَرِ

ولا يَغرَّنْكَ عَيشٌ إنْ صفا وعفا ... فالمرءُ من غُرَرِ الأيامِ في غَرَرٍ[5]

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، كتاب شعر ابن المعتز، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي، القسم الأول، الديوان، الجزء الثاني، ص ٥٩٧/الكامل.

(٢) رَشَأيَّةٍ : الرَّشأ على فَعَل بالتحريك : الظَّبيُ إذا قوي وتحرّك ومَشَى مع أُمّه، والجَمْعُ أرشاءٌ. والرَّشأُ أيضاً : شَجَرَةٌ تسمو فوق القامة وَرَقُها كوَرَقِ الخِرْوَعِ، لا ثَمَرَ لها ولا يأكُلُها شيْء. (والمعنى الأول الظبي هو المراد عند الشاعر) (ابن منظور، معجم لسان العرب، جـ ٣، ص ١٦٤٨).

(٣) القَمارِيُ : القُمْرِيُّ : طائرٌ يُشْبِهُ الحَمامَ القُمْرَ البيضَ. (ابن منظور، معجم لسان العرب، جـ ٥، ص ٣٧٣٧).

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، كتاب شعر ابن المعتز، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي، القسم الأول، الديوان، الجزء الثاني، ص ٥٢٣ — ٥٠٤/الطويل.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٩٤/البسيط.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقوله في وصف الخمر وقد جانس بين راح وأرواح .

طافَتْ علينا بماءِ المُزْن والراحِ ... مَعشوقةٌ مزَجَتْ راحاً بأرواحِ[1]

وتأكيد المدح بما يشبه الذم يَرِدُ بنُدْرة في شعر ابن المعتز في الوصف .

ومن ذلك قوله في وصف الباشق :

يا كفُّ ما خُبِّبتِ إذ غَدوتِ ... بِباشقٍ يُعطيكِ ما ابتغَيْتِ

لا يَتَّقيهِ هاربٌ بِفوتِ ... سَهمٌ مُصيبٌ كلَّما رَمَيتِ

مُؤدَّبٌ يُسرِعُ إنْ دَعوتِ ... لا عيبَ فيه غيرُ عِشقِ الموتِ[2]

وقال في وصف قدح الخمر :

من كلِّ جسم كأنهُ عَرَضٌ ... يكادُ لُطفاً باللحظِ يُنتَهَبُ

نُورٌ وإنْ لم يَغِبْ وَوهمٌ إذا ... صَحَّ وماءٌ لو كان يَنسكِبُ

لا عيبَ فيهِ سِوى إذاعتِهِ ... سرَّ الذي في حَشاهُ يَحتَجِبُ[3]

والناظر في شعر ابن المعتز يلاحظ بساطة الأسلوب ، وسهولته ووضوحه ثم دلالته على المعنى دلالة مباشرة ــ ماعدا بعض المواضع التي اقتضت منه إغراباً ــ ومع ذلك يظهر في بعض شعر الوصف أبيات عُني الشاعر بحسن تقسيم الألفاظ والمعاني ، تقسيماً يُرتب المعنى ، ويُصدر عنه موسيقى لفظية يحلو معها تذوق المعنى ، ويُؤثِّر في النفس .

---

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٤/البسيط .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٤/الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٦/المنسرح .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن ذلك قوله في وصف الطبيعة :

لي بُكـــاءٌ وللسحـــابِ بكـــاءُ ... فَدموعـــــي هوىً وذاك هَواءُ

نحنُ في الحالتيـــنِ شَتَّـــى وفيمـــا ... قد بدا لِلعيـــونِ مِنَّـــا سَواءُ

يا جفـون السحـاب دمـعُكِ يَفنَـى ... عن قليـل ومـا لدمعـي فنـاءُ

أنـا أبكـي طَوعـاً وتبـكينَ كرهـاً ... ودموعـي دمٌ ودمـعُكِ ماءُ[1]

وفي وصف النرجس يقسم البيت الثاني ، حيث يُنهي كل قسم بلونٍ تتكون منه الزهـرة يقول :

عيـونٌ إذا عاينتَهـا فكأنمَّـا ... مَدامِعُهـا من فوقِ أجفانِهـا دُرُ

محاجرُهـا بيضٌ وأحداقُهـا صُفـرٌ ... وأجسامُها خضرٌ وأنفاسُهـا عِطـرُ[2]

وقوله في وصف الخمر :

فكأنَّهـا شمسٌ وكـفُّ مُديرهـا ... فيها ضحـىً وفَـمُ النديـمِ أصيـلُ[3]

وهذه وقفة قصيرة أمام بلاغة أسلوب ابن المعتز ، بعد أن نال نصيباً من الدراسة المتفرقة في صفحات وسطور الفصول السابقة ، إذ أن الدراسة الفنية لشعر الوصف استدعت الحديث عن الأسلوب في موضعه ؛ لتتم الدراسة على الصورة الصحيحة ما أمكن ذلك .

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٩٣/الخفيف .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٨/الطويل .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢١/الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثالث: موسيقى شعر الوصف وأوزانه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفَصل الثَالث

موسِيقَىٰ الشعر وأَوزَانِه

يختار ابن المعتز ألفاظه إختياراً مُتْقناً ، وينسقُّها لتؤدي المعاني أَداءً دقيقاً مناسباً ، ويطوّعها لترسم الجمال ، وتنقل الحركة ، وتحدد معالم الشكل والنفس وخطراتها .

وشعر ابن المعتز كيانٌ مُتماسك ، له نصيب وافر من القديم بخصائصه الفنية والمعنوية والأسلوبية ، ونصيب أوفر من الحديث برونقه ، وبهائه ودقة أساليبه ، وظلاله المعنوية الوارفة على شعره ؛ فجاء شعره مزيجاً رائعاً رائقاً من المعاني والصور والأساليب والأخيلة البديعة ، التي تضع بين أيدينا نموذجاً يُمثل صدى للصراع بين القديم والجديد وآثاره في الشعر العَربي العَباسي .

وتأثره بالمحدثين من شعراء عصره ، ثم بالحضارة والترف والبيئة كان لها جميعاً أثرٌ بعيد على أسلوبه فهو : « رقيق الحاشية لطيف الصَوغ ، سمح الأسلوب ، يمثل مدرسة المحدثين الأدبية وذوقهم الفني وملكاتهم التي تأثرت بالبيئة والحضارة ، والترف ، ومثلت هذه الحياة في فنها تمثيلاً صحيحاً ، ونأتْ عن التقليد للقدماء في وحشية الأسلوب وغرابته ، وما كان لابن المعتز وهو حضري تتمثل أمامه الحضارة أن ينأى عن الرقة والعذوبة والحلاوة بعد أن سرىٰ ذلك في نفسه وخُلقه وطباعه ، من أثر الحياة والعيش والبيئة والعصر »[1] .

وقد تصدر الموسيقى من تكرار بعض الألفاظ من مثل قوله :

لمَّا رأوها وَعَلَوْنا نَشزا ... هَزَّ جناحيهِ إليها هَزَّا

كما هَززتَ النَّيزكَ المُرتَزَّا ... يَحُزُّ أعناقَ الرياحِ حَزَّا

---

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٢٥٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وسامَهـــا قَبضاً ونَقْـــراً وَنَخْـــزا   يَطـــلُبُ في وُوسِهـــنَّ كَنْـــزا[1]

وقد يكون مصدر الموسيقى تقسيم ألفاظ الأبيات تقسيماً موسيقياً ــ كما ذكرت سابقاً ــ ومن ذلك وصفه ليلة خمر يقول :

يا ليلـــــــــةً ما كانَ أطيَبَـــــــــ   ـهـــا سوى قِصَرِ البَقـــاءِ

أحيَيتُهـــــا وأمَتُّهـــــا   وَطَويتُهـــا طيَّ الـــــرِداءِ

حَتَّـــــى رأيتُ الشمسَ تتـــــــ   ـلــو البَـدرَ في أُفُــقِ السمـــاء

فكأنَّـــــهُ وكأنَّهـــــا .   قَد حانِ من خَمرٍ ومـــــــاءِ[2]

ويختلف شعره بين الطول والقصر ، فكثير من شعره مقطوعات لا تبلغ عدد القصيد ، ومع ذلك فهو ممن نظم في المطولات التي تجاوزت المائة بيت .

وفي الطبيعة والخمر أكثر ابن المعتز من النظم على الأوزان الخفيفة ، أما شعر الصيد فهو يتراوح بين البحور الطويلة ، والخفيفة التي تلائم الغناء والترف وموضوعات قصائده ، كمجزوء الرجز ، والمديد ومجزوئه ، والوافر ومجزوئه ، والمنسرح ، ومجزوء الكامل والبسيط ، والسريع ، والمتقارب ، والرمل .

« وكان ابن المعتز يلتزم غالباً في شعره القوافي السهلة ، ومع ذلك نجد له الكثير من القوافي على الجيم والصاد ، والسين والضاد ، والذاي (والقاف) والطاء ، والغين ، مما يصعب

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٧ ــ ٤٤٨/الرجز .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٩٥/مجزوء الكامل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

النظم عليها على القادرين من الشعراء »[١].

ومع أن الرجز من بحور الشعر القوية ، ألا أنَّ الشاعر استطاع أنَّ يصف الطبيعة على هذا البحر في مقدمة أرجوزته في ذم الصبوح ، التي بلغ بها مائة وعشرين بيتاً .

والرجز هو البحر الذي اختاره ابن المعتز للشعر التعليمي أيضاً ، فجاءت أرجوزته التاريخية « وقد ناهزت الأربعمائة بيت لا نجد فيها قلقاً أو تصنعاً ولكن تتوالى الأبيات في سلاسة ويُسْر ، لا نشعر بالتكلف الذي يصادفنا في أمثالها من المطولات »[٢]

وأوزان بحر الرجز كثيرة ، توافق الأغراض والأحوال « فهو بحر طويل لمن أراده سالماً كاملاً ، وهو مجزوء لمن أراد استعماله في غرض ملائم للمجزوء ، وهو مشطور متوسط الطول لمن أراد كذلك ..يمكن استخدامه كأقصر بحر من بحور الشعر وذلك حينما يستعمل منهوكاً كما أصبح نوع منه يتألف من تفعيلةٍ واحدةٍ وهو الذي سَمْوهُ (المقطع) والذي نظم فيه يحيى بن علي بن المنجم[٣] ، وسلم الخاسر[٤] ، وتنوع وزن الرجز هذا هو أحد ثمار التطور والتجديد الذي

---

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٢٩٨ .

(٢) د. سعد اسماعيل شلبي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، صورة لعصره ، الناشر دار الفكر العربي ، ص ٢٨٣ .

(٣) يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم : أديب شاعر مطبوع ، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم افتناناً في علوم العرب والعجم ، جالس الموفق ، والمعتصم وخُص به ، وبالمكتفي من بعده . وهو من شجرة الأدب الناضرة ، وأنجمه الزاهرة ، فاضل الآباء والأجداد ، صنف كتباً كثيرة ، فمن ذلك كتاب « النغم » و « الباهر » وكتاب « الإجماع في الفقه » على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب « المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه » وكتاب « الأوقات » .
أما كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية تممه ابنه « أحمد » وأضاف إليه بضعة شعراء محدثين .
وأخبار يحيى ومحاسنه كثيرة . وكانت ولادته سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وتوفي سنة ثلثمائة رحمه الله تعالى .
(الحافظ البغدادي ، كتاب تَاريخُ بَغْداد ، جـ ١٤ ، ص ٣٠) .
(ابن خَلّكَان ، كتاب وَفَياتُ الأعْيَانِ ، جـ ٦ ، ص ١٩٨ ــ ٢٠١) .
(خير الدين الزِرِكْلي ، الأعْلام ، جـ ٨ ، ص ١٥٧) .

(٤) سَلْم أو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، سُمِّيَ الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، =

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أصاب الرجز فيما بعد ، والذي شمل جوانب عديدة منه »[1].

والرجز من يأتي في كثير من بحور الشعر العربي المعروفة ، أو هو من بحر الرجز فقط أمر يختلف فيه العلماء فـ « بعضهم يرى أن الرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء ، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم وحدائهم ، ومن هؤلاء الأخفش .

وهم بهذا لا يشترطون أن يكون من بحر الرجز ، إنما يعدون القطع القصار المصرعة الشطور رجزاً من أي بحر كانت .

في حين يرى آخرون أنه لا يسمى رجزاً إلا أن يكون من أحد أنواع بحر الرجز المعروفة وابن رشيق القيرواني من هؤلاء »[2] .

وهناك أراجيز جرت على لسان الرسول ﷺ : « المنهوك والمشطور كقوله في رواية البراء أنه رأى النبي ﷺ على بغلة بيضاء يوم حنين يقول :

أنـــا النبـــي لا كذب أنـــا ابـــن عبـــد المطـــلب

= كان منافساً لمروان بن أبي حفصة في مدح الخلفاء والبرامكة ، يُقال إنه مولى أبي بكر الصديق وهو مولى بني تيم بن مرة ، وراوية بشار بن بُرد وتلميذه . وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وأبي العتاهية على وجه الخصوص . وسَلْم أحد المطبوعين المحسنين وكان كثير البدائع والروائع في شعره ، عارفاً بالشعر ونقده . أما فنون شعره فهي الفخر والمدح والهجاء والوصف والأدب والخمر ، وله وصف في الحِصان وله شعر على حرفين (قصير التفاعيل) مدح به الهاديّ أوله :

موسى المَطَـــــــــرْ غَيْث بَكَـــــــــرْ
ثمّ انْهَمَـــــــــرْ ألْـــــوَى المِـــــرَر

توفي سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م .
(ابن المعتز ، كتاب طبقات الشعراء . ذخائر العرب (٢٠) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف بمصر ، ص ٩٩ ــ ١٠٥) .
(ابن خَلّكَان ، كتاب وَفَياتُ الأَعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ ــ ٣٥٢) .
(عمر فَرّوخ ، كتاب تَارِيخُ الأَدَب العربي ، الأَعْصُرُ العَبَاسِيَّة ، الطبعة الثانية ١٩٧٥م . الناشر دار العِلم للملايين ، بيروت ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ــ ١٣٦) .

(١) الأستاذ جمال نجم العبيدي ، كتاب الرجز ، نشأته ، أشهر شعرائه ، عام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩م ، مطبعة الأديب البغدادي ، ص ٥٥ ــ ٥٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ ــ ١٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

والمشطور كقوله في رواية جندب أنه ﷺ دُميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبـــــع دُمـــــيت وفي سبيـــــل الله ما لقـــــيت »[١]

وإن كان قد كثر الرجز في عصر الإسلام فإن نصيبه كان وفيراً في العصر الأموي إذ هناك مَنْ تخصص فيه « وأول من أطاله وجعله كالقصيد هو الأغلب العجلي ، ولا نتقدم في عصر بني أمية حتى لا يتكاثر من يحاكونه ، حتى يَقْصَر بعض الشعراء النابهين حياتهم على تجويده وتحبيره ، وهم في ذلك فريقان :

فريق يجمع بينه وبين القصير ، وفريق لا يجاوزه »[٢] .

وفي عهد الأمويين اشتهر بالرجز قوم أطالوا في قصائده ، وتفننوا في أوزانه أمثال أبي النجم ، وذي الرمة[٣] ، والعجاج ورؤبة .

« فالكثرة الغالبة من الأراجيز التي رُويت لنا تنسب للعصور الإسلامية ، وقد جمع السيد توفيق البكري في كتابه (أراجيز العرب) قدراً منها »[٤].

---

(١) السيد محمد توفيق البكري ، كتاب أراجيز العرب ، ص ٣ .
الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٦هـ .
ملتزم النشر محمد محمود حجاج الكتبي بالأزهر .

(٢) الدكتور شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الأول ، ص ٣٩٥ .

(٣) سيأتي تعريف عنه ص ١٦٥ من هذا البحث .

(٤) الدكتور إبراهيم أنيس ، كتاب موسيقى الشعر ، ص ١٤٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الباب الرابع

موقف العلماء والنقاد والدارسين من شعر الوصف عند عبد الله بن المعتز العباسي

وفيه فصلان

الفصل الأول : موقف العلماء والنقاد والقدامى من شعر الوصف عند ابن المعتز

الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين من شعر الوصف عند ابن المعتز

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول : موقف العلماء والنقاد والقدامى من شعر الوصف عند ابن المعتز

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفَصل الأَول

موقف العُلماء والنقَاد والدَارسين القُدَامى من شِعْر الوَصْف عِنْد ابن المعتز

وبعد عرض الوصف مفهومه وصورته إلى العصر العباسي ، وبعد إتمام الدراسة الفنية النقدية لشعر عبد الله بن المعتز في الوصف وتناول سمات أسلوبه فيه.أصبح من المناسب أن نتعرف على آراء العلماء والنقاد والدارسين في شعر ابن المعتز عامة ثم الوصف خاصة .

قال عنه الصولي في مقدمة ترجمته له في الأوراق : « شاعر مفلِق مُحسِن ، حسن الطبع ، واسع الفكر ، كثير الحفظ والعلم ، يُحسِن في النَظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم ، ومن نشأ في الرواية والسماع ، يكثر في مجلِسِه من حدثنا وأخبرنا »[1] .

وقال أيضاً : وكان أبو العباس أحمد بن يحيى يقدمه ويقول : « هو أشعر أهل زمانه »[2] .

ويقول الصولي أيضاً : وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : « هو أشعر قريش » ، لأنه ليس فيهم من له مثل فنونه « لأنه قال في الخمر ، والطرد ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، ... والمعاتبات ، والزهد ، والأوصاف ، والمراثي ... فأحسن في جميعها ، وهو حسن التشبيه ، مليح الألفاظ ، واسع الفكر »[3] .

وقال عنه المسعودي : « وكان عبد الله بن المعتز أديباً ، بليغاً ، شاعراً ، مطبوعاً ، مجوّداً ،

---

(١) ص ١٠٧ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سَهْلَ اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع للمعاني »[١].

وقال عنه الحُصَري في حديثه عن أدب ابن المعتز : « وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي النهاية في إشراق ديباجَةِ البيان ، والغاية في رقّةِ حاشية اللسان . وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النَّثْر أتى بحلال السحر ، وليس بعد ذي الرُّمَّة[٢] أكثر افتناناً وأكبر تصرّفاً وإحساناً في التشبيه منه »[٣].

وقال عنه ابن الأنباريّ في ترجمته له أيضاً : « وأمّا عَبد الله بن المعتز بالله ، أمير المؤمنين ، فإنّه كان غزيرَ الفضل ، بارعاً في الأدب ، حسن الشعر كثيره »[٤].

وقال ابن رشيق في باب المشاهير من الشعراء عن ابن المعتز : « وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولد ؛ فالجاهلي إمرؤ القيس ، والإسلامي

---

(١) كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الرابع . الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م ، الناشر دار الفكر ، ص ٢٩٣ .

(٢) ذُو الرُّمَّة (٧٧ — ١١٧ هـ = ٦٩٦ — ٧٣٥ م) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مُضَر ، أبو الحارث ، ذو الرمة : شاعر ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بإمرىء القيس وختم بذي الرمة . وكان شديد القِصَر ، دميماً ، يضرب لونه إلى السواد . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين ، وكان مقيماً بالبادية ، يحضر إلى اليمامة ، والبصرة كثيراً . وامتاز بإجادة التشبيه . قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : « ما بال عينك منها الماء ينسكب » لكان أشعر الناس . وقال الأصمعي : لو أدركتُ ذو الرمة لأشرتُ عليه أن يدع كثيراً من شعره ، فكان ذلك خيراً له توفى باصبهان وقيل بالبادية ... (خيرُ الدِّينِ الزِركْلي ، قاموس التراجم الأعْلام ، ج ٥ ، ص ١٢٤) وانظر كذلك ابن قتيبة ، كتاب الشعر والشعراء . الطبعة الأولى ، قسطنطينية ١٢٨٢ هـ الناشر ، عالم الكتب بيروت ص ١٢٦ — ١٢٩ .

(٣) كتاب زَهْوُ الآداب ، وثمر الألباب ، عارضه بمخطوطات القاهرة وحقّقه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي .. الطبعة الثانية فيها زيادة وشرح وتعلق ، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشُركاهُ ، الجزء الأوّل ، ص ١٧٦ .

(٤) كتاب نُزهة الألبَّاءِ ، في طَبَقاتِ الأُدبَاءِ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٢٣٣ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ذو الرمة ، والمَوْلد ابن المعتز ، وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر ... وليس في المولدين أشهر إسماً من الحسن أبي نُوَاس ، ثم حبيب والبحتري ... ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسَن في المولّدِينَ وإمريء القيس في القُدَمَاء ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس »[1] .

هذا الموقف من ابن المعتز بعامة في الشعر ، من حيث إحسانه فيه ، وتفوقه في بعض أغراضه ، أو في أسلوبه ، من استخدامه للبديع أو التشبيه .

أما وصفه الذي برع فيه ؛ فأصبح بين شعراء الوصف المجيدين في العربية ، فقد خاض في هذا الأمر منذ عصر ابن المعتز شاعر آخر ، معاصر له كان يوم أن وُلد ابن المعتز في السادسة والعشرين من عمره ــ تقريباً وهو ابن الرومي (٢٢١ ــ ٣٨٤ هـ) فقد أورد ابن رشيق في كتابه (العمدة)[2] ، وفي باب المعاني المستحدثة قوله :

« يُحكىٰ عن ابن الرومي : أن لائماً لامه ، فقال : لِمَ لا تشبّه تشبيه ابن المعتز ، وأنت أشعر منه ؟ قال (أي ابن الرومي للأئمة) : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في صفة الهلال :

فانظر إليه كزورق من فضةٍ ... قد أثقلتهُ حمولةٌ من عَنْبَرِ

فقال : زدني ، فأنشده :

كأن آذرْيُونَهَا ... والشَّمْسُ فيه كاليَةُ

مَداهن من ذهبٍ ... فيها بقايا غاليةُ

---

(١) كتاب العمده ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) الجزء الثاني ، ص ٢٣٦ : ٢٣٧ .

وانظر القضية في كتاب المُوازَنة بينْ الشُّعَرَاء . للدكتور زَكي مُبَارَك ص ٢٦ ــ ٢٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فصاح (ابن الرومي) : واغَوْثَاه ، يالله ، لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف مَاعُونَ بيته ، لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أيُّ شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفتُ ما أعْرف أين يقع الناس كُلهم منيٌ ؟ هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الغمام :

وقد نَشَرت أيدى السحابَ مَطَارفاً ... على الأرضُ كفاً وهى خُضْر على الأرض

يطرِّزها قوسُ الغمام بأصفر ... على أحمرٍ في أخضر وَسْطَ مُبْيَضٍ

كأذيال خَوْدٍ أقبلتْ في غَلائل ... مُصَبَّغَة والبعضُ أقصرُ من بعض

وقولي في قصيدة في الرقاقة :

ما أنسى لا أنسىٰ خَبّازاً مررت به ... يَدْحو الرقاقة وَشْكَ اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كُرَةً ... وبين رؤيتها زهراءً كالقمر

إلا بمقدار ما تَنْدَاح دائرة ... في صفحة الماء يُرْمىٰ فيه بالحجر

ويعلق ابن رشيق على ذلك بقوله :

« وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي ، فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ، لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه ، وجده في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة الإجادة وعذره — فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز مَلِكٌ قد شغل نفسه بالتشبيه ، فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه ، فيشبه به ما أراد ، وأنا (والكلام لابن الرومي) مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق ؛ أمدحُ هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأُعاتبُ هذا تارة ، وأستعطفُ هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تُبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز » (١) انتهىٰ .

وإذا كان (ابن رشيق) قد أورد هذا الخبر ، ولم يقبل بعلة ابن الرومي في تقصيره في التشبيه عن ابن المعتز الذي غلب عليه ، فهناك من أورده وقد لقي عنده الاستحسان والقبول .

* * *

(١) كتاب العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ : ٢٣٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين من شعر الوصف عند ابن المعتز

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الفصل الثاني

موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين
من شعر الوصف عند ابن المعتز

ومن الذين أوردوا خبر ابن الرومي مع لائمة مع قبولهم واستحسانهم له من الدارسين المعاصرين الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور شوقي ضيف . فيعلق الأستاذ العقاد على القصة بعد أن ذكر طرفاً منها ، فيقول :

وقد تصح هذه القصة ، أو لا تصح ، ولكنها على الحالتين تدل على رأي شائع في التشبيه بين الذين كانوا يتعاطون الأدب في عصر ابن الرومي ، وبين الذين يتعاطونه في هذه الأيام . فلابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ من هذه التي مرّت في القصة ، وأجمل وأنقى في المعنى والديباجة ، ولكنهم لا يختارون له في مقام التحدي والتعجيز إلا هذه الأبيات وأمثالها ، لظنهم أن نفاسة التشبيه إنما تُقاس بنفاسة المشبه به ، وإن الغرض من التشبيه إنما هو مضاهاة أبيض على أبيض ، وأصفر على أصفر ، ومستدير على مستدير ومستطيل على مستطيل ، مما يُرى بالعين ، ولا فضل فيه للشعور ...

فالشاعر الذي يصف النجوم ، ويشبهها بالجواهر،والحلي هو الشاعر غير مدافع ، وهو المثلُ الأعلىٰ في هذه الصناعة ... ثم يليه الشعراء على حسب الأشعار في سوق المشبهات ! وقصارى ما يَطلبه الشاعر من التشبيه أن يثبت لك أنه رأى شيئين من لون واحد وشكل واحد ، كأنك في حاجة إلى مثل ذلك الإثبات الذي لا طائل تحته ، فأما أنه أحسَّ وتخيل وصوّر إحساسه ، وتخيله باللفظ المبين والخواطر الذهنية الواضحة ، فليس ذلك من شأنه ، ولا هو مما يدخل عنده في باب البلاغة والشاعرية .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وهذا خطأ بعيد في فهم الوصف والشعر يخرج بهما عن القدرة النفسية إلى القدرة الآلية التي تحكي المناظر الظاهرة كما تحكيها المصوِّرة الشمسية . فالمسافة عظيمة جداً بين شاعر يصف لك ما رآه كما قد تراه المرآه أو المصوّرة الشمسية ، وشاعر يصف لك ما رآه وشعر به وتخيله وأجاله في روعة وجعله جزءاً من حياته ، وليس يعنيك أن يكون الشاعر صحيح العين مطلعاً على المرئيات المتشابهة ليتصل ما بينك وبينه ، ويقترب وجدانك من وجدانه ، ولكنما يعنيكَ منه أن يكون إنساناً « حياً » يشعر بالدنيا ويزيد حظك من الشعور بها ، وتلك هي مزية ابن الرومي في وصفه وتشبيهه ، ومزيته في شعره كله من أوائل شبابه إلى اليوم الذي مات فيه » انتهى[1] .

والمبالغة واضحة في كلام الأستاذ العقاد ، والتعصب لشاعره ابن الرومي الذي عُنيَ بالحديث عنه كثيراً ظاهر وبارز ، فيمكنه أن يُبرز في شعر ابن الرومي ما يُبرز من مظاهر القوة في الوصف ، دون أن يَحطّ من مرتبة غيره من شعراء الوصف .

وابن المعتز شاعر شهد له بالتفوق والسبق في الوصف والتشبيه عمالقة الفكر والفن ، قديماً وحديثاً . وأولهم ابن رشيق القيرواني .

وقد يظفر العقاد بنماذج قليلة على النمط التصويري الذي ذكره — من المادية وخلو التشبيهات من الاحساس بها — ولكنها قلة لا تجيز له إطلاق الحكم عامة على صور ابن المعتز ، وتشبيهاته .

وفي معرض حديثه عن التأثر والتأثير بين كل منهما (ابن الرومي ، وابن المعتز) لخصّ رأيه في ابن المعتز فقال : « ... لأن ابن المعتز إنما امتاز بين شعراء بغداد في عصره بمزاياه الثلاثة وهي : البديع ، والتوشيح ، والتشبيه بالتحف والنفائس »[2] .

---

(١) عباس محمود العقاد ، كتاب ابن الرومي حياته من شعره . الطبعة السابعة ، ١٩٦٨ م . الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد ، كتاب ابْن الرُّومي ، حياته في شعره ، ص٢٥٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وأوُرِدُ هنا رداً مناسباً على رأي كلٍ من ابن الرومي والعقاد ، يعقّب به الدكتور/محمد بديع شريف على القصة نفسها . يقول :

« ... فإذا صحت هذه الرواية التي لا تخلو من افتعال ، فإنما هي من قِبَل الذين يميلون إلى شعر ابن الرومي ، وكأنهم يقولون : إن خيال ابن المعتز لا يعدوا ما تقع عليه عينه في بيته ، وهو رأي كله وهم . فابن المعتز وصّاف غير مدافع ، يصف الحدائق والمروج ، والطبيعة ، ينفذ في دقائق أسرارها . ويصف النوق العراب ، والخيل المسومة ، والطيور ، وغرائز الحيوانات ، ومواهب الإنسان في الشجاعة والكرم والخلق الرقيع[(١)] ، ويصف الحروب،وقراع السيوف .

... وفي كل هذا اقتعد ابن المعتز مكانة عالية بين فحول الشعراء . وقد منح اللغة العربية في هذا الوصف ، ثروة عظيمة في تصوير المعاني .

فإذا استطاع أن يصف ماعون بيته ، فيستغيث ابن الرومي من هذا الوصف الجميل ، فإن ابن المعتز وصف جرذ داره ، وبقّها وبراغيثها »[(٢)]

ثم أورد الدكتور/محمد بديع شريف نماذج جيدة للوصف عند ابن المعتز في وصفه للجرذ ، والبقّ والبراغيث ، ثم وصفه للديك واقفاً على الجدار ...

ومن جيد ما ذكر له في هذا الرد ، وصفه لـ « سُرّ من رأى » حين عادتْ خربه فقال :

☆ماتتْ كما مات فيـــل تُسَلُّ منـــه العِظـــام

فهذا خيال غير منتزع من الواقع ، بعيد التفكير ، عميق في الوصف ؛ فماذا يبقى من الفيل إذا سُلّتْ عظامه ؟؟ هكذا هي « سُرّ من رأى » [(٣)].

---

(١) وردت هكذا في المرجع واعتقد أنه خطأ مطبعي والصحيح رفيع .
(٢) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج١ ، ص١٩١ .
(٣) المرجع السابق ج١ ، ص١٩١ — ١٩٢ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكذلك ذكر تصويره للفجر يدفع الظلام ، ويعلق الدكتور شريف على الصور التي رسمها ابن المعتز بأنها « لم تكن بين جدران قصر أبيه ، أو في قصور الخلفاء الذين نشأ في ظلهم . إنها في مهمة قفر، فيه المها ، والظباء ، والعين والنعام »[1].

وللدكتور/ شوقي ضيف رأي في تشبيهات ابن المعتز ، وصوره يبرزها في كتابه : الفن ومذاهبه . فهو — في رأيه — شاعر مبدع ، أحسن في الوصف ، وأجاد في التشبيه ، بمقدرة فنية ، تندر عند غيره من شعراء الوصف ، بل هو فنان بارع ، أتقن التصوير ، والتلوين . يقول :

« يُكْثرُ (ابن المعتز) من أوضاع هذه الصور والتشبيهات في شعره ، ويفرط فيها إفراطاً شديداً ، حتى لتظهر في قصائده على هيئة صفوف متلاحقة ، ففي كل جانب منها صورة أ تشبيه ، وهي صور وتشبيهات مايزال ابن المعتز ، يحاول أن يُحْدث بها طرافة في شعره ، فهي كل ما يقدمه للفن من زينة وجمال ... فقد انحاز إلى التشبيه ، وذهب يطرز به قصائده ، ويوشّي به أبياته ، وأظهر في ذلك براعة لم تُتَحْ لشاعر من قبله . وهل هناك أبرع من هذا التشبيه ، إذ يقول :

ريمٌ يتيهُ بحُسْنِ صورتِهِ ... عَبثَ الفؤادُ بلحظ مُقْلتِهِ

وكأنَّ عقربَ صُدغه وقفتْ ... لما دنتْ من نارِ وَجْنَتِهِ

فهذه صورة رائعة روعة شديدة ؛ لما أشاعه فيها من جمال وبعث من نار هي نار الوجنات ، أو هي نار الفن ، وما أشبهها بهذه القطع من الشمس التي كان يُلقيها الساقي في أقداح جماعته ، إذ يقول :

وكأنَّ كَفيّهِ تقسِّم في ... أقداحنا قطعاً من الشمس

---

(١) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج١ ، ص١٩١ — ١٩٢

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

كان ابن المعتز بارعاً في صُنع الصور والتشبيهات ، وهي براعة نرى آثارها في كل مكان من ديوانه ، ومن الصعب أن نجمعها في حيز محدود من صحيفة أو صحف . ومع ذلك فمن المحقق : أنه كلما جمع ناقد منها طائفة خرجت إليه أصباغ تحكي أصباغ الطيف للون واحد ولكنه لون معقد يعقده ابن المعتز ، ويستخرج منه أوضاعاً متضاربة ، يشيع فيها النور والجمال والحياة . انظر إلى قوله :

وزوبعةٍ من نبات الرِّياح ... تُريك على الأرض شيئاً عَجَب

تضمُّ الطريدَ إلى نَحْرها ... كضمِّ المحبةِ من لا يحب

أرأيت إلى هذه الصورة ؟ إنها صورة خيالية رائعة ، لابد لها من خيال فنان حتى يعرضها على أنظارنا ، فإذا هي العناق القريب .

وانظر إلى قوله :

ودنا إلى الفرقدانِ كما دنتْ ... زرقاءُ تنظر في نقابٍ أسودِ

فإنك ترىٰ ابن المعتز يعرف كيف يُطرف قارئه بالصور الغريبة وإنها لصور نادرة . وهي ليست صوراً جامدة من تلك التي تواضع عليها الشعراء ، وأصبحت متحجرة في اللغة ، إذ فقدتْ نُضْرتها وبهجتها ، بل هي حية نضرة ، وكأنما نُقشتْ رسومها بالأمس ؛ نقشها شاعر كان حيّاً يبعث الحياة والحركة في صوره حتى ليحسّ من يقرأ في ديوانه كأنه يعيش في دار من دور الصور المتحركة ، فمايزال يرىٰ مناظر وأشكالاً من شخوص ووجوه . وجوه مستعارة ، ولكنها تعبِّر عن روعة الفن بأجمل مما تعبّر عنه الوجوه الحقيقية ... »[1] .

نخرج من ذلك بنتيجة واحدة هي : أن الدكتور (ضيف) قد وضع يديه فعلاً على جانب الإبداع في وصف ابن المعتز للطبيعة برياضها وبساتينها وزهرها . والصيد بحيواناته ، من كلاب

(١) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج١ ، ص ٢٧٠ — ٢٧٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وخيول ، وفي الغزل . وأتى بنماذج جيدة ، ردّ بها على رأيه القائل بأن تصويره مادي حسي . وأنه لا يتعمق الأشياء ، في ترجمته له بين أعلام شعراء العصر العباسي ، وفي معرض حديثه عن قصة ابن الرومي مع لائمة[١].

وفي هذا المجال حظينا برأي جيد للدكتور/مصطفى الشكعة حيث يرى ابن المعتز فناناً مطبوعاً في فنّه ، بعيداً عن التكلف ، ذا وصف رائق صافٍ ، وليس لغيره مثله ، استمع إليه وهو يقول :

« شعر الوصف والطبيعة هو الميدان الواسع الرحب الذي مَلَك ابن المعتز ناصيته ، ووقف فيه وقفة الفارس المجلي الذي لا ينازله أو يطاوله فيه شاعرٌ آخر ، وبمعنى آخر كانت الطبيعة بالنسبة إليه محراباً ، يتبتل فيه ويتعبد في رحابه . ومن ثَم فقد أنشأ ابن المعتز شعراً رائعاً في وصف البساتين ، والرياحين والأزهار ، والأثمار والسحاب ، والمطر والجداول والبرك ، والسماء والكواكب ، والنجوم والقمر هلالاً وبدراً ، وجاء بالتشبيهات الفريدة التي عُرف بها دون سائر الشعراء ، تلك التشبيهات التي كان لها طعم ومذاق وأحياناً سحر وأرج لم يتهيأ لشاعر آخر أن ينهض بمثلها ...

...ولقد أُغرم ابن المعتز على كل حال بالوصف بصفة عامة وبوصف الطبيعة بصفة خاصة ، وفَتن الناس معه لأنه مطبوع في فنه بعيد عن التكلف والافتعال،مع عناية بالمعاني المترفة التي تلائم حياته وبيئته »[٢] .

ويدلل الدكتور الشكعة على قدرة الشاعر الفريدة في الوصف ، وذلك في استخدامه بحر الرجز في وصف الطبيعة الذي يحتاج إلى الرقة ، والسلاسة والعذوبة ، مع أن المعروف عن الرجز أنه يجمع إلى خصائصه الخشونة ، والجزالة والإغراب . يقول :

---

(١) انظر الدكتور شوقي ضيف ، في كتابه العصر العبَّاسي الثاني ، ص٣٣٣ .

(٢) كتاب الشِعْرُ وَالشُعَرَاء في العَصْرِ العَبَّاسي ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م ، الناشر دار العلم للملايين بيروت ، ص ٧٦٨ ــ ٧٦٩ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

« بلغت براعة ابن المعتز ونبوغه في التصوير ، وفتنته بالطبيعة المدى الذي جعله يصفها ويحلق في سماء زاهية من الفن الرفيع من خلال بحر الرجز ، وهو بحر عوّدنا الشعراء الجدّ والخشونة والإغراب اللفظي فيه رغم أنه نشأ أصلاً للحداء . أما ابن المعتز فهوْ من خلال واحدة من أرجوزيته الطويلتين الرائعتين اللتين لم يتح لشاعر آخر أن يبلغ شأوه فيهما ، يصوّر جمال الطبيعة والبساتين »(١).

ويتابع الدكتور/الشكعة حديثه عن ابن المعتز ، فيعتبره من روّاد شعر الطبيعة ، وفي مقدمة شعراء مدرسة الصورة الشعرية ، فيقول :

« إن ابن المعتز يهيم بالطبيعة حباً ، ومعها تنبض مشاعره ، وأحاسيسه ، وترق شاعريته حين يصفها ، وقد ... وصفها مجملة في شكل بستانٍ أو حديقةٍ أو روضة ، غير أن الأهم من ذلك كله أنه يهيم بها مفصلة أيضاً بمعنى أنه يصف الأزهار وحدها والأثمار وحدها ، والميـاه وحـدها من برك وأنهار ، وسحائب وأمطار ، والسماء وحدها بما حوت من كواكب ونجوم وأهلة وأقمار ، وهو من خلال ذلك قد رسم أكثر من تقليد شعري ، وابتكر أكثر من صورة بكراً الأمر الذي جعله رائداً في شعر الطبيعة ورأس مدرسة الصورة الشعرية »(٢)

وبعد أن عرض الدكتور مصطفى الشكعة نماذج جيدة من شعر ابن المعتز في الأغراض المختلفة ، ختم حديثه عنه بقوله :

« إن ابن المعتز هو فنان الشعر العربي وأستاذ الشعراء العرب في مجال التشبيه الرائق ، والصورة الأنيقة ، النابعة من طبيعة الفن الكامنة فيه ، وملكة الشعر والموسيقى التي خُلقتْ معه ورافقتاه منذ أن كان فتى صغير السن ، غضّ الإهاب »(٣)

---

(١) كتاب الشِعْر والشُعَراء في العَصرِ العَبَّاسيّ ص ٧٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٨٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويتناول الدكتور/سعد شلبي موضوع الصورة الخيالية عند ابن المعتز فيراه مجسَّداً للفن ، مرتفعاً بالواقع ، أو التعبير عنه ، بما يثير الدهشة والإعجاب فيقول :

« وقد شارك ابن المعتز في تحويل الوصف إلى صور فنية ، فما كان همّ الشعراء في العصر العباسي همهم في العصر الجاهلي وبني أمية من توضيح الوصف ، والكشف عن جوانب الموصوف ــ بل ذهبوا ينشدون الجمال ، ويرقون بالواقع ، ويجسّدون الفن في لوحات تصويرية ، تبرز المشاعر وتعبرّ عن الأحاسيس ، ويتجلّى فيها براعة الشاعر في الارتقاء بالواقع ، أو التعبير عنه بما يدهش ، ويفتن »[١]

وللأستاذ نجيب البهيتي رأي أيضاً لا يختلف عن سابقه في شعر ابن المعتز ، بمقارنته بغيره من عمالقة الشعر في عصره . فقد أتموا هيكله وبناءه ، فجاء فزخرفه : وزينه وجعله ملوناً بالذهب ، ومرصعاً باللؤلؤ والجوهر . يقول :

« لا يكاد ينتهي عهد أبي تمام والبحتري حتى يكون هيكل الشعر العربي الضخم قد تمّ بناؤه ، واستكمل صورته وأداته ، وامتدّ إلى العواطف والمشاعر ومظاهر الحياة ، فاستجمعها ، وطواها بين جدرانه الشامخة الهائلة .

حتى إذا جاء ابن المعتز وجده تاماً ، ثابتاً قد شادته أجيال من العبقريات تمتد آجالها في كبد الزمن ، وتغيب في قلب الأبد العميق . فلم يجد ما يزيده عليه إلا بعض الحلى الأنيقة ، التي أتاحتها له نشأته الكريمة بين جدران القصور ، في ظلال النعمة والسؤدد .

وإنا لنجد عند ابن المعتز بحثاً دائباً عن الجمال ينشده ، ويتذوّقه ويصوّره تصوير الغني المترف . وإذا كان الشعراء الذين سبقوا ابن المعتز قد فرغوا من وضع هذا الهيكل الشامخ ، وتقسيم أقسامه وأفنانه ، ومدّ أروقته ، وأبهائه ، وتجميله بالزخارف والتماثيل والصور ؛ فإن ابن المعتز قد موّهه بالذهب ، ورصّعه بالدُّرر ، وأضاءه باللؤلؤ الوهاج »[٢].

---

(١) انظر كتاب ابن المُعْتَزّ العَبَّاسِيّ صُورة لعصْره ، ص ١٨٥ .
(٢) كتاب تاريخ الشِعْرِ العَرَبي حتى آخر القرن الثالِث الهجْري ص ٥١٠ ــ ٥١٧ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

ولبيان طريقة ابن المعتز في كتابه ، شعر الوصف ، واتجاهه فيه . يرى الأستاذ/نجيب البهبيتي أنه شاعر تقليدي ، إلّا أن لديه مرونة في المقدمات والموضوعات .

ثم لا يلبث أن ينتقل إلى الطبيعة ليصفها . يقول :

« وإنه ليسير في الشعر على النمط التقليدي ، على مرونة في اختيار موضوع الافتتاحية ، ولكنه لا يلبث أن يتعدَّى الاستهلال إلى الحديث عن السماء ونجومها ، والسحب ورعودها ، أو البساتين والرياض وأزهارها وشذاها والمرأيان يحضرانه جميعاً ، ويقترنان في ذهنه اقتراناً عجيباً ، لا يكاد يحضره أحدهما حتى ينهض إليه الآخر . وهو يضرب مظاهر الكون الجامد ، بظواهره الحية فيعتلجان ويمتزجان ، ويتداخلان في لطف بالغ ، وذوق سليم ، لم تَشُبْهُ شائبة من زهو مصنوع أو كبرياء مفتعل »[1] .

ويختم حديثة عنه بقوله :

« إذا نحن فارقنا عصر أبي تمام والبحتري ، فقد فارقنا عصر التأثيرات العامة في الشعر ، أي التأثيرات التي لا تأتي الشعر من نفس صاحبه ، قدر ما تأتيه من عوامل فعّالة من العصر ، واتجاه الجماعة ومجرىٰ التاريخ بالأمم والأفراد .

فإذا جئنا إلى عصر ابن المعتز ، وقفنا على عصر التأثيرات الفردية وعلى نتاج العبقرية الخاصة ، التي تحلُّ بالشعر أثراً لنفس صاحبها وتكوينه ونشأته وبيئته »[2] .

أما الدكتور/طه حسين فيرىٰ أن ابن المعتز « يستطيع أن يظهرك على ما في البساتين من جمال الرياض والبساتين تصويراً هو آية في الإبداع الفني . لا أظن أن أحداً قد استطاع أن يأتي بمثله في تشبيهاته واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرياض »[3] .

---

(١) كتاب تاريخ الشِّعْرِ الْعَرَبِي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٥١٢ — ٥١٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٥١٧ .
(٣) من حديث الشعر والنثر ص ١٦٤ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وللدكتور مصطفى ناصف رأي طريف في شعر ابن المعتز وتشبيهاته حيث يذكر أن القاريء لشعر ابن المعتز لابد أن يُعْجَب بتشبيهاته سواء أظهر هذا الإعجاب أم أخفاه . وأما دليل إعجاب النقاد بهذه التشبيهات عُكوفهم عليها يَتأملونها ، ويَتخذون منهجه أَساساً لفن التشبيه ، وهذا وحده يُغني عن الأخذ بما قاله المحدثون في شعر ابن المعتز وتشبيهاته . يقول :

« لا أشك في أن مادة التشبيه عند ابن المعتز لعبت بعقول كثيرين ممن استمعوا إليه ، ثم استحالت إلى التقدير المسرف للتشبيه ، وخيل النقاد المعجبون لأنفسهم أنهم إنما يزكون التشبيه لذاته أو لعراقته ونقائه ، وما دروا أنهم يُخفون بين أنفسهم هذه المتعة الهائلة التي تَجدها نفوس محرومة وغير محرومة حين تَطوف مع ابن المعتز في قصور وهمية امتلأت ثراء وغنى وأدوات ناعمة تُمزج مزجاً غريباً لكي تزهد في الواقع أو تصور عنه بديلاً . ومن ثَمْ عكفوا عليه يتأملون شعره ويتخذون من منهجه أسساً قوية لفن التشبيه ، وربما كانت هذه الأسس التي دَعموها أقوىٰ وأصدق ، وأنفذ مما قال المحدثون العصريون في وصف فن ابن المعتز وتشبيهاته » .انتهى[1] .

وبعد هذا العرض والبسط والمناقشة لآراء الأدباء والمؤرخين والنقاد عن ابن المعتز يتضح لنا : أن ابن المعتز شاعر وصف مبدع ، وصاحب موهبة فذة فريدة ، وهو رَسّام بارعٌ ، وشاعر ذكي فطن ، وهو شاعر وصف من الطراز الأول يملك قدرة وبراعة في إبراز الصورة بشكلها وهيئتها ، ويطبعها بطابعه النفسي . وهو عالم بدقائق المعاني وخفاياها ، وهو صاحب منهج في التشبيه خاص به كما قال عنه الدكتور ناصف ، وكما لقبّه الدكتور الشكعة بأنه من رواد شعر الطبيعة ، وأنه رأس مدرسة الصورة الشعرية في الشعر العربي العباسي ، وهو من روّاد الوصف في أغراضه الثلاثة الطبيعية والخمر والصيد .

(١) الصُّورَةُ ألأدبيَّة ص ٤٨ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخاتمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الخاتمــــة

وبَعد رحلَة طَويلة رَافقت فيها عَبد الله بن المعتز العبّاسِي وشِعْــره في الطَبيعَــة والخمَــر والصَيد ، وبَعد أن أَدمت النظَر زَمناً في شِعْره ، واخترت نَماذج لعرَضِها في دِراسَتي للــوصف عِنْده . ومن خلال ذَلك كُله وصَلت إلى النَتائج التالية :

١ ـــ ابن المعتز شَاعر تَقليدي في موضوعَاته ، وبعض مَعانيه ، سَلك مَنهج سَابقيه ، وتَأثر بهم . البحتري في الطَبيعة ووصفها ، وأَبي نواس في الخمر وإمرىء القَيس في الصَيد والطَرد .

ومع تَأثره الواضح بهؤلاء العَمالقة الثَلاثة إلا أن شَخصيتَه الشِعْرية بَرزت واضحَة لتَرسم مَعَالم خَاصة بها تُميزها ، وتَعقد له الرَيادة في مَجال الوَصف ، ويصبح مع أَساتذته الأَوائل في فَن الوصف كما يَشهَد له بذَلك ابن رَشيق القَيرواني .

٢ ـــ ابن المعتز في المرتَبة الرَابعَة من شُعَراء الخمر عند ابن رشيق القيرواني ، وإنه مع أبي نواس في الصيد والطرد .

٣ ـــ الشَاعر في أَغراض الوَصف عَامة ابن الطَبيعة يتحدَث بها وعَنها ، تَعلق بها وأُعجب بجمَالها ، واستطَاع أن يصورَها ، وعُرِّف بوصفِها الهِلال ، النجوم . النَارنج ، القثاء ، النَور ، والأَزهَار .

٤ ـــ ابن المعتز شَاعر عَبّاسِي في تَخلعِه صفَات الإنسَان وخَصَائِصه على صُوره في شِعْر الطَبيعة والخَمر والصَيد وهو ما يُسمى بالتشخيص وهو اتجاه ظَهر عِند أَبي تَمام والبُحتري ، وابن الرُومي ، واتسع عِندَ ابن المعتز .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥ ـ يتفوق ابن المعتز في مجال الصورة . وهو العالم البلاغي والناقد الفذ يتناول الظاهرة ، يلح عليها حين يظهرها أمام خيالك وإحساسك وخبراتك فيعمقها بطرق فنية عدة ، ويربط بين مظاهر الطبيعة بصلات وثيقة بعضها مادي والآخر نفسي ، وقد تحظى منه الصورة بعناية فكرية ونفسية وتأملية فيمنحها قيمة فنية عالية .

٦ ـ استقى ابن المعتز مادة الصورة من مصادر مختلفة ، من الإنسان وخصائصه ، ومن الطبيعة بنوعيها ثم من معين الخبرات المختلفة فالحرب تثري خياله والشعائر الدينية يستمد منها بعض الصور .

٧ ـ في مجال الخمر جدد ابن المعتز في مزدوجته في ذم الصبوح ، ويرى الدكتور طه حسين أن ابن المعتز منفرد في هذه الأرجوزة في اختراع المعاني البديعة وفي تصوير الرياض .

والشاعر في هذه الأرجوزة يحلل نفس الساقي والشاربين .

٨ ـ قد يلتقي الدارس لشعر ابن المعتز في الخمر بحشد من المشاعر النفسية الإنسانية في الصورة ، وإن لم يكن ذلك من خصائصها أصلاً كقوله :

فلما رآها الليل حث صباحه   مخافة صُبْح في الدِّنان كمين

٩ ـ تناقض الشاعر في موقفه من الخمر ؛ فهو قد يبدو في مواضع محباً لها داعياً لشربها ، وفي مواضع أخرى ينفر منها ، ويصورها بصور تدل على ذلك .

وقد ناقش هذه القضية الدكتور محمد بديع شريف ، وذكر رأيه في خاتمة دراسته لابن المعتز في كتابه ديوان أشعار الأمير أبي العباس يقول : « لا يتناولها (أي الخمر) كما يروي التأريخ عنه ، وكان في انتهائه في بعض مطولاتها وفي ثناياها يسل نفسه كما تسل الشعرة من العجين ، ويجعل شاربها في آخر القول يعتصم بالندم والتوبة » .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١٠ ـ ويَصف ابن المعتز حَيوان الصَيد بمظهر حَسن ، وخَصائص طَيبة فَيعنى بِشكله ، ويُبرزه في أَحسن صورة .

وقد يَذْكُر الطيور بِصْفاتها دُون ذِكر أَسمائِها ، ويَشبه أَحياناً مَظهراً ثَابتاً في حَيوان الصَيد بِصفَة طَارئة في وَقت من أَوقَاته .

١١ ـ ينشغل الشاعر ـ أَحياناً ـ بمقدمات الظَواهر وبداياتها عَما يَلـيها ؛ فَيصف كثيراً غُرة النَاقة . وظهور الهلال ، وإجتماع النَجوم في أَشكَال مختلفَة ، ورَحيل الليل ، وقُدوم الصَبح .

١٢ ـ يُكثر الشَاعر من الجمع بين المتضادات في شِعْره تَأثراً بِمدَرسة البَديع في العَصْر العَبَاسِي ، وتَظهر سِمات البَديع بعامة بِغير تَكلف في شِعْره .

١٣ ـ إخفاق الشَاعر في اختيار الصفة المنَاسِبة ـ أَحياناً ـ فلا تَحظى منه بِحُسن انتقَاء ، وتَخير جيدٍ لمناسبتها والدقة في تناولها .

١٤ ـ قد يَميل الشَاعر ابن المعتز في وَصفه أَحياناً إلى الجَانب الحِسي ، إلا أَنه في كَثير مِنْ شِعْر الوَصْف يبثُ خَطرات نَفسه ، ويَرسِم مَلامح لأُحَاسِيسه الشاعرة .

وهذا بالطبع يَجعلنا نَتحَفظ في إطْلاق القَول عَليه بِحسية التَشبيه . بل قد عَقد له بَعض الكُتاب والعُلماء الرِيادة في مَجال الصُورة الشَعرية .

وجَعله البَعض الآخر صَاحب اتجاه مُتفَردٍ في التَشبيه ومَنْهج رَسمه لِنفسِه لم يأتِ بِهِ غَيره .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١٦ــ وشِعْر ابن المعتز في الوَصْف نَماذج رَائعة لبَلاغة التشبيه تَتَصدر الشَواهد في دُروس البَلاغة ؛ يُسْتَدل بها على مَهارة الشَاعر في استغلال الظَواهِر المتَشابهة والبَعيدة .

١٧ــ ابن المعتز شَاعر مَشهور لا يَغْفل ذِكْره نَاقد ولا بَلاغِي إذا تَناول مَوضوعاً عن الوصف أَو التشبيه ، أَو قَضية من قَضايا النَقد والبَلاغة في عَصره ، أو مَوضوعاً يَتعلق بَالبديع

ومما يَدلنا على مَكانَته تِلك الضَجة التي أَحدَثها قَول مُعَاصِره ابن الرومي ، بِأَنه يَصف مَاعون بَيته . وكيف رَدَّ عليها مُعظم العُلماء والكُتّاب والنُقاد . وأَصبحت تِلك القَضية تَشغل صَفحات من كُتبهم ، وأَدلى كُل منهم بِدلوه فيها ، مما يَدلنا على مَكانَته ، وقُدرَتِه على التَأثير في النفوس بِخَياله المُبْدِع . فأَصبحت المكتبة العَربية تَضم عَدداً من الآراء حَول هذا الشَاعر وشِعْره في الوصف أَو تَشبيهاته الفَريدة ، يَستضيء بها الدَارس لشِعْره ، والبَاحث عن مَكانته بَين غَيره .

وبعد فإنني أَرجو من الله العلي القَدير أن يَحالف دراستي هذه التَوفيق والسَداد . وأَن يَنفَع بها طُلاب العَلم ، والبَاحثين في هذا المجال وأَن تَكون دِراستي هذه بَاباً يَدخل منه بَحث جَديد ، أو فِكْر يِتتبع أَو يُنقب عن مَعالم جَديدة في الأدب أَو الفَن أو الحياة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مصادر البحث ومراجعه

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المصادر والمراجع

أولاً ـــ القرآن الكريـــــم .

ثانياً ـــ :ـ

١ ـــ ابن رشيق ، ونقد الشعر (دراسة تحليلية نقدية تاريخية مقارنة) . بقلم دكتور عبد الرءوف مخلوف ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٧٣م ، الناشر : وكالة المطبوعات ، الكويت .

٢ ـــ ابن الرومي (حياته من شعره) . تأليف : عباس محمود العقاد ، الطبعة السابعة ، عام ١٩٦٨ م . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ـــ لبنان .

٣ ـــ ابن المعتز (وتراثه في الأدب والنقد والبيان) . تأليف : محمد عبد المنعم خفاجي . الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ ـــ ١٩٤٩م . الناشر : مكتبة الحسين التجارية لصاحبها : محمود توفيق .

٤ ـــ ابن المعتز العباسي . تأليف الدكتور أحمد كمال زكي ، أعلام العرب (٣٦) عام ١٩٦٤م . الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٥ ـــ ابن المعتز العباسي (صورة لعصره) . تأليف الدكتور سعد اسماعيل شلبي عام ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م ، الناشر : دار الفكر العربي .

٦ ـــ أبو نواس (الحسن بن هانيء) . تأليف عباس محمود العقاد . عام ١٩٨٠م ، الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ـــ القاهرة .

٧ ـــ أبو نؤاس (في شعره الخمري) . تأليف : جورج عبدو معتوق ، الطبعة الثانية عام ١٩٨١م . الناشر : دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت .

٨ ـــ اتجاهات الشعر العربي (في القرن الثاني الهجري) . مكتبة الدراسات الأدبية (٢٩) . تأليف الدكتور محمد مصطفى هدارة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ ـــ ١٩٦٩م . الناشر : دار المعارف .

٩ ـــ أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق . تأليف : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥) ، عنى بنشره : ج . هيورث . دن . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م . الناشر : دار المسيرة ـــ بيروت .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

١٠ــ أساس البلاغة . تأليف الإمام العلامة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري عام ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م . الناشر : دار صادر ــ بيروت .

١١ــ أشعار أولاد الخلفاء (وأخبارهم) من كتاب الأوراق . تأليف : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . عني بنشره : ج . هيورث . دن . الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٢م . الناشر : دار المسيرة ــ بيروت .

١٢ــ الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف : خير الدين الزركلي . الطبعة الخامسة ١٩٨٠م . الناشر دار العلم للملايين .

١٣ــ البداية والنهاية . تأليف : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دقق أصوله وحققه : دكتور أحمد أبو ملحم ، دكتور علي نجيب عطوي ، الأستاذ فؤاد السيد ، الأستاذ مهدي ناصر الدين ، الأستاذ على عبد الساتر . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان .

١٤ــ الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) . تأليف : حنا الفاخوري . الطبعة الأولى ١٩٨٦م . الناشر : دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان .

١٥ــ بغية الوعاة (في طبقات اللغويين والنحاة) تأليف : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية عام ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م . الناشر : دار الفكر .

١٦ــ تاريخ آداب العرب . تأليف : مصطفى صادق الرافعي . الطبعة الثانية : ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م . الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ لبنان .

١٧ــ تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) . تأليف : عمر فروخ . الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨م ، الناشر : دار العلم للملايين .

١٨ــ تاريخ الأدب العربي . تأليف : كارل بروكلمان . الطبعة الرابعة ١٩٥٩م . الناشر : دار المعارف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

١٩ـ تاريخ بغداد (أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ) . تأليف : الحافظ أبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ولم يذكر الطبعة ولا تاريخها . الناشر : المكتبة السلفية .

٢٠ـ تاريخ الخلفاء . تصنيف : الحافظ جلال الدين السيوطي . لم تذكر الطبعة ولا تاريخها . الناشر : دار الفكر ـ بيروت .

٢١ـ تاريخ الشعر العربي (حتى آخر القرن الثالث الهجري) تأليف : نجيب محمد البهبيتي . عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م . الناشر : دار الثقافة ، الدار البيضاء (المغرب) .

٢٢ـ جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) . تأليف : السيد المرحوم أحمد الهاشمي . الطبعة الثانية عشرة . الناشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٢٣ـ حلبة الكميت (في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات) تأليف : الإمام شمس الدين محمد بن الحسن النواجي (ت ٨٥٩) . نسخة مصورة من مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة .

٢٤ـ دائرة المعارف الإسلامية . أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها الاتحاد الدولي للمجامع العلمية . النسخة العربية إعداد وتحرير : إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتناوي ، د. عبد الحميد يونس . الطبعة الأولى ١٩٣٣م . الناشر : دار الشعب ـ القاهرة .

٢٥ـ ديوان ابن المعتز . لم يذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر ـ بيروت .

٢٦ـ ديوان ابن المعتز . شرح وتقديم : ميشيل نعمان . عام ١٩٦٩م . الناشر : الشركة اللبنانية للكتاب ـ بيروت ـ لبنان ، توزيع : دار صعب .

٢٧ـ ديوان أبي نواس . عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م . الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت .

٢٨ـ ديوان أشعار الأمير أبي العباس (عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي) ذخائر العرب (٥٤) . دراسة وتحقيق : الدكتور محمد بديع شريف . لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار المعارف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٢٩ــ ديوان امرىء القيس . لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر ــ بيروت .

٣٠ــ ديوان البحتري . لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر ــ بيروت .

٣١ــ ديوان الحماسة (وهو ما اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب) . شرح العلامة التبريزي . لم تذكر الطبعة و تاريخها . الناشر : دار القلم ــ بيروت ــ لبنان .

٣٢ــ زهر الآداب وثمر الألباب . تأليف : أبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني . عارضة بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه على محمد البجاوي . الطبعة الثانية ١٩٦٩م . الناشر : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٣٣ــ الرجز (نشأته ، أشهر شعرائه) . تأليف : جمال نجم العبيدي . الرسالة التي حصل بها المؤلف على شهادة الماجستير في الآداب من جامعة بغداد سنة ١٩٦٩م . « ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره » ، مطبعة الأديب البغدادي .

٣٤ــ شعر ابن المعتز . صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، دراسة وتحقيق : الدكتور يونس أحمد السامرائي . سلسلة كتب التراث (٦٧) عام ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، الناشر : دار الحرية للطباعة ببغداد .

٣٥ــ الشعر الجاهلي (خصائصه وفنون) . تأليف : الدكتور يحيى الجبوري . الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م . الناشر : مؤسسة الرسالة .

٣٦ــ الشعر والشعراء (طبقات) . تأليف : ابن قتيبة . الطبعة الأولى . قسطنطينية ١٢٨٢هـ . الناشر : عالم الكتب ــ بيروت .

٣٧ــ الشعر والشعراء (في العصر العباسي) تأليف : الدكتور مصطفى الشكعة . الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠م . الناشر : دار العلم للملايين .

٣٨ــ شعر الطبيعة (في الأدب العربي) . تأليف : الدكتور سيد نوفل . مكتبة الدراسات الأدبية (٧٥) ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٨م . الناشر : دار المعارف .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٣٩ــ شعر الطرد عند العرب (دراسة مسهبة لمختلف العصور القديمة) . تأليف : عبد القادر حسن أمين . عام ١٩٧٢م . الناشر : مطبعة النعمان ــ النجف الأشرف . ساعدت جامعة بغداد على نشره .

٤٠ــ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) . تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م . طبع على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي .

٤١ــ الصور الأدبية . تأليف : الدكتور مصطفى ناصف . الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م . الناشر : دار الأندلس .

٤٢ــ الصيد عند العرب (أدواته وطرقه ــ حيوانه الصائد والمصيد) . تأليف : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م . الناشر : مؤسسة الرسالة ــ بيروت . دار النفائس بيروت .

٤٣ــ طبقات الشعراء . ذخائر العرب (٢٠) تأليف : ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م . الناشر : دار المعارف بمصر .

٤٤ــ الطبيعة (في شعر العصر العباسي الأول) . تأليف : الدكتور أنور عليان أبو سويلم ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م . الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر .

٤٥ــ عبد الله بن المعتز العباسي (حياته وإنتاجه) . تأليف الدكتور : محمد عبد العزيز الكفراوي . الأدب والنقد (٩) عام ١٩٥٧م . الناشر : مكتبة نهضة مصر بالفجالة .

٤٦ــ العرف الطيبُ في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي. تأليف : الشيخ ناصف اليازجي ، الطبعه الثانية ،ولم يذكر الناشر دار القلم ، بيروت لبنان .

٤٧ــ العصر العباسي الأول . تاريخ الأدب العربي (٣) . تأليف : الدكتور شوقي ضيف . الطبعة السابعة عام ١٩٦٦م . الناشر دار المعارف .

٤٨ــ العصر العباسي الثاني . تاريخ الأدب العربي (٤) تأليف : الدكتور شوقي ضيف . الطبعة الثالثة ١٩٧٣م ، الناشر : دار المعارف .

٤٩ــ العمدة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده) . تأليف : أبي علي الحسن بن رشيق ، القيرواني ، الأزدي (ت ٤٥٦ هـ) . حققه وفصله : محمد عبد الحميد الطبعة الرابعة ١٩٧٢م . الناشر : دار الجيل ــ بيروت ــ لبنان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

٥٠ــ فن الوصف (وتطوره في الشعر العربي) . الفنون الأدبية عند العرب (١) . تأليف : إيليا الحاوي ، الطبعة الثالثة عام ١٩٨٠م ، الناشر : دار الكتاب اللبناني ــ بيروت .

٥١ــ الفن ومذاهبه (في الشعر العربي) . مكتبة الدراسات الأدبية (٢٠) . تأليف الدكتور شوقي ضيف . الطبعة السابعة عام ١٩٦٠م الناشر : دار المعارف بمصر .

٥٢ــ في الشعر العباسي (الرُّؤية والفن) . تأليف : الدكتور عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثانية عام ١٩٨٠م . الناشر : دار المعارف .

٥٣ــ قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية (دراسة تطبيعية في شعر البحتري وابن المعتز) . تأليف : دكتور عبد الله عبد الفتاح التطاوي ، عام ١٩٨١ م . الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة .

٥٤ــ القاموس المحيط . تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . المؤسسة العربية للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان عام ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م .

٥٥ــ الكامل في التاريخ . تأليف : أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف « بابن الأثير » الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ) ، عام ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م . الناشر : دار الفكر ــ بيروت .

٥٦ــ كتاب الأغاني . تأليف : أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) . عام ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م . مصور عن طبعة دار الكتب . الناشر : دار إحياء التراث العربي .

٥٧ــ كتاب أراجيز العرب . تأليف : محمد توفيق البكري . الطبعة الثانية ٣٤٦ هـ . الناشر : محمد محمود حجاج الكتبي بالأزهر .

٥٨ــ كتاب البديع . تصنيف : عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) . اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس : إغناطيوس كراتسفوفسكي (ت ١٩٥١م) . طبعة ثانية ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م . أعادت طبعه مكتبة المتنبي ببغداد . لصاحبها قاسم محمد الرجب .

٥٩ــ كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تصنيف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) . حققه وضبط نصه : الدكتور مفيد قميحة ، عام ١٣٢٠هـ ــ ١٩٧١م . الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٦٠ــ لسان العرب . تأليف : ابن منظور . حققها : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هشام محمد الشاذلي ، سيد رمضان أحمد . طبعة جديدة منقحة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م . أعيد ترتيب هذه الطبعة على ترتيب الحروف الهجائية . الناشر : مؤسسة جمال للطباعة والنشر .

٦١ــ مراصد الإطلاع (على أسماء الأمكنة والبقاع) تأليف : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ) . تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي . الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٤م . الناشر : دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان .

٦٢ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦ من الهجرة . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م ، الناشر دار الفكر ، ص ٢٩٣ .

٦٣ــ معجم البلدان . تأليف : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (تراث العرب ، عام ١٩٨٦م . الناشر : دار صادر ــ بيروت

٦٤ــ المعجم الوسيط . قام بإخراج هذه الطبعة : الدكتور إبراهيم أنيس ، الدكتور عبد الحليم منتصر ، عطيه الصوالي ، محمد خلف الله أحمد . وأشرف على الطبع : حسن علي عطية ، ومحمد شوقي أمين . الطبعة الثانية . الناشر : دار إحياء التراث العربي .

٦٥ــ كم حديث الشعر والنثر . تأليف : طه حسين . الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٣٦م . الناشر : دار المعارف بمصر .

٦٦ــ الموازنة بين الشعراء (أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان) . تأليف : زكي مبارك . الطبعة الثانية ١٩٣٦م . الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٦٧ــ الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) للمرزباني أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، طبعة عام ١٩٦٥ م . الناشر : دار نهضة مصر .

٦٨ــ موسيقى الشعر . تأليف : الدكتور إبراهيم أنيس . الطبعة الرابعة ١٩٧٢م . الناشر : دار القلم للطباعة والنشر ــ بيروت ــ لبنان .

٦٩ــ الموسوعة العربية الميسرة . بإشراف : محمد شفيق غربال . الطبعة الثانية ١٩٧٢م . الناشر : دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

٧٠— النجوم في الشعر العربي القديم (حتى أواخر العصر الأموي) . تأليف : الدكتور يحيى عبد الأمير شامي . الطبعة الأولى عام ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م . الناشر : دار الآفاق الجديدة — بيروت .

٧١— نزهة الألباء ، في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر — الفجالة — القاهرة .

٧٢— النقد الأدبي (ومدارسه الحديثة) . تأليف : ستانلي هايمن . ترجمة : الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار الثقافة — بيروت — لبنان .

٧٣— وفيات الأعيان . (وأنباء أبناء الزمان) . تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ١٦٨١) . حققه : الدكتور إحسان عباس . عام ١٩٧٠ م . الناشر : دار صادر — بيروت .

٧٤— يوم وليلة (خلافة ابن المعتز) . تأليف : عبد العزيز سيد الأهل . عام ١٩٥١ م . الناشر : دار العلم للملايين — بيروت .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

محتويات البحث

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

محتويات البحث

الموضـــوع	الصفحة
أولاً ــ المقدمة	أ ــ هـ
ثانياً ــ الباب الأول : **الوصف**	١ ــ ٣٠
الفصل الأول : تعريف الوصف وتطوره منذ العصر الجاهلي وإلى العصر العباسي	١ ــ ١٢
الفصل الثاني : أبواب الوصف عند ابن المعتز	١٣ ــ ٣٠
١ ــ الطبيعة	١٣ ــ ١٦
٢ ــ الخمر	١٧ ــ ٢٥
٣ ــ الصيد	٢٦ ــ ٣٠
ثالثاً ــ الباب الثاني : **دراسة فنية نقدية للصورة في شعر الوصف عند ابن المعتز بأغراضه الثلاث**	٣١ ــ ١٣٩
الفصل الأول : التعمق في الصورة	٣١ ــ ٤٤
الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة	٤٥ ــ ٦٩
الفصل الثالث : التشخيص	٧٠ ــ ٨٨
الفصل الرابع : الخيال التركيبي	٨٩ ــ ١٠٤
الفصل الخامس : تكثيف الصورة لموصوف واحد	١٠٥ ــ ١١٣
الفصل السادس : الجانب النفسي في الصورة	١١٤ ــ ١٢١
الفصل السابع : دلالات حركية في الصورة	١٢٢ ــ ١٣٥
الفصل الثامن : ضعف التصوير	١٣٦ ــ ١٣٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الموضـــوع الصفحة

رابعاً ـ الباب الثالث : دراسة أسلوب الوصف في شعر ابن المعتز .... ١٤٠ ـ ١٦٣
الفصل الأول : لغته الشعرية .... ١٤٠ ـ ١٤٨
الفصل الثاني : الصياغة في شعره .... ١٤٩ ـ ١٥٨
الفصل الثالث : موسيقىٰ شعر الوصف وأوزانه .... ١٥٩ ـ ١٦٣
خامساً ـ **الباب الرابع : موقف العلماء والنقاد والدارسين من شعر الوصف**
عند عبد الله بن المعتز العباسي .... ١٦٤ ـ ١٧٧
الفصل الأول : موقف العلماء والنقاد القدامىٰ من شعر ابن المعتز في الوصف ١٦٤ ـ ١٦٧
الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين من شعر ابن المعتز
الوصف .... ١٦٨ ـ ١٧٧
الخاتمة .... ١٧٨ ـ ١٨١
المصادر والمراجع .... ١٨٢ ـ ١٩٠
محتويات البحث .... ١٩١ ـ ١٩٢

This file was downloaded from QuranicThought.com